

A.1417

شوال ١٤٠٩ هـ - يونيو (حزيران) ١٩٨٩ م

العرب



■ آخر
أيام
البادية
الأردنية

■ مسلمو
بريطانيا
مواطنون
أم مغتربون؟

جانب
١٣٩ عربي

■ الأموال المهربة من بلاد الفقراء!

■ من غرائب «المكتوبجي»!



رولكس وسفينة الصحراء الاعتمادية المطلقة

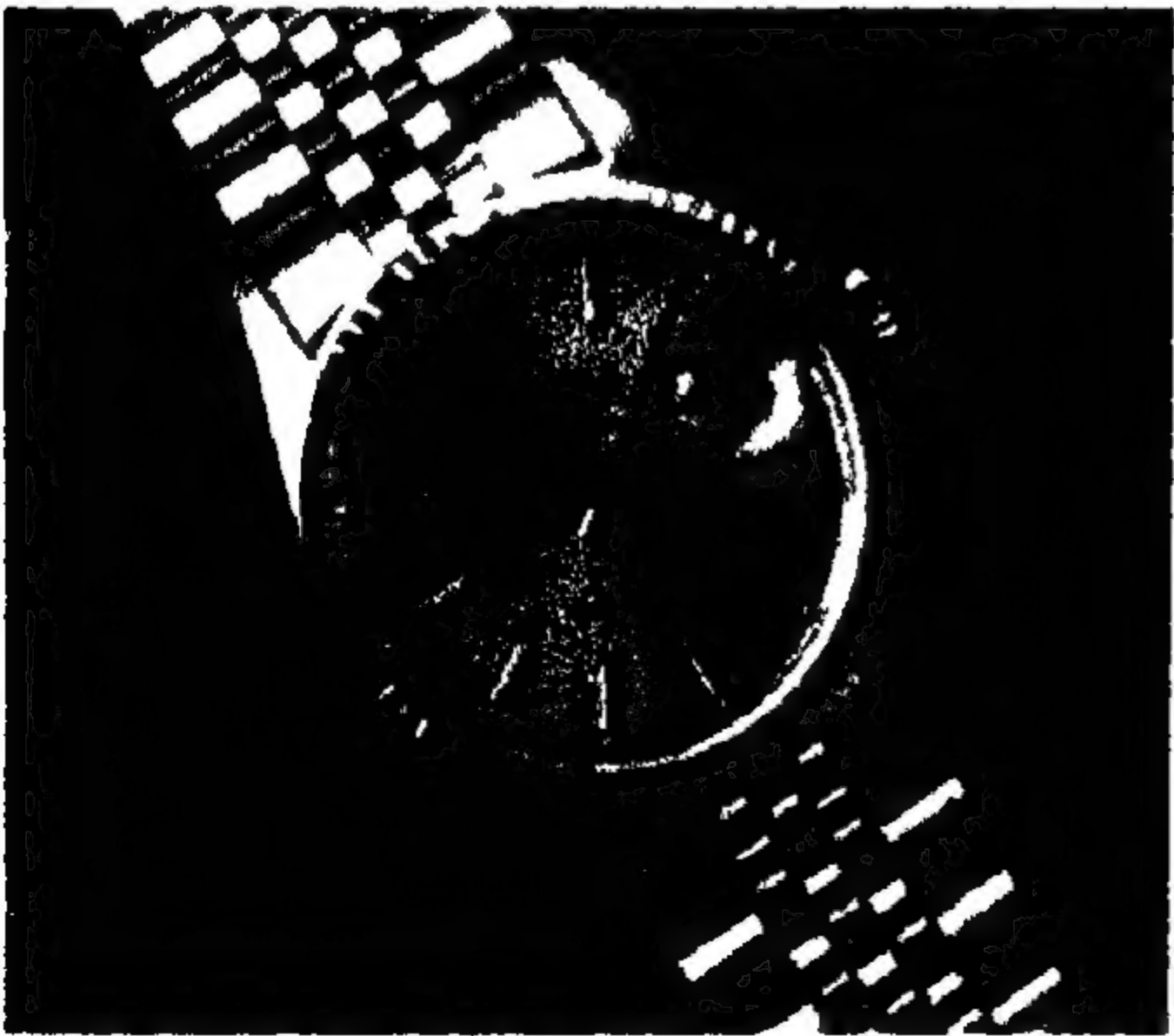


في الصحراء، قليلة هي الأشياء التي يمكن الاعتماد عليها في تلك الأماكن القاحلة قليلة الماء والكلأ، يُعتبر الجمل من الضروريات التي لا يمكن الاستغناء عنها وهو رمزٌ حي لقدرة التحمل والصبر في حرارة الصحاري اللاهبة أثناء النهار، والباردة جداً أثناء الليل.

من دلائل أهمية الجمل بالسبب للعرب، أنه كان الوحدة التي بها يقاس مهن العزوس أو دية القتل. يُضاف لذلك أهميته من ناحية الغذاء، الاستفادة من الحليب واللحم. وفي الكساء، وبر الحمل.

لتلك الأماكن من العالم، حيث الاستقرار والحياة هما دائماً للقوي كثير التحمل، استحدث رولكس ساعة قوية كثيرة التحمل من الذهب الصافي عيار ١٨ قيراطاً أو من المولاد الذي لا يصدأ.

ساعة لا يدخلها الغبار أو الرمال إطلاقاً وذلك بمصنل علبة الأوبيستر المضغوطة على مبدأ المحارة، وقفل السلامة الخارجي المثبت بطريقة ملولية وبإحكام على هيكل الساعة. حركة الساعة المصنوعة قطعة قطعة يدويًا ومجموعة بكل إبتقان ودقّة، لا تتأثر إطلاقاً بالرطوبة أو الماء أو التغيير المفاجئ للحرارة.



رولكس ديت جنت دائية المل من الذهب الأصفر
عيار ١٨ قيراطاً


ROLEX


رولكس

محتويات العدد

العلاقات الدولية والاقليمية

- أمين هويدي ٣٥

استطلاعات مصوّرة :

■ مسلمو بريطانيا مواطنون أم مغتربون ؟

- صلاح حزين ٦٨

■ آخر أيام البادية الأردنية

- سليمان مظهر ١٣٢

طب وعلم :

■ العلاج بالضوء

- د. وليد السباهي ١٢١

■ الجديد في العلم والطب

- إهداء : يوسف زحبلاني ١٢٧

■ سلامة البشرية في سلامة البيئة ١٣٠

■ عن النسر والعقبان

- د. محمد رشاد الطوي ١٥٦



● عن النسر والعقبان ... ص ١٥٦

قضايا عامة :

■ حديث الشهر : في لبنان المذهب :

علينا أن نقلع شوكتنا بأيدينا

- د. محمد الرميحي ٨

■ من دفتر المذكرات : جد حسنة .. وأنا .. ١

- حميد سعيد ٢٠

■ أرقام : (١ = ٩) ١

- محمود المراغي ٦٦

عُروبة وإسلام :

■ العلاقة بين الطبقات : وجهة نظر إسلامية

- د. محمد حمارة ٢٢

■ أفكار لا تموت : هل الشقاق طبع في

العرب ؟

- ساطع الحصري ١١٠

سياسة واقتصاد :

■ الأموال المهربة من بلاد الفقراء

- د. رمزي زكي ٣٠

■ مستقبل « البيرسترويكا » ، وتأثيرها على



وجهها لوجه :
د. لطيفة الزينات
وأمة القائل : ص ٩٢

للجنة

غير متفرقة

إعادة أو حادة

للقضايا النشيرة

والسيرة

غير متفرقة

عند النشر

في وقت آخر

● مسلمو بريطانيا ص ٦٨

أدب وفنون :

- العبور (قصيدة)
- يوسف طافش ٢٨
- بيت متحف (قصة مترجمة)
- سهيل أيوب ٤١
- المسرحية التعليمية والتغيير
- د. حسن عباس ٦١
- قراءة نقدية لكتاب «التجليات» لجمال الغيطاني
- أبو المعاطي أبو النجا ١٠٣
- العمارة للفقراء .. التمسك بالبعد الحضاري
- د. عبدالرحيم ابراهيم احمد ٩٢
- السائق الآلي (قصة)
- د. محمد المخزنجي ١١٢
- الجمرة والنبع (قصيدة)
- حسن توفيق ١٢٦
- جمال العربية :
- صفحة لغة : كلمات نتحاشى استعمالها وهي صحيحة ١٧٦
- صفحة شعر : لو أن أرضي حرة ! للشاعر ابن حمديس ١٧٨

منتدى العربي :

- قضية : هندسة الشخصية الانسانية وتقنية

السلوك البشري

١١٦ اسماعيل المعلم

ناریخ و کثرت و اشخاص :

■ غرائب «المكتوبجي»

۴۴ شریف الراح

■ أسرار الفتنة الطائفية ويزوغ الوعي القومي
في الشام

د. أسعد الاسطواني ٥٠

تجربة محمد علي التحديثية

د. احمد علي ٥٦

■ **وجهها لوجه : د . لطيفة الزيات**

وأمانة النقاش ٩٧

■ **ديفيد ثرو: تجربة وفكر مع الطبيعة**

- طارق الحجى ١٨١

مكتبة العكربي :

■ كتاب الشهر : مختارات من الشعر العربي الحديث

جمال وردة ١٨٥

■ من المكتبة العربية : العالم والعرب
سنة ٢٠٠٠

١٩٠ رافع عبدالرحمن

■ مكتبة العربي : (مختارات) ١٩٤

أبواب ثابتة:

■ عزیز القاریؑ ۷

واحة العرب ٤٨

■ مسابقة العربي الثقافية ١٩٦

■ حل مسابقة العدد (٣٦٤) ١٩٨

■ معركة بلا سلاح (الشطرنج) ٢٠٠

٢٠٢ حوار القراء

الكلمات المتقاطعة ٢٠٧



صندوق العسل

حكاية زور بركة الأردن
 منسوبة إلى حفيظ بن عيسى
 تاريخ باحداه واثار من
 سادس سادس وحيثما
 بود غيب وكان غيب العرف
 من الارض والانساء ان السادة
 من نكاح تلتى مساحة الأردن
 خالع الاستطلاع من ١٣٢

البيت العربي

مجلة الأسرة
والمجتمع

■ دور الأهل في اختيار المهنة المناسبة لأولادهم

- د. هدى طحلاوي ... ١٦٢

■ التشبيهات والألعاب

**التربوية : تقنية مهمة في التربية
العربية**

- د. أنور طاهر رضا ... ۱۶۶

۱۷۰ می هو

طبيب الأسرة ١٧٢ □

■ مساحة ود :

- قال المغيبي ١٧٤

زمنُ الحصار

من علامات الحصار التي طوقت العمل الثقافي العربي - مثله مثل أي نشاط إنساني آخر - لجوء كثير من المثقفين والكتاب الى تمجيد الماضي، دون تمحيص ونقد، والإقلال من الالتفات إلى الحاضر والمستقبل. ووعياً من «العربي» بهذا الأمر، أخذت على عاتقها مناقشة هموم الحاضر والمستقبل وقضاياهما دون إغفال لماضٍ نحن نتاجه. هذه المناقشة ليست نظرية فحسب، وإنما عملية تطبيقية، تمثلت في العناية بالتأج الفكرى لشخصيات مهمة، تعيش بيتنا، والالتفات الى مبدعينا، وكتابنا، ومفكرينا، والاهتمام بتأجهم عرضاً ونقداً ومتابعة وتعريفاً.

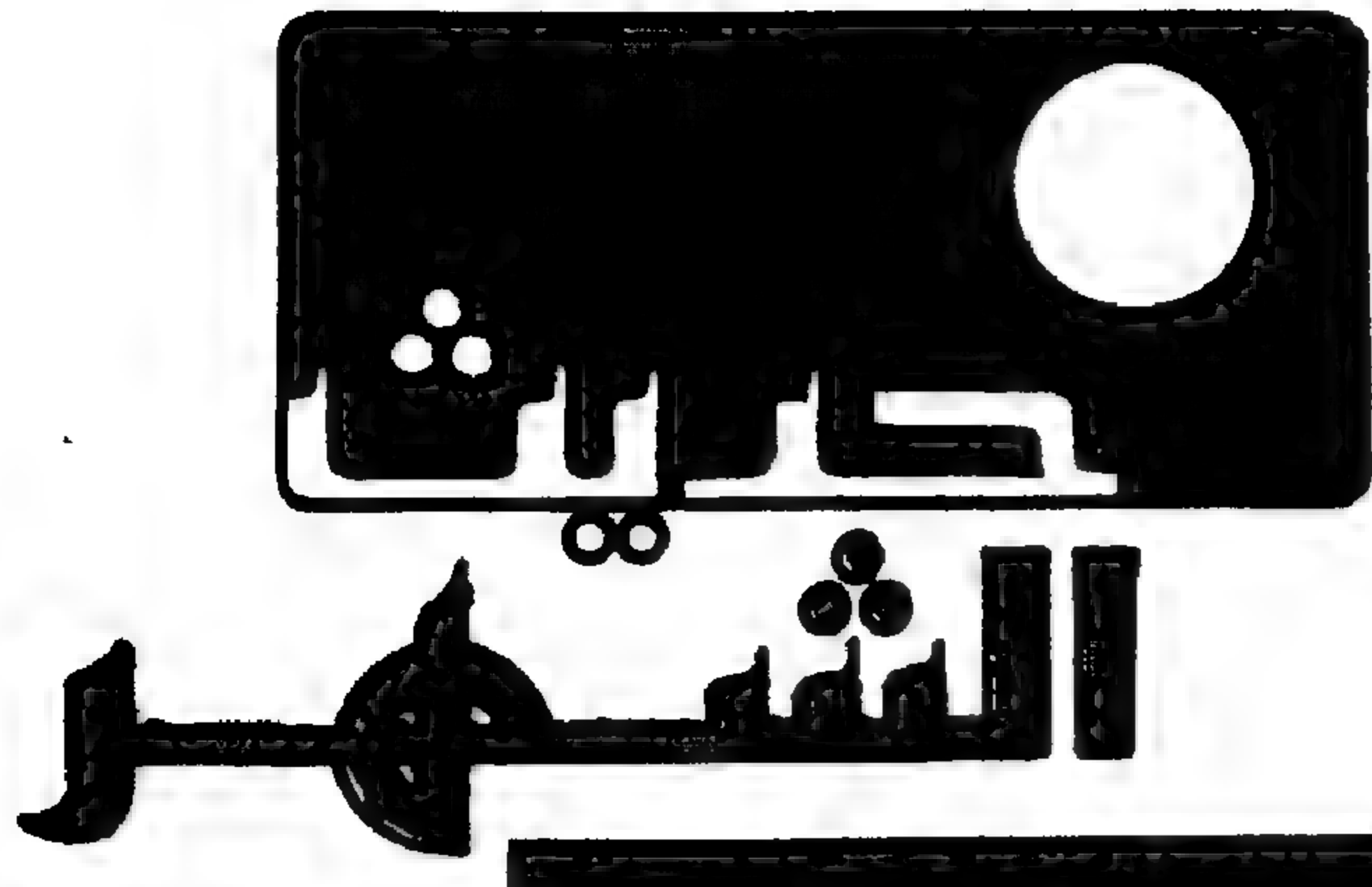
ولقد فقدنا في الفترة الأخيرة مجموعة من خيرة الكتاب الذين أثروا «العربي» وقراءها بإبداعاتهم النيرة، مثل الأساتذة : فتحي رضوان، نعمان عاشور، انجي أفلاطون، توفيق يوسف عواد، وكان بعض هؤلاء قد نشر آخر إنتاجه في «العربي». المبدع الأخير في القائمة توفيق يوسف عواد، من رواد كتابة القصة في الوطن العربي، فقدناه بطريقة مأساوية في لبنان، عندما سقطت قذيفة عمياء على المنزل الذي يقطن فيه، في هذه الحرب اللبنانية الشرسة الهوجاء التي آن لمدافعها أن تصمت. وفي هذا الاطار ننشر في هذا العدد بجانب حديث الشهر الذي كرسناه للمحديث عن لبنان، موضوعاً آخر عن أسرار الفتنة الطائفية في بلاد الشام في القرن الماضي، كتبه الدكتور أسعد الاسطواني.

ويشارك المبدعون العرب في وجبة هذا الشهر من «العربي» بإنتاج متنوع غني، فيه الطريف والغريب، كموضوع «غرائب المكتوبجي» لشريف الراس، وفيه الجاد والمحزن في الوقت نفسه كموضوع د. رمزي زكي عن «الأموال المهربة من بلاد الفقراء»، وموضوع تجربة محمد علي التحديثية في مصر للدكتور أحمد حلمي، ويكتب لنا الدكتور محمد رشاد الطوبى عن طبيعة النشور والعقبات.

ويصحبك هذا العدد باستطلاحي «العربي» الى مناقشة فكرتين مهمتين، من خلال زيارة المكان ومعلله، فالأول في بريطانيا، حيث تحاول «العربي» الاقتراب من عالم المسلمين هناك، همومهم وحياتهم وتجمعاتهم وانتهائهم، لتساؤل معا : هل هم مواطنون أم غرباء؟ بينما يذهب بنا الاستطلاع الثاني الى البادية الأردنية، لتتابع السعي لاستجلاء تحضر البادية وملاحم تطورها.

وأنت تقرأ هذا العدد عزيزي القارئ، ستحصد جهداً وزرعاً، استغرق منا وقتاً وأحساباً، لنعد لك عدداً جديداً، نرجو أن يكون قد حقق تطورا للأمام. مهما كان جهدنا، ومهما كانت أحزاننا على واقعنا المعاصر، وعلى المبدعين الذين يرحلون عنا. فالرحمة لهم، وإلى العدد □.

المحرر



بقلم الدكتور
محمد الرمديّحي

في لبنان المَعَذِبُ : علينا أن نقتلع شوكتنا بأيدينا

لا أستطيع أن أنسى وأنا أكتب هذا الحديث مجموعة من صور العذاب في لبنان ، من بينها صورة لاتبرح الذاكرة ، وأحسبها لن ترح ذاكرتي فترة طويلة ، الصورة لطفلة لم تتجاوز السابعة من عمرها ، تضع رجلا فوق رجل ، وهي جالسة على سرير في مستشفى ، إحدى قدميها مقطوعة ، ومغلقة بشاش أبيض ، ظهرت عليه بقع دم حمراء ، والطفلة تبسم بعناء ، وقد لاتعرف في هذه السن المبكرة معنى تلك العاهة الدائمة ، ولكنها ستبقى معها ما عاشت بعد ذلك . هذه الصورة من عشرات ، بل مئات الصور التي شاهدناها ونشاهدها كل يوم منقولة من لبنان المَعَذِب ، وأينما نلتفت نجد خبرا أو مقالا عن لبنان ، ويضج اللبنانيون بالحيرة والألم ، وتسير الحرب الأهلية هناك بكل خصائصها وسواتها ، كأن أحدا لا يسمع ، وكأن أحدا لا يرى .





• لبنان : بشرية معذبة

■ مازالت
كثير منا
لا يتنرا،
وقتل
من القراء
لدينا
يفهمون
جذور
الآزمة
اللبنانية!

في محاولة ايجاد مخارج لهذه المعضلة المستمرة ، وايجاد حلول منطقية لحرب أهلية غير منطقية ، تدخل عامها الخامس عشر ، يقف كثير من الرجال ذوي الخبرة والشأن بعيدون مترددين عن الولوج في هذا الخضم السياسي ، فللحرب ذبول وآلام ، لا يمكن أن يتحملها بشر ، وقلوب العرب - كل العرب - تتقطع يومياً وهي تسمع وتشاهد مايجل بلبنان ، هذا البلد الذي كنا ننعت بطائر الفينيق الذي ينبعث من رماده منذ سنوات قليلة ، والذي كان كثير منا يحلم « بمركد عنزة » على ثراه ، يتحول الى جحيم حرب ، ويستقل من واحة غناء وبلد ساحر ، الى ساحة دمار شرس ، لا يوفر الطفل أو المرأة أو العجوز ، فال مواطن اللبناني اليوم - من رجل وامرأة وطفل - إما قتل ، واستراح ، أو أنه جريح أو معاق أو مهجر في وطنه ، أو هائم على وجهه في بقاع الأرض المترامية . بلد الفرص الاقتصادية المتاحة للثراء أصبح اقتصاده شبه منهار ، وبلد التعايش سقط في براثن الحقد الأعمى .

لقد تغير كل شيء في لبنان خلال الخمس عشرة سنة الماضية ، تغيرت التحالفات واختلفت وتناقضت ، وأطلقت عشرات المبادرات ، وفشلت أو أفلست ، ومات بعدها وعانى عشرات الألوف من اللبنانيين

■ إن فشلت الجهود العربية في لبنان تعرض الأمم العربية ككله للخطر

وغيرهم ، والذي لم يتغير في لبنان حتى الساعة هو حقيقة واحدة ، ألا وهي استمرار الحرب الأهلية ، واستمرار معاناة المواطن العادي الذي دفع - وما يزال يدفع - ثمننا باهظا لهذه الحياة ، أو قل للمخاطرة بهذه الحياة ، إن كان في المخاطرة ، أو في الطرقات وهو يركض لتأمين لقمة الخبز لعياله ، أو الموت البطيء في المنافي والمهاجر .

لقد دخل اللبنانيون التاريخ من أكثر من باب ، ولكن أبشع تلك الأبواب حربهم الأهلية هذه ، فقد قامت الحروب الأهلية التي عرفها التاريخ الحديث منذ الحرب الأهلية الأمريكية في القرن الماضي ، مروراً بالحرب الأهلية الإسبانية ، والحرب الأهلية في روسيا بعد الثورة البلشفية ، وكذلك في الصين في منتصف هذا القرن ، وقامت حروب عديدة في العالم الثالث : في كوبا ونيكاراجوا والسلفادور في أمريكا الجنوبية ، وفي نيجيريا وزائير في إفريقيا ، وباكستان وكمبوديا في آسيا ، وإيرلندا الشمالية وقبرص في أوروبا . وكل تلك الحروب لم تصل إلى هذه الدرجة من الشقاء ، والشقاق الطائفي والعائلي والاقتصادي والاجتماعي والجغرافي والنفسي ، على مساحة صغيرة ، لا تتعدى ١٠٤٥٢ كم^٢ ، وفي مجتمع يضم فقط ثلاثة ملايين ونيّف من البشر ، وعلى هذه الدرجة - أو كان على هذه الدرجة - من مظاهر التقدم المدني والازدهار الاقتصادي . وهذا الأمر يعود - حسب اعتقادنا - إلى عجز الإنسان في لبنان عن التصدي الحقيقي لمشاكله وحلها الحل الأوفق .

الإرادة العربية :

قضية في مثل هذا التعقيد تحتاج إلى قلوب وعقول كبيرة لاحتوائها ، ومحاولة فتح قنوات سليمة وسلمية ، كي يتصاعد البخار قبل أن ينفجر القدر بما فيه وعلى من حوله . وهنا يجب أن نذكر - بكل العرفان - بالجهود العربية التي ما أن انزاح عنها خطر الأخطار ، وهو حرب الخليج ، وصممت المدافع هناك حتى التفتت إلى لبنان ، تتلمس مخرجاً لمساعدة مواطنيه ، للخروج من هذا النفق الشرير الذي امتد على مساحة من الزمن . دخل منذ فترة ستة الخامسة عشرة . فمنذ مطلع هذا العام ، وبعد اجتماع وزراء الخارجية العرب في الثاني عشر من يناير المنصرم الذي تم فيه الاتفاق على تشكيل لجنة عربية سداسية ، أنيط بها الاتصال والاستماع ، ثم تقديم تقرير عن الحل الذي يمكن تطبيقه في لبنان للمساعدة على الوصول إلى وفاق وطني لبناني ، وتحقيقاً لهذا الغرض قامت هذه اللجنة بعقد اجتماعات عديدة ، واتصلت

● في لبنان المقلب : علينا أن نطلع شوكتنا بأيدينا



بالرئاسات اللبنانية السياسية منها والروحانية ، ويمثلي الأحزاب والفئات المختلفة* وقد قدر أن يكون رئيسها الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح ، نائب رئيس الوزراء ، وزير الخارجية الكويتي الذي أعطاهما من خبرته وقدرته التفاوضية الكثير ، وأفادها تصميمه كذلك للوصول بها الى أهداف ملموسة ، مرتكزا على مالدبلوماسية الكويتية - عبر السنوات الماضية - من تجارب ناجحة في معالجة عدد من الأزمات العربية والاقليمية ، والوصول بها الى ساحل الأمان .

ولقد كان لتلك الأسباب المتمثلة بشخصية الرئيس

وخبرته ، وتراث الدبلوماسية الكويتية

القائمة على الاتزان والتعقل والحوار ، أكبر

الأثر في التوكيد على أن الخلافات العربية ماهي إلا ضعف للعرب وقوة لأعدائهم ، وأن التضامن العربي هو المظلة الأكثر أمانا والأفضل سبيلا .

وهكذا سار الشيخ صباح الأحمد في الأشهر القليلة الماضية للتقليل من الاعتراضات ، ومحاوله تنمية التوافقات ، وطرح الخيارات المناسبة للمصلحة العامة ، معتمدا على رصيد داخلي واقليمي وعربي وعالمي من الامكانيات والعلاقات ، حتى لم يعد لبناني معني بالأمر إلا وتوقع خيرا ، وهكذا كان ، فصدرت قرارات مجلس وزراء الخارجية العرب في ٢٨ ابريل الماضي ، مما أعاد الثقة لفتح طريق الوفاق اللبناني . وبدأت قرارات الجامعة العربية تأخذ طريقها الى التنفيذ في لبنان وهي خطوات

● اللجنة مكونة من الكويت (رئيسا) ، وعضوية كل من الإمارات وتونس والأردن والسودان والجزائر ، وكذلك الأمين العام للجامعة العربية .

* الشيخ
صباح
الأحمد :
فيما صنعه
سراوه

افتقدناها منذ زمن طويل . ومهما كان هذا الطريق طويلا ومليئا بالشوك ، فعلىنا أن نقتلع شوكنا بأيدينا ، ولا ننتظر من أحد أن يفعل ذلك .

دروس جديدة في العلاقات الدولية:

لو كان الظرف ظرفا آخر ، والزمن زمنا آخر ، لحق لبعض الأطراف التوقع ، أو الأمل في تدخلات عالمية ، من قبل قوى كبيرة أو متوسطة في الشأن اللبناني ، ولكن الظرف والزمن مختلفان ، فعلى مدى الأربع عشرة سنة الماضية حاولت أكثر من قوة خارجية أن تتدخل في لبنان ، وسرعان ما احترقت أصابعها . تم ذلك من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا ، فقد حاولت كل على حدة ، أو بالاتفاق ، التدخل في الشأن اللبناني ، كما حاولت التدخل قوى دولية أخرى ، وإن لم يكن بشكل مباشر ، بل من وراء ستار ، إلا أن محاولاتها جميعها قد باءت بالفشل . فإذا ما أضفنا إلى احتراق الأصابع الذي أصاب القوى الدولية ما يشهده المسرح العالمي من انفراجات في أكثر من مكان ، ومن سياسات جديدة ، أدركنا أن الوصاية صعبة وشاقة ، على من يريد أن يفرضها ، وكذلك على من يعانيها ، بالإضافة إلى التجارب الأخيرة التي أكدت أن التدخل بالقوة لا يمكن أن يحل مشاكل سياسية ، عرقية ، طائفية ، ابتداءً من فيتنام ، مروراً بأفغانستان ، إلى غرانادا وإيرلندا الشمالية وتشاد وأنجولا .

أضف إلى ذلك الانفراجات التي سادت سماء الشرق الأوسط وغيره من مناطق التماس منذ فترة . ولعل أبرزها وقف الحرب العراقية الإيرانية ، مروراً بالانسحاب السوفيتي من أفغانستان ، والتطورات الجارية على الساحة الفلسطينية بعد الانتفاضة المجيدة ، ونتائجها السياسية .

هذه الانفراجات - وبعضها ليس قليل النتائج والدروس - أشاعت جواً من التفاؤل العربي في انفراج أكبر ، على أصعدة كثيرة ، يمكنها أن تقودنا للعودة إلى الأجواء الطبيعية ، وجزء من هذه الأجواء الطبيعية أن يقوم العرب بإحلال إرادتهم محل إرادات الآخرين ، وتقوم مؤسساتهم بدورها الفاعل المتوقع ، وهكذا كان . فمن خلال اللجنة السداسية المنبثقة عن الجامعة العربية ، بدأت الجهود المضنية لدراسة الوضع في لبنان ، وتقديم اقتراحات وحلول لتطويق الخلاف ، والبدء باتخاذ

■ احتلال
إرادة العرب
في حل
مشاكلهم
هو امتحان
المرحلة

خطوات عملية في هذا المجال ، فلو تركت الأزمة اللبنانية تتفاعل دون هذا التدخل الحكيم ، لكان أمامنا طريقان ، لاثالث لهما ، يقودان الى النتيجة نفسها ، إما زيادة اقتتال اللبنانيين بشراسة أكبر ، يليها تدخل قوى اقليمية غير عربية ، من بينها « اسرائيل » ، أو يؤدي الاقتتال الى تدخل قوى كبرى ، لمساندة هذا الطرف اللبناني أو ذاك ، وتعريض المنطقة لدورة أخرى من التشابك العالمي ، وكلا الطريقين يؤديان الى تفاعل الصراعات ، وتطور الأزمات ، حتى تصيب بشرونها الأقربين والأبعدين من العرب ، مما يدخلنا في دوامة عدم الاستقرار من جديد .

لذلك فإن النتائج التي توصلت اليها اللجنة السداسية ، بجهد وإصرار من رجل سياسة له ميراث وثقل مثل صباح الأحمد ، قد فتحت آفاق الحلول ، على الرغم من العقبات والصعوبات الكأداء التي واجهت اللجنة ، مما يمكن أن يساعد على وقف هذا الاستنزاف من الموارد الاقتصادية والبشرية والمعنوية ، ويجنب المنطقة دورة أخرى من العنف والعنف المضاد ، فتدمير لبنان يعني تدميراً لصيغة تعايش في مجتمع تعددي ، لبنان مثاله ، لكنه ليس المثال الوحيد .

وفي السياسة الخارجية - كما استقر عليه علم السياسة - هناك حوافز وعقوبات . الحوافز هنا أن يذوق اللبنانيون ولبنان الرحمة والأمان ، والعقوبات أن يظل الاقتتال في لبنان سجلاً ينزف فيه لبنان وتنزف فيه الأمة العربية ويعرض الأمن القومي العربي للخطر الأكيد .

يبدأ بلبنان ولا ينتهي فيه !

الحوار هو أحد الأبواب الرئيسية الذي يمكن أن يذوق لبنان من خلاله الرحمة .

فوجوب التحاور عند الاختلاف أحد المحاور الرئيسية المطروحة في عالمنا المعاصر ، والمطلوبة بخاصة في وطننا العربي ، والحوار على الاختلاف يبدأ بلبنان ولا ينتهي فيه ، سواء كان هذا الاختلاف مذهبياً أو طائفيّاً أو غير ذلك . وسيظل التحاور عند الاختلاف هو إحدى القضايا التي يتوجب علينا جميعاً أن نواجهها في السنوات القليلة القادمة .

إن سقوط لبنان « الوطن » لا يعرضه شيء ، ولا يُبرر تحت أي ظرف أن يقوم أبناء الوطن الواحد بتدمير وطنهم ، بسبب عطب في نظامه السياسي ، فتلك جاهلية كبرى ، وذلك هو نتاج التجربة اللبنانية التي

■ سقوط
لبنان
« الوطن »
لا يعرضه
أ شيء
وتمزيقه
لا يُبرر
تحت أي
ظرف

نرى أثرها في عيون جميع المشردين اللبنانيين الذين يقول لسان حالهم عن القوى الكبرى - بعد تجربة مريرة - « إن رضوا عنك ما أفادوك وإن غضبوا عليك ما أضروك ». ولم يبق إلا الخيار العربي والجهد العربي ، فكانت اللجنة السداسية التي كونت رأيا عربيا ضاغطا باتجاه تحريك الموضوع اللبناني . لقد قال لي أحد اللبنانيين الخبراء ، وهو أستاذ في العلوم السياسية ، راقب عمل اللجنة العربية عن كثب : إن صباح الأحمد يريد اختصار المراحل من أجل وفاق اللبنانيين ، فهو مرن ، منفتح ، طبيعي ، صادق ، وما الهجوم على اللجنة وعلى حركتها السريعة من بعض الأطراف إلا دليل على أن الدواء العربي الذي يقدمه رئيسها هو الدواء الناجع .

إن نجاح اللجنة السداسية نجاح للعمل العربي المشترك الموحد ، وقد كان فشلها - لا سمح الله - سيؤدي الى نتائج وخيمة ، ربما لا تقتصر على لبنان وحده ، لكنها ستؤثر حتما حتى على الانجازات السياسية التي تم تحقيقها على صعيد القضية الفلسطينية .

لقد حققت اللجنة السداسية هدفا مهما ، هو وضع الإشكال اللبناني على جدول الأعمال العربي ، ثم العالمي ، بعد أن كان الجميع ينظرون الى اقتتال الإخوة هناك نظرة لا مبالية باردة . وأعطت اللبنانيين أملا كبيرا في تحقيق الوفاق في الأيام القادمة ، والمطلوب الآن أن يقوم اللبنانيون بإعادة اكتشاف أنفسهم ، وعليهم قبل كل شيء أن يجروا عملية نقد ذاتي ، بدلا من توجيه النقد الى الآخرين ، أو نقد بعضهم بعضا .

المستجدات اللبنانية :

مفردات الأزمة اللبنانية - بتاريخها الحديث والقديم - موضوع معاد ، فمنذ الحرب الأهلية في منتصف القرن الماضي تقريبا (حرب ١٨٤٠ - ١٨٦٠) ، مرورا بالاستقلال والميثاق الوطني ولبنان الكبير ، وعطفا على التدخلات الفرنسية والبريطانية والأمريكية و « الاسرائيلية » أخيرا ، وكذلك المداخلات الاقليمية ، كل ذلك مكتوب وموثق ، شبع من قرأ عن لبنان أو اهتم بتاريخه من متابعة تفاصيله ، إلا أن مستجدات الساحة اللبنانية هي الأهم والأكثر لفتا للأنظار ، وهذه المستجدات لا تبدأ - كما يعتقد بعضهم - بحادث « الباص » الأشهر في ابريل ١٩٧٥ ، فلقد فوجيء الكثيرون بهذا الحادث ، وما تلاه من تفجر لأزمة تداخلت فيها قوى كثيرة . ولكن بذور الأزمة كانت أقدم من ذلك .



● في لبنان المطلب : علينا أن نطلع شوكتنا بأيدينا

■ افنتساد
فضيلة
الحوار
بين القوي
الاجتماعية
يُدفع
بالأوطان
الى الهاوية

صحيح أن الأسباب المباشرة لتفجر الحرب الأهلية كانت ذاك الحادث ، وصحيح أن هناك عوامل إقليمية (خارجية) ، ساعدت على هذا التفجر ، إلا أن الصحيح أيضا أن هناك عوامل داخلية ، لو لم تكن موجودة ، لما حدث ما حدث في لبنان ، أو على الأقل لما حدث بهذا العنف الشرس ، ولما استمر كل هذا الزمن الطويل . إن العوامل الداخلية الرئيسية التي أدت الى الانفجار تتمثل في قصور النظام السياسي اللبناني للتواءم مع المستجدات الاجتماعية في لبنان ، في بلاد تتكون من سبع عشرة طائفة ، سبع منها رئيسية ، يتراوح تمثيلها النسبي بين ٢٩٪ الى ٤٪ من مجموع السكان (تقريبا) .

لقد كان قصور ذاك النظام السياسي عن احتواء المتغيرات والمستجدات ، والمواءمة بين القديم والجديد ، محط تحذير لكثير من العالمين ببواطن الأمور من الكتاب ، ولقد كان كتاب مثل : وجيه كوثراني ، ايليا حريق ، غسان سلامة ، مهدي عامل ، (د . حسن حمدان) ، وآخرين في قائمة طويلة ، لهم سبق في التحذير ، وكانت قراءاتهم لواقع ما كان عليه لبنان تدعوهم لدق ناقوس الخطر ، والتحذير من الانفجار القادم ، دون جدوى حقيقية . وما زال كثير منا لا يقرأ ، وقليل من القراء لدينا يفهمون . واحد من الذين كتبوا بتوسع عن هذا الموضوع هو مايكل هدرسون ، أستاذ العلوم السياسية في جامعة جورج تاون في واشنطن الذي أصدر دراسة قبل عشر سنوات من الانفجار المروع تقريبا (١٩٦٨ م) ، وسماها (لبنان : الجمهورية الهشة) *

فقد لاحظ هدرسون أن النظام السياسي في لبنان ينطوي على تعدد غير صحي من اصحاب الأدوار السياسية (أكثر من رأس) ، في غياب الرأس القادر على السيطرة على النظام ككل ، بمعنى غياب السلطة الشرعية التي تستطيع أن تفرض الرأي النهائي ، إن قام خلاف حاد بين الاطراف المعنية فيه ، بوسائل فعالة ، وتكون قراراتها مقبولة لمعظم الفئات . لقد كان للبنان نظام متعدد الرؤوس ، كما لاحظ الكاتب ، وذكر ايضا أن النظام السياسي اللبناني كان في حالة ركود ، ولا يستوعب التطورات الاقتصادية والاجتماعية الجارية والمشاهدة ، ونبه الى خطورة هذا النوع من عدم التوازن ، حيث تبرز قوى اجتماعية جديدة ، لا تجد لها تعبيراً سياسياً مناسباً داخل النظام ، والنتيجة المنطقية لوضع كهذا أن

* Michal Hudson, The Precarious Republic, Political Modernization in Lebanon, New York, 1968.

■ أكلة الجبنّة التّذين أجسادوا التّقطّاط الكستناء من النار بأصابع غيرهم

يتحول العمل السياسي الى مجموعات لا حصر لها من الضغوط، والضغوط المضادة، يؤدي استمرارها الى صراعات حادة تقود بعد ذلك للجوء الى القوة، وهكذا كان. ولم يكن مايكل هدرسون وحده هو الذي توصل الى هذا التحليل، بل سبقه ولحقه بجانب من ذكرناهم آنفاً كتاب مثل : حليم بركات، وعصام نعمان، وموريس الجميل، وفؤاد خوري، وآخرون من قائمة طويلة من الكتاب والمثقفين اللبنانيين الذين لاحظوا تزايد ضعف حس المواطن اللبناني بالدولة، والهروب المتزايد من العمل السياسي الحديث في دولة مؤسسات، الى اللجوء لأحضان الطائفية والاقطاع السياسي. وحذروا بشدة من تجاهل الإصلاح السياسي والاجتماعي اكثر من اللازم، حتى لا تفوت الفرص!

هذا التلكؤ السياسي اللبناني، في ظل من ساهم الرئيس فؤاد شهاب (بأكلة الجبنّة) من السياسيين التقليديين الذين أجادوا اخراج الكستناء من النار بأصابع الآخرين - كما يقول المثل الفرنسي - وفي ظل صيغة خاطئة للوفاق الوطني، كل ذلك قاد داخلياً الى هذا التفجر وهذا الاقتتال، وسيظل هذا القصور في النظام السياسي قائماً ماظلت فكرة سيطرة طائفة على بلد لا تأخذ في حسابها مشاركة الطوائف الاخرى لها مشاركة حقيقية في السلطة والثروة، أي أن فكرة العدالة الاجتماعية لا تنحصر في التوزيع (المادي) للثروة وإنما تمتد الى التوزيع (المعنوي) للسلطة، أو بالأحرى مشاركة المواطنين على اختلافهم، لكونهم مواطنين لا غير في خيارات الوطن وفي إدارته .

ولكن المأزق الذي يواجهه اللبنانيون اليوم - بكل طوائفهم - هو حقيقة بسيطة، مفادها أنه بعد كل هذا الاقتتال فإن الرصاص والقنابل والتفجيرات في النهاية لا تأتي بحل مرض، بل قد تأتي بحل قاهر، لكنه ليس مرضياً، وقد تقبله بعض الأطراف الآن اضطراراً، ثم ينقلب الأمر الى ضده اذا توافرت ظروف أخرى، وصفحات الحرب الاهلية اللبنانية، عندما تكتب بوعي، تشير الى النتيجة المنطقية الوحيدة، وهي أن هذا الشعب شعب واحد، وليس شعبين أو أكثر، ومصالحه واحدة، وأن الوطن ضرورة، والطريق اليه هو الحوار، وإن قيل: إن تجربة التفاوض والتحاور لم تجدد على الرغم من تكرارها، فالقول الأصح أنه حتى الحرب بالقصف المدفعي المتبادل لم تجدد، على الرغم من تكرارها مرات كثيرة،



لذلك فالصبر في التحاور أفضل من الصبر على القنابل وتحطيم الوطن، فعل اللبنانيين، بدلاً من لوم الآخرين، أن ينظروا في المرآة ليروا أنفسهم.

إدارة الأزمة:

لا يبدو أن الخلاف ذو بون واسع بين فئات اللبنانيين اليوم، فخطوات الإصلاح السياسي، واستيعاب المستجدات الاجتماعية، وإكمال المؤسسات الشرعية، كانتخاب رئيس الجمهورية ورئيس مجلس النواب وتعيين مجلس وزراء موحد، خطوات يبدو أن الجميع متفقون عليها من حيث المبدأ، ويكاد يجمع اللبنانيون على عدم العودة الى النظام القديم، فذلك يجب إصلاحه وتطويره، ولكن يبدو أن الخلاف هو على الاجابة عن سؤال (كيف، ومتى)، أي: كيف يحدث التطوير؟ ومتى؟ هناك بعض القلة من اللبنانيين الذين يرون أن النظام اللبناني السابق عادل ومعقول ولا داعي لتغييره، وهناك قلة أخرى، على الطرف الآخر، لا تطالب بتغيير النظام فحسب، بل بتغيير جوهر الصيغة أيضاً، إلا أن الأكثرية اللبنانية ترى أن التطوير مطلب ضروري للبنانيين، وقضية حتمية دون المساس بالصيغة، وبما أن الاختلاف على علة النظام واسع وشامل، فإن الاختلاف على وصف الدواء الناجع أيضاً واسع وشامل. وتستوقفنا ثلاث محطات رئيسية في محاولات التطوير وحل الأزمة خلال الأربعة عشر عاما الماضية، وقد بحثت بالتفصيل بعض هذه المحطات في كتابات موسعة، لعل أشهرها ماكتبه غسان سلامة بهذا الخصوص. المحطة الأولى هي الوثيقة الدستورية سنة ١٩٧٦، وهي وثيقة تؤدي الى توافق الطوائف اللبنانية، فهي تكرس الرئاسات الثلاث: رئاسة الجمهورية لماروني، ورئاسة الوزراء لمسلم سني، ورئاسة مجلس النواب لمسلم شيعي، مع مناصفة في مقاعد مجلس النواب (الذي يتكون بنسبة ٦:٥ في النظام القديم لصالح المسيحيين) وكذلك انتخاب رئيس مجلس الوزراء من قبل المجلس النيابي، مع مجموعة من الخطوات الفرعية الأخرى التي تقود إلى إصلاح النظام.

المحطة الثانية في محاولات الوفاق الوطني اللبناني التي حدثت بعد ذلك بعشر سنوات تقريبا (١٩٨٥)، وقد سميت «الاتفاق الثلاثي» ووقع عليه قادة ثلاث (ميليشيات): الدروز، الشيعة، الموارنة، وقد مثل هذا الاتفاق الثلاثي طموحا أكبر من الوثيقة الدستورية، وهو في جوهره

■ في عقد
التسعينيات
مطرب
من العرب
إيجاد
حل
سامية
للتعددية
الاجتماعية

■ الحـرب
في لـبنـان
وتـحـدي
الفرصة
الأخيرة

يحاول أن يستبدل الصيغة الطائفية لصالح صيغة وطنية أكثر شمولاً. إلا أن كلا المحاولتين قد سقطتا، كل لأسباب مختلفة، والنتيجة المحزنة أنه بدءاً من نهاية العام الماضي قد فرغت المؤسسات السياسية اللبنانية من رؤوس منتخبة شرعية، بدءاً من رئيس الجمهورية، وانتهاء برئيس مجلس النواب - نظراً لاستيفائهما الفترة الشرعية الدستورية لانتخابهما - مروراً بوجود حكومتين، كل تدعي شرعيتها بشكل من الأشكال. وهكذا سقط لبنان في فراغ دستوري.

الفرصة الأخيرة:

أما المحطة الأخيرة للإصلاح وحل الأزمة فهي الجهود المبذولة في الأشهر الأخيرة من قبل اللجنة السداسية التي ما زالت في طور الانضاج والإثمار.

إن مقاومة الحل الوفاقي في لبنان اليوم مقاومة متعددة الأطراف والأشكال، فهي ليست بالسلاح فقط، بل إن هناك نوعين بارزين منها على الأقل، تتقاطع بينهما الخطوط: الأولى تتمثل في أن الحرب الأهلية قد أصبحت نظاماً في لبنان، له كل خصائص النظام وآلياته، فمن ولد عند انفجارها أشرف اليوم على الخامسة عشر من عمره، ومن كان ذا عشر سنوات أصبح في ريعان شبابه، وقد خلقت تلك الحرب الأهلية قواعدها وأنظمتها، كما قاوم (نظام) الحرب الأهلية مقاوميه بالعنف تارة، وبالخيلة تارة، وبالسياسة تارة ثالثة، أما المقاومة الثانية للحل الوفاقي التي خلقتها الحرب الأهلية فهي مقاومة بعض النفوس والعقول في لبنان لتسوية سياسية.

ولكن بعد كشف أوراق هاتين (المقاومتين) واستنفادها، فإن على اللبنانيين والعرب الآخرين التعامل معهما من منطلق المصالح البعيدة لا الآنية والتي تحقق ملء الفراغ الدستوري والمصالحة الوطنية بين اللبنانيين. وذاك مطلب لبناني وعربي، وهو مطلب لو تعرفون كبير في ظل ظروف الحرب والنزاع، وهو مطلب كان الشغل الشاغل للجنة السداسية، فجاءت قراراتها مؤكدة وحاضرة عليه.

بقي أن يدفع كل المخلصين هذه الخطوات إلى الأمام قبل أن تضيع الفرصة الأخيرة □

محمد الزبيدي

اقرأ في عدد يوليو من مجلة :

العرب

التجربة السعودية في الزراعة :

شمرات من الأعناب والنخيل والسنابل

□ أنور الياسين

الأعمار طويلة والأسنان لامعة

في بلاد الشركس والقراطشاي !

□ سليمان الشيخ

■ الخصائص الذاتية للثقافة الإسلامية د. محمد فاروق النعمان

■ صورة إنسانية عن الحب والموت أمينة السعيد

■ المصالح قبل المبادئ : عبد الرحمن العتيقي

■ حوادث الطائرات .. خلل أم لا هتمال ؟ ربا عارف الرفاعي

■ «بالونة» تنقذ مريض القلب ! د. أنيس فهمي

□ ملف عن الثورة الفرنسية في ذكراها المئتين يشارل - فنيه :

الدكتور رياض معمر والدكتور زينب عبد العزيز

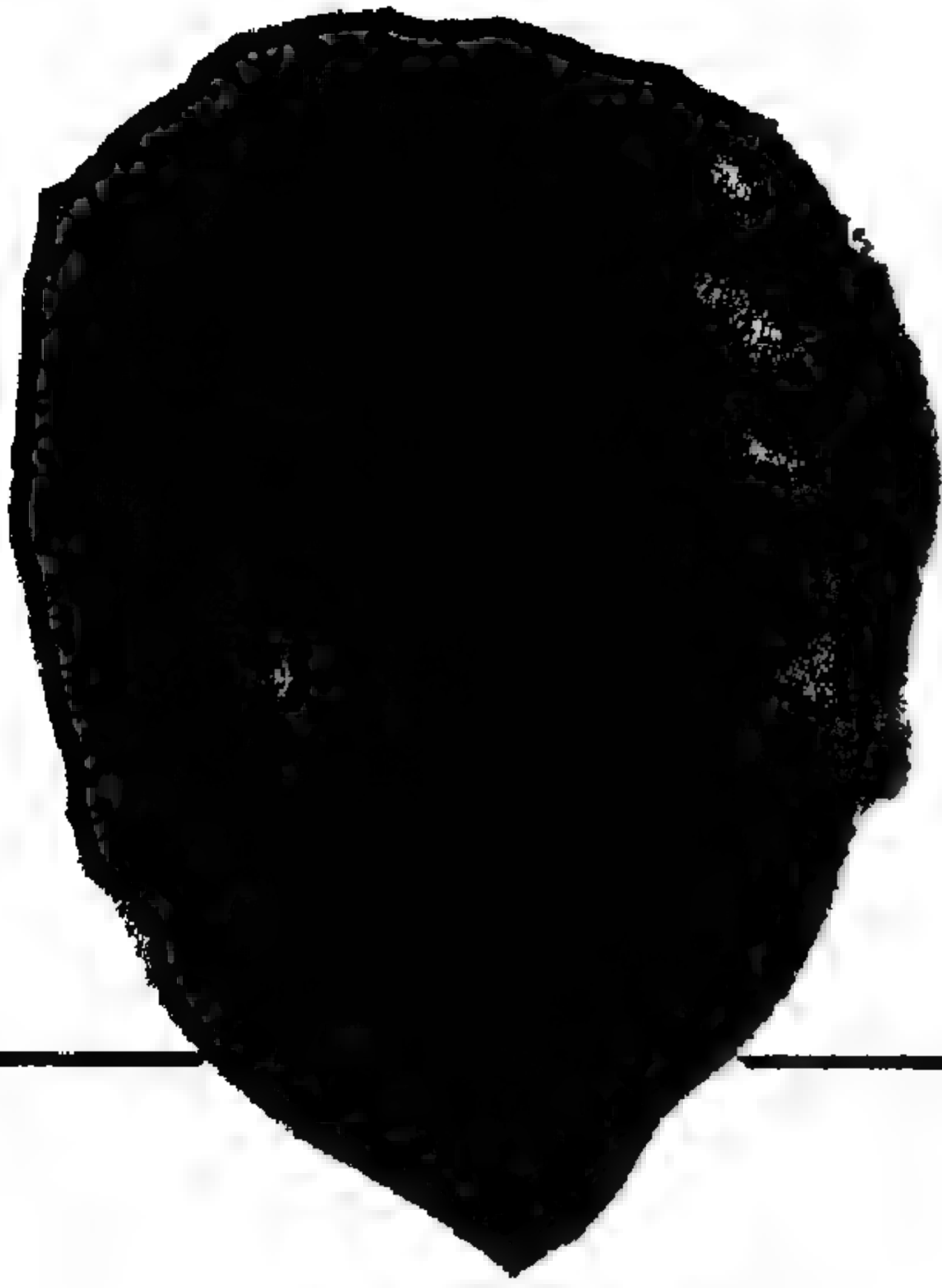
■ وجهتا الوجهة : بلند الحيدري ومحمد أمين أبو الرب

■ إعادة الحياة إلى دور السينما رؤوف توفيق

□ واقرأ أيضاً للكاتب :

• د. محمد الرضي • مري مشيع العيش • د. نقولا زبيادة • يوسف الشاروني

• د. أنور عبد الله • محمد الظاهر • أحمد حسين عودي • محمد عبد المجلي



(الحياة مجموعة من الخبرات المتنوعة ، وليس بالضرورة أن تتشابه وتكرر ، إنما كثير من الخبرات منفردة تضيف معنى جديدا للحياة ، وتعطيها لذة التراكم ، وقد اختارت العربي مجموعة من المميزين العرب ليروي كل بطريقته الخاصة بعضا من ذكرياته التي أصبحت دروسا في الحياة) .

جَدُّ حَسَنَةٍ .. وَأَنَا .. !

بقلم : حميد سعيد *

والأقل أهمية في صناديق من الورق المقوى .
منذ عام ١٩٦٤ ، حيث غادرت مدينة الحلة ،
وإلى بدايات عام ١٩٦٩ ، حيث تزوجت ، تنقلت
بين عدد من المدن العراقية ، وأقمت في بيوت
الطلاب والشقق والفنادق .
وفي هذه السنوات ، عرفت العسر وعدم
الاستقرار ، لكن لم أنقطع عن شراء الإصدارات
الجديدة والاحتفاظ بها في المكتبة نفسها الموجودة في
بيت العائلة بمدينة الحلة ، وبمرور الأيام كبرت
المكتبة واغتنت وتميزت بالتنوع .

بدأت منذ سني الصبا تكوين مكتبي
الخاصة ، وفي البدء اتخذت من صندوق
خشبي من موروثات العائلة ، مكانا لها . وحين
ضاق الصندوق بمقتنياتي من الكتب ، اتخذت من
رفوف جدارية - تسمى باللهجة العراقية
« الدارجة » و « الرازونة » - مكانا لكتبي . وكان
ذلك في بيت والدي بمدينة الحلة .

في أواخر الخمسينيات اقتنيت أول مكتبة
خشبية ، كانت متوسطة الحجم ، استوعبت الجديد
من كتبي ، حتى إذا ضاقت بها جمعت القديم منها

حين تزوجت وفتحت بيتي في بغداد ، طلبت مني والدي - رحمه الله - أن تبقى المكتبة في مكانها ، فاستجبت لطلبها ، ولم آخذ منها إلا عددا قليلا من الكتب ، أذكر منها «سيرة ابن هشام» ، و«صحيح الامام مالك» ، و«خطب المفريزي» ، و«حاشية أبي تمام» ، و«ديوان المتنبي» ، و«جرير» ، ورواية «الساعة الخامسة والعشرون» ، وبعض دواوين الشعر العربي الحديث .

إن المكتبة انني ألتحدث عنها ، ما زالت في بيت والدي ، على الرغم من أن شقيقا لي مختصا بالأدب الأندلسي ، أنشأ مكتبته الخاصة في البيت نفسه ، إلا أنه حرص أيضا على عدم تداخل المكتبتين . ربما لأنني نشأت في بيت لا علاقة له بالكتاب ، صار حرصي على الكتب لا حدود له ، ولا أتردد عن أن أقول : إنه حرص الجشع والبخل . ويشهد الله أنني في سوى الكتاب على العكس تماما .

في أيام زواجي الأولى ، بدأت بتكوين مكتبة جديدة ، وكان من النادر أن أدخل البيت دون أن أحمل كتابا أو رزمة من الكتب .

في تلك الأيام كانت تعيش معنا طفلة يتيمة ، في الثامنة من العمر ، على قدر غير قليل من الذكاء ، وهي من أسرة ريفية ، تمت إلى زوجتي بصلة الرحم .

كنت ألاحظ عليها الجفوة في علاقتها معي ، على الرغم من كل ما أبدته تجاهها من محبة وعطف . وأحس بامتاعها من كتيبي ومكتبي ، بل ومن أصدقائي الذين أستقبلهم في غرفة المكتبة .

ولأنني لا أحرف التبضع ، ولأنني كنت باستمرار أعتمد على عائلي في إيجاد ما أحتاجه ، فقد استمر هذا الوضع بعد الزواج ، واعتمدت ثانية على والد زوجتي في جلب ما يحتاجه البيت من طعام أو غير ذلك من الأشياء .

في مساء صيف بغدادي ، انتهيت إلى زوجتي وهي تتكلم على ضحكة كلما نظرت إلى الطفلة ، فما كان لي إلا أن أسألهما بضحكها ، فقالت : إن «حسنة» - وهذا هو اسم الطفلة - تعتبرني سيئة الحظ بزواجي منك ، وقد قالت لي : لماذا لم يرزقك الله زوجا مثل جدي الذي لا يأتي إلينا إلا ومعه خير وفير عما لذ وطاب ؟ أما زوجك فلا يأتي إلا بالكتب والمجلات والصحف ، ولا يفعل شيئا سوى تناوله الطعام ، ثم يتصرف إلى كتبه وأوراقه .

يومئذ ضحكت إلى حد الضجيج ، وقلت وأنا أواصل الضحك : والله إنها على حق ، ولن أعترض لو أخذت بنصيبها !!

مر زمن طويل على هذه الحادثة ، فما تغيرت ، لكن يبدو لي أنها تركت في نفسي أثرا ، فكلما اشتريت كتابا جديدة - سواء حين أكون في العراق أو خارجه ، أتذكر رأي «حسنة» .

ولذلك ، وحين يكون رصيدي من الكتب وفيرا ، أشعر بالخرج ، فأعتمد إلى الاحتفاظ بها في صندوق السيارة ، ثم أحمل منها رزمة صغيرة كلما دخلت إلى البيت .

إنها مشكلة حقا ، فلقد ضاق البيت وأهل البيت بها ، أما أنا فقد ازدادت بها شغفا . □



- الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الأذان .
- قال أبو عمرو بن العلاء : خذ الخير من أهله ، ودع الشر لأهله .
- أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة ، وأنقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه .

من أقوال
العرب

العلاقة بين الطبقات «وجهة نظر إسلامية»

بقلم : الدكتور محمد عمارة

من الظواهر المصاحبة للتطور المجتمعي في القرون الثلاثة الأخيرة تعدد الطبقات الاجتماعية ، وتبلور مصالحها ، وتناقضاتها . ومع مرحلة الإحياء الإسلامي المعاصرة يجتهد المفكرون الإسلاميون لاستخلاص رؤية إسلامية للطبقات والعلاقات فيما بينها ، مغلبين - كما يرى كاتب المقال - نظرية التوازن في مقابل نظرية الصراع .

الفرد - بسبب من مدنيته واجتماعيته - أن ينهض بتكاليفه الفردية - فروض العين - إذا أصاب الخلل النظام الاجتماعي ، بتخلف الفروض الاجتماعية . فإذا اتعدم الأمن في المجتمع أو عز فيه القوت ، فأن للعابد أن يعبد الله ويؤدي فرائضه العينية ؟ . لقد قال الفقهاء : إن صلاة الخائف والجائع لا تصح ، لأن الحضور فيها - وهو شرط إقامتها - لا يتأت إلا بالأمن الاجتماعي وتوافر الأقوات !

ولقد أصاب الإمام الغزالي عندما حدد الضرورات الاجتماعية التي يستحيل بدون توافرها إقامة الدين ، فقال : « إن نظام الدين لا يصلح إلا بنظام الدنيا ، فنظام الدين بالمعرفة والعبادة لا يتوصل إليها إلا : بصحة البدن ، وبقاء الحياة ، وسلامة قدر الحاجات ، من الكسوة ، والمسكن ، والأقوات ، والأمن ، فلا يتنظم الدين إلا بتحقيق هذه المهمات الضرورية . إن نظام الدنيا شرط لنظام الدين » . (الاقتصاد في الاعتقاد) (ص ١٣٥) . ولذلك ، كانت فروض الكفاية - الاجتماعية - في

الإسلام : دين الجماعة ، أي الأمة ، تلك خصيصة من خصائص المنهج الإسلامي . وكون الأمة هي الجماعة الأساسية في المنظور الإسلامي لا يعني الإجحاف بحقوق « الفرد » ، ولا الإنكار لوجود « الطبقة » بالمعنى الاجتماعي - في إطار « الأمة » ، وإنما هي العلاقات التي أقامت الوسطية الإسلامية الجامعة بين « الفرد » و« الطبقة » و« الأمة » على نحو فريد .

فالمسئولية ، في الإسلام في كثير من التكاليف ، وفي الحساب والجزاء عليها : مسئولية فردية ، نقل الإسلام بها هذا الفرد من وضع الذوبان الكامل في إطار القبيلة والعشيرة ، لكن هذا الإنسان الفرد هو مدني بالفطرة ، اجتماعي بالطبع ، يستحيل عليه أن يحيا فردا ، وفي حدود النزعة الفردية .

والتكاليف ، هو في الإسلام ، منها الفردي - فروض العين - ومنها الاجتماعي - فروض الكفاية - وهي جميعا يتنظمها نسق واحد ، هو نسق التكاليف الدينية ، والرباط بينها عضوي ، حتى ليستحيل على

المنهج الإسلامي أكد من فروض العين - الفردية - للارتباط العضوي بينهما في النسق التكليفي الواحد ، ولترتب التمكن من أداء فروض العين على تحقق فروض الكفاية . لكن تحقق الفروض الاجتماعية لا يغنى عن ضرورة الفروض العينية ، لأن مكانة الأمة والجماعة في التصور الإسلامي لا تلغى دور الفرد ومكائنه ، فالمسؤولية والتكليف والحساب والجزاء فردي ، ولا تزر وزر أخرى - في التكاليف الفردية - لكن البلوى الاجتماعية إذا عمت طالت من لا يد له فيها .

ولذلك دعانا الله الى اتقاء الفتنة التي لا تعيب السذين ظلموا دون سواهم . ! إن النهوض بالمسؤوليات والتكاليف الفردية هو السبيل الى إقامة التكاليف الاجتماعية ، كما أن إقامة التكاليف الاجتماعية هو الذي يهيء للفرد الوفاء بحقوق تكاليفه العينية . وهذا الترابط بينهما هو التعبير عن ارتباط الفرد بالأمة في منهج الإسلام .

الأمة كيان جامع

وفي ضوء هذه الحقيقة نقرأ صياغتها عند « الماوردي » (٣٦٤ - ٤٥٠ هـ) (٩٧٤ - ١٠٥٨ م) عندما يقول : « . . . واعلم أن صلاح الدنيا معتبر من وجهين :

أولها : ما ينتظم به أمور جملتها . .

والثاني : ما يصلح به حال كل واحد من أهلها . .
فهما شيان لصلاح لأحدهما إلا بصاحبه ، لأن من صلحت حاله ، مع فساد الدنيا ، واختلال أمورها ، لن يعدم أن يتعدى إليه فسادها ، ويقدر فيه اختلالها ، لأنه منها يستمد ، ولها يستمد . ومن فسدت حاله ، مع صلاح الدنيا ، وانتظام أمورها ، لم يجد لصلاحها لذة ، ولا لاستقامتها أثرا ، لأن الإنسان دنيا نفسه ، فليس يرى الصلاح إلا إذا صلحت له ، ولا يجد الفساد إلا إذا فسدت عليه ، لأن نفسه أخص ، وحاله أمس ، فصار نظره الى ما يخصه مصروفا ، وفكره على ما يمسّه موقوفا . . » (أدب الدنيا والدين ، ص ١٣٤ - طبعة القاهرة سنة ١٩٧٣ م) .

فالفرد هو نقطة البدء ، وهو بواسطة الأسرة

والعشيرة ، يغدو لبنة في كيان الأمة . ولا مكان للفردية المغالية في المنهج الإسلامي لأن صلاح اللبنة موقوف على كونها جزءا من البناء الكبير .
والأمة في التصور الإسلامي ، ليست مجرد جمع « كمي » يساوي عدد الأفراد فيها ، وإنما هي كيان جامع . له حالة « كيفية » جديدة تفوق كفيات وقدرات أفرادها متفرقين . . إنها كيان متميز له مالبس للأفراد المتناثرين . . إن الحيلوط المتفرقة ليست لها القوة المتحصلة منها ذاتها إذا هي اجتمعت . . وقطرات الماء المتفرقة لا تحدث الري الذي تحدثه عند الاجتماع . . والأفراد المتفرقون ليست لهم حصافة الرأي ورجاحة العقل وكياسة النظر التي تتأتى لهم بشورى الاجتماع . . ولذلك لم يمنع جواز الضلال على كل فرد من أفراد الأمة ، أن تكون لهذه الأمة المصممة عند الاجتماع والإجماع . . ويشهد على هذه الحقيقة الموضوعية حديث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « إن الله وعدي في أمي وأجارهم من ثلاث : لا يجمعهم على سنة ، ولا يستأصلهم عدو ، ولا يجمعهم على ضلالة » - رواه الدارمي .

فللأمة ، في الإسلام ، مقام فريد ، يعلو بها من مجرد الجمع العددي والتراكم « الكمي » لما لدى أفرادها وأحاديها .

ولقد أبصر « الماوردي » - وهو يتحدث عن مذاهب الأمم في « الشورى » كيف أن الحضارات التي مالت كفتها لحساب « الفرد » قد جذبت « الشورى الفردية » ، بينما جذبت الحضارات التي مالت كفتها لحساب المجموع « شورى الاجتماع » . . ثم أضاف الجديد التي تميزت به حضارة الإسلام وشورها ، عندما جمعت بين الاثنين - الفرد والمجموع - فقال إن مذهب الاسلام في « الشورى » هو الجمع بين « شورى الفرد » و « شورى الاجتماع » . . فحيث تكون القضايا بما تحتاج الى الاجتهاد وإعمال الفكر واستنباط الأدلة ، تكون شورى الانفراد لأنها شورى الاجتهاد . . وحيث يكون المراد هو الكشف عن ثمرات الاجتهاد الفردي ، فإن الاجتماع والمواجهة - شورى الاجتماع - تكون هي السبيل القويم - (أدب الدنيا والدين) - ص ٢٩٣ - فالارتباط بين الفرد والمجموع

كان جمع الشورى الإسلامية بين نمطي شوراها جميعا .

التوازن بين الطبقات

وكما أن دار الإسلام تتألف من أوطان وأقاليم يجمعها جامع الإسلام العقيدة والشريعة والحضارة . . . فكذلك أمة الإسلام تتألف من الشعوب والقبائل التي تعارفت بالإسلام ، وعليه ، فغدت أمة الإسلام التي لا تمزق وحدتها التمايزات القومية والعرقية والبيئية ، لأنها تمايزات الواقع الذي لا يناقضه الإسلام ، وإنما يهذبها فينظمه في نسق العقيدة الواحدة والحضارة الواحدة .

وإذا كانت مكانة الفرد في المنهج الإسلامي قد شهدت بتميزها : المسئولية الفردية ، والتكليف الفردية - وإذا كان القرآن الكريم قد أبرز مكانة الأمة (إِنْ هِيَ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاقْبُدُونِ) - الأنبياء : (٩٢) . . . (كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) - آل عمران : (١١٠) - (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) البقرة : (١٤٣) - فإن المنهج الإسلامي لا ينكر وجود « الطبقة » ولا التمايز الطبقي في إطار الأمة وفي داخلها ، فالتفاوت الاجتماعي ، بنظر الاسلام ، حقيقة من حقائق الواقع ، نابعة من تفاوت القدرات والجهد المبذول والذكاء الذي يستخرج الثمرات . والإسلام لا يقفز على حقائق الواقع ولا يتجاهلها ولا يعادياها ، ولكنه يهذبها ويضبطها كي تظل في إطار المشروع ، ونطاق « العدل » - الذي لا يعني المساواة ، وإنما يعني « التوازن » بين فرقاء متفاوتين . . . التوازن - الوسط - العدل الذي ينكر الظلم ، ويقترب بالتفاوت الى حيث درجة التوازن ولحظة العدل ، التي يكون فيها التفاوت مؤسسا على ماهو مشروع وطبيعي من العوامل والأسباب . . . (والله فُضِّلَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعَدْوٍ يُجْهَدُونَ) - النحل : (٧١) - فإذا تأسس التفاوت الاجتماعي والاقتصادي على ماهو مشروع من الأسباب ، وإذا أحدث هذا التفاوت تمايز الأمة الى طبقات اجتماعية متميزة ، فإن الإسلام لا يرى في

وجود الطبقات إخلالا بالأمة كرابطة جامعة لها في منهجه المرتبة العالية ، ولكنه كما أقام علاقات الترابط بين الفرد وبين الأمة ، كذلك يهذب من حدود التفاوت الطبقي ، ويضبط جموحه ويرسم آفاقه ، على النحو الذي يجعل علاقات الطبقات الاجتماعية في لحظة التوازن ودرجته ومستواه . . . لأن هذا التوازن الذي يجمع بروابط التساند الطبقات المتعددة ، هو العدل - الوسط - في منهج الاسلام .

ضوابط الصراع

أما إذا اختل هذا التوازن الاجتماعي بين الطبقات في أمة الإسلام ، فإن الخيوط الجامعة بين الطبقات تحل مكانها لعوامل التناقض والصراع بين هذه الطبقات - وتلك هي الأخرى حقيقة موضوعية ، وواقع اجتماعي لا ينكره المنهج الإسلامي ولا يستنكره . . . لكنه يضع ، لهذا الصراع ، الضوابط أيضا ، ويحدد له الغايات والآفاق . . . فالهدف منه هو العودة بالعلاقات الطبقية الى درجة التوازن ولحظة العدل - الوسط . . . وليس الهدف منه - كما هو في الحضارة الغربية - أن ينفي قطب القطب الآخر تماما ، وأن تلغى طبقة الطبقة النقيض كلية ، وتقتلها من الوجود . . . فهذا المفهوم للصراع الطبقي هو خصيصة غربية . فالبرجوازية سمت الى نفي الاقطاع ، والبروليتاريا سمت وتسمى الى نفي



● العلاقة بين الطبقات

وتضامنها - هو أداة العودة بالعلاقات الطبقية من إطار الخلل والظلم الى إطار التوازن والعدل ، لتظل الأمة هي الجامعة ، حاملة رسالة الإسلام ، العقيدة ، والشريعة والحضارة . وليست - كما في الحضارة الغربية - الطبقة هي حاملة الرسالة ، البرجوازية - ورسالتها « الليبرالية - الرأسمالية » ، والبروليتاريا - ورسالتها « الشمولية - الشيوعية » .

وظائف الطبقات ضرورة اجتماعية

هكذا أقام المنهج الإسلامي ، وقيم العلاقة بين الفرد ، والطبقة ، ولين الطبقات - في إطار الأمة ، على النحو الذي يحقق فيه الكل ذاته ورسالته ، عندما يكون التوازن . والعدل - الوسط - هو ميدان الاجتماع والالتقاء ، فإذا اختل الأمر ، كان الدفع والصراع والجهد ، لإعادة العلاقات الى صحتها ، ونقي عوامل المرض وجراثيمه منها . وليس لينفى طرف من الأطراف الطرف الآخر ، حالماً بالانفراد والاستغناء . إن الاجتماع والاشتراك - الأمة - التآليف - التسانيد بين الفرقاء المتميزين - هو العدل . . أما الانفراد - من الفرد أو من الطبقة - في السلطة السياسية أو بسلطان المال . فهو عين الظلم وذات الطغيان . . وصدق الله العظيم حين يقول (كَسَلًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْسَ فَنِي ، أَنْ رَأَاهُ اسْتَفْنَى)

العلق : (٦ ، ٧)

إن هناك حدا أدنى للعدل ، لا بد وأن يتوافر للفرد : هو الإنصاف في القانون والحكم ، والإنصاف في أمور المعاش ، وفي كتاب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حول القضاء - الى أبي موسى الأشعري ، يقول : « وبحسب المسلم الضعيف من العدل أن ينصف في : الحكم والقسم (تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٠٣) هذا هو الحد الأدنى من العدل للفرد الضعيف في منهج الإسلام .

وفي العهد الذي كتبه الإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - الى واليه على مصر ، « الأشتر التخمي » حديث عن التمايز الطبيعي والواقعي بين طبقات الأمة ، وعن واجب الدولة الإسلامية حيال هذا الواقع الطبقي ، وعن السبيل لإبقاء العلاقات الطبقية في درجة التوازن ولحظة العدل . . يقول

البرجوازية . وما حديث « الشمولية - الشيوعية » عن المجتمع اللاتبقي إلا حديث عن المجتمع الذي تنفرد فيه طبقة واحدة بسلطات الفكر والحكم والمال ، لكنهم يكتشفون - وإن لم يعترفوا - أن التمايز الطبقي حقيقة موضوعية من حقائق التوازن الاجتماعي - أي العدل الاجتماعي - وضرورة من ضروراته . . فما ظنوه اقتلاعا للبرجوازية ، لم يكن أكثر من استبدال الطرف الذي يتمتع بامتيازاتها ، فبدلاً من الملاك الرأسماليين ، حل « الحزب » و « التكنولوجيا » أي « الدولة » التي امتلكت سلطات الفكر والحكم والمال بدلاً من ملاكها السابقين . تغيرت الأسماء ، ولم تلغ الطبقية في المجتمع الذي ظنوه لاتطبقيا !

لكن الإسلام ، الذي لا يقفز على الواقع ولا يتجاهل حقائقه - ومنها التمايز الطبقي النابع من التفاوت الاجتماعي . يجاهد لإبقاء هذا التفاوت في حدود الأسباب المشروعة ، ويعمل على ألا تتجاوز آفاقه لحظة التوازن التي هي درجة العدل - الوسط . . فإذا تجاوز هذه الآفاق ، واختل التوازن ، وحل الظلم الاجتماعي محل العدل . . فلا حرج في الإسلام أن يشهد المجتمع صراعاً طبقياً - بل لقد رآه الإسلام سنة من سنن الله في المجتمعات ، تقود الظواهر الاجتماعية من درجة الخلل ولحظة الظلم الى درجة التوازن ولحظة العدل بين الطبقات . . (وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنْ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) البقرة : (٢٥١) . . (أَدْنَى لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ ديارهم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ، وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتِ صَوَامِعُ وَبَيْعٌ وَصُلُواتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ، وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ، إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) - الحج : (٣٩ - ٤٠) « ومن أريد ماله بغير حق فقاتل فقتل فهو شهيد » - أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمرو عن الرسول صلى الله عليه وسلم . فهذا الدفع والصراع - الذي هو سنة من سنن الله في المجتمعات ، هو أداة العودة بالعلاقات - إذا هي خرجت من دائرة التمايز المشروع في الرابطة الجامعة الى دائرة التناقضات العدائية والممزقة لجامع الأمة

الاجتماعي ، كالفرق ، وكالجسد الواحد ، الذي وإن تكوّن من أعضاء متميزة ، إلا أن العلاقات والروابط الصحية والصحيحة بين أعضائه المتعددة ، تحقق له أداءً موحدًا لجسد واحد ، حتى إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى ! ..

المال مال الله

ولأن هذه هي « فلسفة الإسلام الاجتماعية » وجدنا القرآن الكريم يجعل « المال مال الله سبحانه وتعالى ، في ذات الوقت الذي يجعله مال الناس ، بحكم خلافتهم فيه عن الله .. فلقد قال خالقه وواهبه لخلفائه فيه : (وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ) - الحديد (٧) ، فجعل ملكية الرقبة ، الملكية الحقيقية له سبحانه ، وجعل للإنسان فيه ملكية المنفعة ، الملكية المجازية ، المحققة لمقاصد الاستخلاف في هذه الأموال ، وذلك حتى يفتح الباب ، دائماً وأبداً ، أمام حركة الدفع الاجتماعي وأنصار العدل الاجتماعي كي يعيدوا أوضاع الامتلاك والاختصاص والحياة في الأموال الى درجة التوازن ولحظة العدل التي تنفي الخلل والظلم ، وتحقق مقاصد الاستخلاف .. فإذا غدا المال (دولة بين الأغنياء) جاز ، بل وجب إعادة التوازن بين الفرقاء بتأسيس التفاوت بينهم على المشروع من الأسباب والحلال من الثمرات ، وفي نطاق المستخلفين وجدنا القرآن يضيف مصطلح المال الى ضمير الجمع في سبع وأربعين آية ، والى ضمير الفرد في سبع آيات فلا يتفرد جانب دون الآخر بحق الاستخلاف .

ولتأمل صنيع عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، مع الصحابي بلال بن الحارث ، و« الإقطاع » الذي أقطعه إياه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لقد سأل بلال الرسول أن يقطعه أرضاً واسعة ، فأقطعهما له - وكان ذلك سبيلاً لإحياء الأرض الموات ، أو زراعة الأرض التي لا صاحب لها ، لكن بلالاً حجز هذه الأرض دون أن يزرعها بحجة أنه صاحبها ، يفعل فيها ما يريد .. لكن عمر رأى أن ذلك إخلال بالتوازن والعدل الذي يجب أن

الإمام على لواليه : « .. وأعلم أن الرعية طبقات ، لا يصلح بعضها إلا ببعض ، ولا غنى ببعضها عن بعض ، فمنها : جنود الله . ومنها كتاب العامة والخاصة ومنها : قضاة العدل . ومنها : عمال الإنصاف والرفق . ومنها : أهل الجزية والخراج ، من أهل الذمة ومسلمة الناس . ومنها : التجار ، وأهل الصناعات . ومنها الطبقة السفلى ، من ذوى الحاجة والمسكنة - أي العاجزون عن الكسب والتحصيل - فالجنود حصون الرعية ، وسبل الأمن .. ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج .. ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب .. ولا قوام لهم جميعاً إلا بالتجار وذوى الصناعات » . (نهج البلاغة ص ٣٣٧ - طبعة دار الشعب القاهرة) .

فال المطلوب لتحقيق العدل ، ليس الصراع الذي تنفي فيه طبقة بقية الطبقات بزعم أن العدل مرهون بالمجتمع اللاتطبيقي .. وإنما العدل المطلوب سبيله إقامة التوازن بين الطبقات التي تعد وظائفها ضرورات اجتماعية تحقق للمجتمع ثمرات من الكسب المادي والفكري ، والكسب الحافظ على المجتمع قدرته وحركته ومنعته .. لأن هذه الطبقات - كما يقول الإمام علي : - « لا يصلح بعضها إلا ببعض ، ولا غنى ببعضها عن بعض » .

ولعل هذا التساند الطبقي ، والإرتفاق الذي لا غنى عنه بين الطبقات ، لعله أن يكون التفسير الأدق لقول الله سبحانه وتعالى : (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيًا ، وَرَحْمَةً رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) - الزخرف - (٣٢) .. فالتمايز والتفاوت الطبقي - والمحدد بأنه درجات - هدفه ، وهذا هو المعنى المناسب لـ (سخرى) هو التساند والارتفاق ، وأن تكون كل طبقة هي لـ لاخرى عِمَاد .. وليس المراد سخرة الاستعباد والإذلال - التي هي عين الظلم الذي تنزه الله عن فعله وعن إرادته للناس . فالطبيعة وظواهرها قد سخرها الله للإنسان يرتفق بها ، ويستعين على عمارة الأرض وتزيينها . وكذلك التمايز الطبقي ، ضرورة للتساند والإرتفاق ، عندما تكون العلاقات الطباقية في لحظة التوازن ودرجة العدل ، لتكون الأمة ، بأدائها

● العلاقة بين الطبقات

وأخذ عمر من بلال ما عجز عن عمارته فقسّمه بين الناس ، ثم خطب الناس فقال : « من أحيا أرضاً ميتة فهي له ، ومن عطل أرضاً ثلاث سنين لم يعمرها فجاء غيره فعمرها فهي له . ! » (الخراج) ليحيى بن آدم - ص ٩١ ، ٩٣ طبعة القاهرة سنة ١٣٧٤ هـ . و (الأموال) لأبي عبيد القاسم بن سلام - ص ٤٠٨ ، ٤٠٩ طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨ م .

نحن هنا أمام تطبيق خلاق لفلسفة الإسلام في استخلاف الناس في الأموال عن الله ، وتحديد آفاق ملكيتهم وحيازتهم لها بحدود عهد الاستخلاف . . . وأمام تجسيد لمذهب الإسلام في الإقرار بالتمايز الاجتماعي والطبقي ، مع الحرص على أن تكون علاقات التمايز طبقياً عند لحظة التوازن والعدل - الوسط - فإذا حدث الخلل والظلم ، عاد المنهج الإسلامي بهذه العلاقات - كما صنع عمر مع بلال بن الحارث - إلى درجة التوازن والعدل . . . فهو لم يلبغ حيازة بلال للأرض إلغاء كاملاً ، وإنما وقف بها عند حدود التوازن العادل . . . « خذ منها ما قدرت على عمارته ، وردّ الباقي إلينا نقسمه بين المسلمين » . هنا تنشأ وتصح العلاقات بين الفرد . . . والطبقة . . . والأمة . . . وتظل الوسطية الإسلامية الجامعة المعيار الذي يرشد هذه العلاقات ، ويضمن لها البقاء في درجة التوازن ولحظة العدل . . . وصدق رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إذ يقول : « الوسط : العدل . جعلناكم أمة وسطاً » . □

يحكم علاقات الملكية والحيازة في الأموال كي لا تكون دولة بين الأغنياء ، يحوزون أكثر مما يطبقون ويحتاجون ، بينما لا يجد الآخرون ما يحتاجون ، فأراد عمر العودة بهذه العلاقة - بين بلال والأرض - من درجة الخلل والظلم إلى درجة التوازن والعدل ، وذلك بأن تقتصر حيازته على ما يطبق زراعته ، وأن يعطي الزائد لمن يحيه ويستثمره . . . ولما جادل بلال في ذلك ، قسره عليه عمر ، بل وسنّ قانوناً ينظم أمر هذه الإقطاعات ، ويضمن إعادة العلاقة بالأموال ، إذا هي اختلت - من درجة الظلم والخلل إلى درجة العدل والاتزان .

لتأمل صنيع عمر هذا من خلال كلمات الحوار الذي دار - عنيفاً - بينه وبين بلال بن الحارث ، والذي بدأه عمر ، فقال لبلال :

« إنك استقطعت رسول الله أرضاً طويلة عريضة ، فقطعها لك . وإن رسول الله لم يكن يمنع شيئاً يسأله . وأنت لا تطبق ما في يدك إفرده بلال أجل !

فقال عمر : فانظر ما قويت عليه فأمسكه ، وما لم تقدر عليه فادفعه إلينا نقسمه بين المسلمين .

فرفض بلال قائلاً : لا . . . لا أفعل ! هذا شيء أقطعني رسول الله !

فقال عمر : ، إن رسول الله لم يقطعك لتحتجزه عن الناس ، وإنما أقطعك لتعمل ، فخذ منها ما قدرت على عمارته ، وردّ الباقي !

- لا أفعل !

- والله لتفعلن ! . . .



كانت له «صفة» ولكنه «صرفها» :

● وقف الزوج أمام القاضي ليفصل في موضوع طلب الزوجة الطلاق ،

وأراد القاضي الإصلاح بين الزوجين قبل نظر الدعوى . فقال للزوجة :

« لا بد أن هناك صفة ما أحببتها في زوجك من قبل حتى رضيت بالزواج

منه؟ » وأجابت الزوجة في هدوء :

نعم كانت صفة أعجبت بها ولكنه صرفها كلها .

الحجر

شعر : يوسف طافش

لأنَّ البلاد مُعبأة بالطواويسِ
مُتخنةً بسياطِ المرائينِ
مُتخمةً بجنونِ الكلامِ
وقمعِ الجياعِ المُهرَّبِ
ما سوف يأتي يفوقُ الجنونَ
هناك على ضفةِ النهرِ
أو آخرِ التلةِ المُبتغاةِ
سينزاحُ سرُّكَ عن صدرِ الليلِ
فاعجنِ خلاياك بالصمتِ
كي لا تموتَ
هناك ستعرف سر السكوتِ]

* * *

أنا الآن في « أوسط » الجسر والحلم
صوت عميق يراودني

أنا الآن أطفو على حلمِ الحلمِ
بين الغيابِ وبين الحضورِ
لهائي يؤانسني
ذكريات من الرعبِ
تعلو وتميطُ
ريحُ تزجرجر بين عظامي ولحمي
وحولي طنين خفي
يجوبُ ضفاف السكونِ
وددت لو أني أغني
لأسمع أصداء صوتي
ولكن عرّافتي حذرتني
لكي لا أموت :

[إذا انهار سقف السماء
وأخرجت الأرض أوزارها
فاعتصم بالسكوت

من حدود السياج يشد ثيابه
يقول « اتشد »
ليس هذا أوان العبور
فجنية النهر تدعو خطاك
إلى غامض الماء
كيف ركبت خيول الحماسة
هل كنت تدري
بأنك رهن الهروث ؟

نسيت التعاويذ
عرافتي علمتي السكوت
فضيحت صوتي
كذلك هذا العبور التذير
مراراً تثار جسمي ثم اجتمعت
مراراً كبوت
صحوت على ظلمة فانتحيت

وأغمضت عيني حتى « الفجامة »
هاقد وصلت إلى التلة المبتغاة
على مرفقي زحفت
على ركبتي
على رعدة الروح
أدبرت وجهي
وجفت « الغضار » على شفتي
لأعرف سر السكوت
فلا شيء فوق الصخور
بلوح سواي
« كفراة » الانتظار
وحيداً وصلت
وحيداً أعد ثواني السقوط
فباليستي قلتها
ثم مت هناك
لكي لا أموت

« تعاظمت في السنوات الأخيرة ظاهرة تهريب الثروات من البلدان النامية ومع ازدياد قيمة هذه الثروات وكبر حجمها : بدأ الاقتصاديون والسياسيون يدقون جرس الانذار لخطورة استمرار هذه الحالة .
عن هذه الظاهرة المرضية وأسبابها ومدلولاتها وتفسيرها يلقي هذا المقال أضواء كثيرة ويشير تساؤلات ويقدم إجابات » .

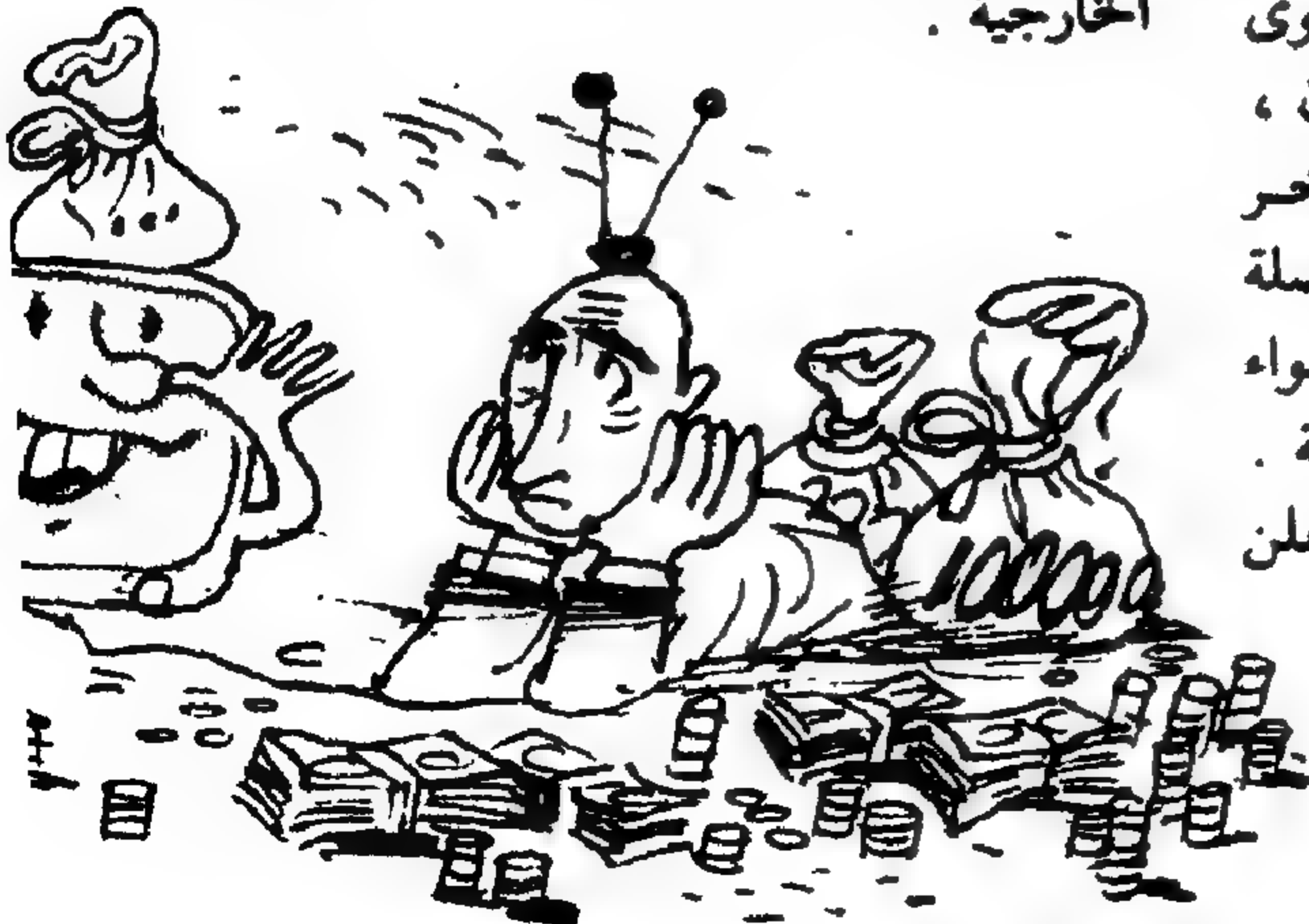
القول العربي

من بلاد الفهمراء

بقلم : الدكتور رمزي زكي

اقتصادي بارز ، مثل « بنيامين هيجنز » ، أنه مهما بذلت مجموعة البلاد النامية من جهود في مجال التنمية ، فإن تلك الجهود ستضيع أدرج الرياح ، مالم تعتمد على رأس المال الأجنبي . ونظرا لطابع الرواج والسيطرة الشديدة التي تمتعت بها هذه النظريات في عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية ، فقد نجحت تلك النظريات في إشاعة هذا الوهم ، الذي وجد ترجمته الفعلية في تزايد اعتماد البلدان النامية على التمويل الأجنبي ، وهو الأمر الذي أفضى في النهاية إلى نشوء أزمة الديون الخارجية ، وتزايد التبعية الخارجية .

كانت نظريات التنمية التقليدية التي سادت في الخمسينيات والستينيات من هذا القرن ، تزعم أن البلاد النامية التي تتطلع نحو التقدم الاقتصادي والاجتماعي لا يمكن أن تقيم تنميتها إلا بالاعتماد على الموارد الأجنبية المناسبة من البلاد الرأسمالية الغنية ، نظرا لأن الادخار المحلي في هذه البلاد ضئيل متواضع ، ولا يكفي لتمويل برامج الاستثمار الطموحة . وزعمت هذه النظريات أيضا ، أن أي محاولة لزيادة حجم ومعدلات الادخار المحلية في تلك البلاد إنما تعني الهبوط بمستويات المعيشة نحو حافة العدم . فليس هناك ، في ظل مستوى المعيشة المنخفض للغالبية الساحقة من السكان ، أي فائض إضافي يمكن ادخاره ، فوق مايدخر فعلا . من هنا ، ليس هناك أي أمل لحل معضلة تمويل التنمية إلا باستقبال الموارد الأجنبية ، سواء في شكل قروض أو في شكل استثمارات أجنبية . في ضوء هذه النظرة ، لم يكن مستغربا أن يعلن

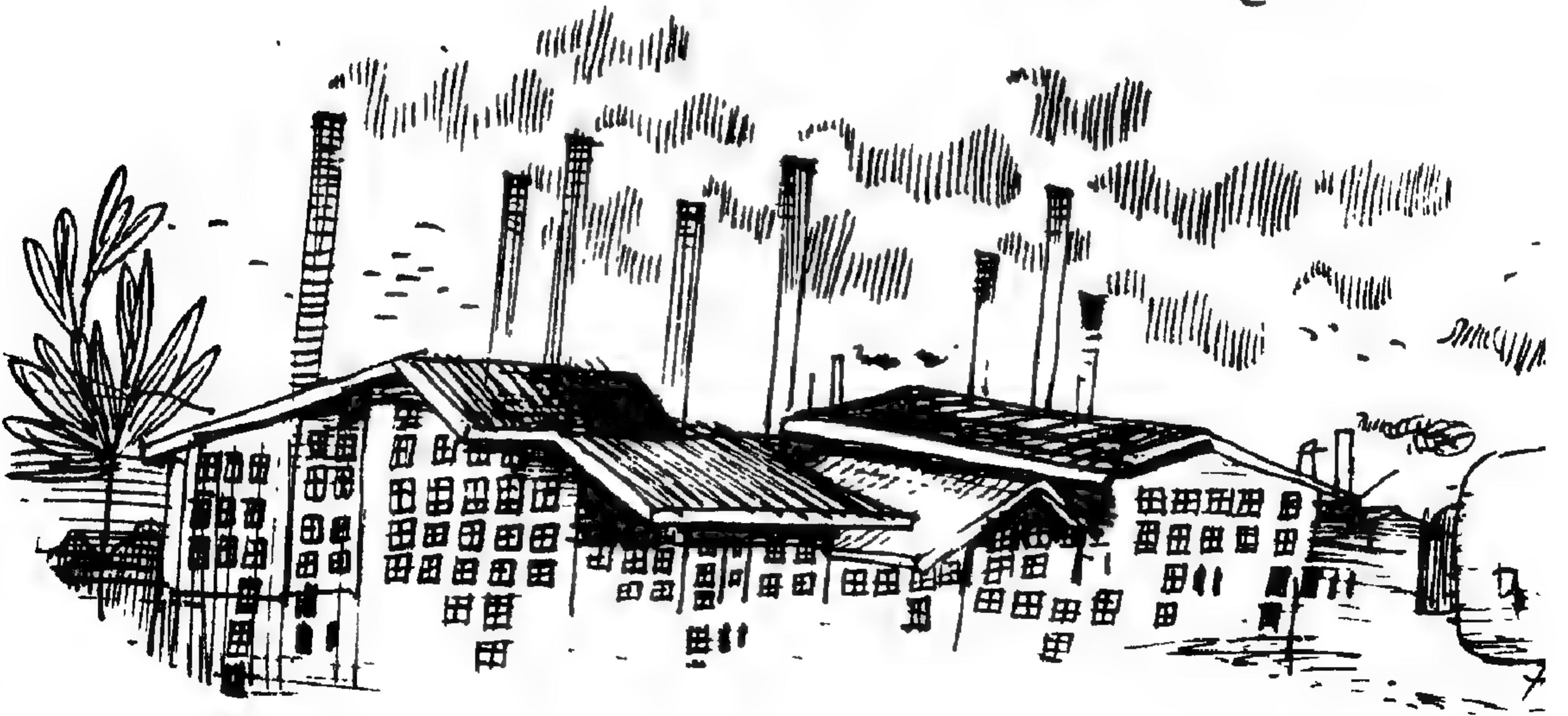


تبدد الوهم

الانتاجية المعطلة ، والموارد البشرية غير المستخدمة (البطالة) واكتناز الأموال ، والاستهلاك الترفي ، والاستيراد الكمالي ، والإنفاق العام غير الرشيد ، فكل هذه الموارد تمثل ادخارا ممكنا . من هنا يكمن التحدي الرئيسي لحل مشكلة التمويل في تعبئة هذه الموارد المهدرة ، من خلال إجراءات اجتماعية وسياسية فاعلة ، تحول الادخار الممكن إلى ادخار فعلي . وإذا استطاعت البلاد النامية أن تفعل هذا فإن فجوة مواردها المحلية سوف تضيق كثيرا ، وحاجتها للتمويل الخارجي سوف تتضاءل على نحو محسوس .

كانت أفكار باران في الخمسينيات أشبه بالمصباح المنير الذي أثار ظلمات تحليل قضايا التخلف والنمو ، وكان من الممكن لها أن تكون سلاحا قويا في أيدي قادة حركات التحرر الوطني الذين راودتهم الآمال لتحقيق برامج إنمائية طموحة لتنمية القاعدة المادية للإنتاج ، ورفع مستوى المعيشة ، وعلاج مشكلات التركة الاستعمارية وموارثها (الفقر والمرض والجهل) . ومع ذلك ، ظلت أفكار باران - للأسف - مهملة ، ولا يتحدث عنها ويدعو إليها إلا قلة من الاقتصاديين والمفكرين الطليعيين

وللحق نقول : إن هذا الوهم كان قد تبدد تماما في ضوء التحليل المهم الذي قدمه الاقتصادي الأمريكي « بول باران » في كتابه الشهير « الاقتصاد السياسي للنمو » الذي صدر عام ١٩٥٧ ، فقد ميز « باران » بين ما يسمى الادخار المتحقق actual ، وبين الادخار الممكن potential . فالادخار المتحقق الذي هو عبارة عن الفرق بين الناتج المحلي الإجمالي الذي يتحقق في ظروف اقتصادية واجتماعية وتقنية معينة ، وبين الاستهلاك الجاري ، منخفض وضئيل ، ولا يناع أحد في ذلك . أما الادخار الممكن فهو عبارة عن الفرق بين الناتج المحلي الإجمالي الذي يمكن تحقيقه باستغلال الموارد المتاحة والممكنة أفضل استغلال ممكن ، وبين ما يعد استهلاكاً ضروريا ورشيدا . والادخار الممكن بهذا المعنى يفوق بكثير حجم الادخار المتحقق . هذه التفرقة الاستراتيجية التي أجراها باران بين هذين النوعين من الادخار كشفت النقاب عن جوهر مشكلة تمويل التنمية ، مينا أنها في التحليل الأخير ، مشكلة اجتماعية وسياسية ، وليست مشكلة مالية ، فالفرق بين هذين النوعين من الادخار يعكس مشكلة الفائض الاقتصادي الضائع أو الموارد المهدرة ، مثل الطاقات



غريب ، يبحث على الأسى والحزن على الحالة التي وصلت إليها البلاد النامية في الأونة الراهنة .

وحينما طرحت قضية خروج الأموال من البلاد النامية للاستثمار بالخارج على بساط البحث في المنظمات الدولية ، مثل صندوق النقد الدولي والبنك الدولي ، وفي أبحاث الخبراء بالدول الرأسمالية الصناعية ، استخدم مصطلح « الأموال الهاربة » للدلالة على هذه الظاهرة . لكن كاتب هذه السطور يصر دائما على ضرورة التفرقة الواضحة بين الأموال الهاربة capital flight وبين الأموال المهربة للخارج smuggle ، نظرا لاختلاف الدلالة التي ينطوي عليها كلا المصطلحين ، ذلك أن المصطلح الأول يشير عادة إلى خروج رؤوس الأموال الخاصة الساخنة Hot

الذين اتخذوا موقف النقد الواعي لترسانة الفكر التنموي التقليدي الغربي الذي افتقر للكفاءة النظرية (في تفسير الواقع) ، وإلى الكفاءة التطبيقية (في تغيير الواقع) ، كما أثبتت أحداث ربع القرن الماضي .

مفارقة صارخة

ونجى الضجة المثارة الآن حول الأموال الهاربة والمهربة من البلاد النامية المدينة ، لتزيد من القوة التفسيرية لنظرية بول باران ، حول مآزق التنمية في هذه البلاد عموما ، وحول معضلة تمويل هذه التنمية خصوصا . فعلى الرغم مما يشاع بأن هذه البلاد في حاجة ماسة إلى الأموال والقروض والمعونات الأجنبية ، إلا أن الإحصائيات والدراسات التي نشرت في السنوات الأخيرة قد كشفت عن مفارقة صارخة في هذه القضية ، فقد تبين أنه خرج من هذه البلاد كميات هائلة من الأموال التي تسودع وتستثمر في الأسواق النقدية الخارجية بأسماء أفراد ينتمون إلى تلك البلاد . وهي أموال من الضخامة ، بحيث لو نسبت إلى مجموع الديون الخارجية للبلاد التي خرجت منها لشكلت نسبة كبيرة جدا ، قد تفوق ١٠٠٪ في بعض هذه البلاد ، كما أن خروجها في حد ذاته يؤثر سلبا على موازين مدفوعات تلك البلاد ، حيث تزيد

العجز الحادث فيها ، وتجعل البلد في حاجة للاقتراض ، لسد هذا العجز . ناهيك عن أن الاقتصاد المحلي الذي خرجت منه يحرم من عوائدها واستثمارها . ولما كان شطر كبير من هذه الأموال يودع بالمصارف الأجنبية بالخارج ، فإن تلك المصارف عادة ما تقوم بإعادة إقراضها للبلاد النامية الفقيرة . وكأن الأمر يعني ، في هذه الحالة ، أن البلد المدين يسمح بخروج الأموال منه ، ثم يعود فيقترض هذه الأموال من الخارج عبر وسيط ثالث ، بتكلفة باهظة . وهذا تناقض



المتغيرات ، أي زيادة سعر الفائدة ، ومكافحة التضخم ، وتعديل سعر الصرف ، وتخفيض الضرائب على الدخل وعلى رؤوس الأموال . أما إذا كنا نتحدث عن الأموال المهربة ، فالأمر مختلف تماما ، فليس هناك أي علاقة بينها وبين المتغيرات الاقتصادية الداخلية سالفة الذكر ، وعلى الأخص حينما يكون الأمر متعلقا بالبلاد التي تتبع نظام الرقابة على الصرف ، ذلك أن إمعان النظر في المسألة ، يوضح لنا ، أن ظاهرة تهريب الأموال من هذه البلدان تعود إلى تفشي الرشوة والفساد الإداري ، وعمليات (السمسرة) غير المشروعة ، وإلى خراب الذمم ، وضعف أجهزة الدولة ، وعدم هيبتها ، واستغلال النفوذ والسلطة في تحقيق ثروات هائلة بشكل غير قانوني . ولهذا نحن نعتقد ، أن تلك الأموال والثروات المهربة للخارج التي تحققت بشكل غير مشروع ، لن يمكن اجتذابها مرة أخرى لبلادها ، حتى ولو قام المسؤولون في هذه البلاد بفرش الطريق بالورود والمزايا والضمانات لأصحابها .

والسبب في ذلك غاية في البساطة ، وهو أن تلك الأموال تظل دوما في حالة ذعر وخوف لإيمان أصحابها بعدم مشروعيتها ، وبخروجهم على قوانين بلادهم . من هنا فإنها لن تعود مهما قامت حكومات تلك البلاد بتعديل سياستها والتأثير في المتغيرات الاقتصادية الداخلية .

ومهما يكن من أمر ، فإنه نظرا لطابع الحساسية السياسية والاجتماعية لظاهرة تهريب الأموال للخارج ، وما تكشف عنه من رخاوة في أجهزة الدولة ، ومن فساد وتسبب إداريين كبيرين ، فإن هناك ما يشبه الظلام الدامس حولها في البلاد المدينة ، وبخاصة ذات الوضع الحرج . وهذا أمر مفهوم لنا ، وبخاصة لأن عددا من كبار المسؤولين في هذه الدول من المتورطين في هذه الظاهرة . والإحصائيات والدراسات المعروفة الآن عن هذه الظاهرة - على

money من البلاد التي لا توجد فيها رقابة على الصرف ، ويتمتع فيها المقيمون بحرية التحويل ، بحثا عن أفضل عائد وأفضل ضمان بالخارج ، وخروج الأموال الهاربة - بهذا المعنى - أمر مشروع ، ويتم بسماع الدولة والقوانين (مثال ذلك استثمار بعض مواطني دول الخليج لمدخراتهم في أسواق النقد الدولية) ، أما تهريب الأموال فنقصده به عملية خروج الأموال عن طريق القطاع الخاص والأفراد ، وإيداعها واستثمارها في الخارج ، على الرغم من حظر التحويل الذي تفرضه نظم الرقابة على الصرف . ومن ثم فإن كل مال خرج من الاقتصاد المحلي عن طريق غير رسمي ، وتحظره القوانين يعد تهريبا ، وهو أمر مجرم قانونا ، ويعاقب عليه مرتكبه . وهنا تجدر الإشارة إلى أن معظم الأموال التي خرجت من البلاد المدينة هي من النوع الثاني .

أموال مهربة وليست هاربة

هذه التفرقة المهمة التي نصر على إجرائها بين الأموال الهاربة ، والأموال المهربة مهمة جدا في تفسير الظاهرة ، واستخلاص السياسات المناسبة للتصدي لها ، فإذا كنا نتكلم عن الأموال الهاربة - بالمعنى السابق لهذا المصطلح - فإن تفسير تلك الظاهرة يعود إلى تفضيلات الأفراد المستثمرين الذين يقارنون بين العائد المتوقع في بلادهم والضمانات المحيطة بالاستثمار ، وبين العائد المحتمل في الخارج وضماناته ، فإذا كانت نتيجة هذه المقارنة لصالح الاستثمار بالخارج خرجت الأموال ، والعكس صحيح . من هنا ثمة علاقة ارتباط واضحة بين المتغيرات الاقتصادية الداخلية ، مثل سعر الفائدة ، ومعدل التضخم المحلي ، وسعر الصرف ، ومعدلات الضرائب على الدخل ، وبين خروج الأموال للخارج . ولهذا ، فإن عودة الأموال الهاربة إلى بلادها قد تتطلب التأثير في هذه

الرغم من ندرتها ومحدوديتها وعدم كمالها - قامت بنشرها المنظمات الاقتصادية الدولية ، وبعض المصارف الأجنبية ، لكي تضغط على الحكومات المدينة لتطبيق المزيد من السياسات « الليبرالية » ، حتى تعود هذه الأموال إلى بلادها .

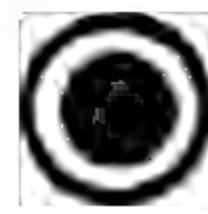
المشكلة سياسية واجتماعية

ومن المفارقات المدهشة التي تدعو للعجب ، أن يعلم القارئ أن من بين الأسباب القوية التي سهلت ذبوع ظاهرة تهريب الأموال وانتشارها من البلدان الفقيرة المدينة ، هي تلك السياسات « الليبرالية » المفرطة التي فرضت على هذه البلدان من قبل تلك المنظمات ، وعلى الأخص من صندوق النقد الدولي . فمع إلغاء نظام الرقابة على الصرف ، وإلغاء القيود المفروضة على التحويلات الخارجية ، ومع تخفيض سعر الصرف للعملة المحلية واستمرار تدهور هذا السعر ، وفي ضوء تحرير التجارة الخارجية ، والمزايا والضمانات والخوافز السخية (التي تصل أحيانا إلى حد السفه) التي أعطيت للقطاع الخاص المحلي والأجنبي ، وفي ضوء تردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تمخضت عن سياسات التكيف والتصحيح (الغلاء ، البطالة ، الركود الاقتصادي ، زيادة التفاوت في توزيع الدخل . .) أصبح المستثمرون من القطاع الخاص ، وأثرياء هذه

البلدان ، يفضلون تهريب أموالهم ، واستثمارها بأسمائهم في الخارج ، مستغلين في ذلك جو السماح والانفتاح « والليبرالية » المفرطة التي توفرها سياسات صندوق النقد الدولي . من هنا لا عجب والحال هذه أن تلك الظاهرة أصبحت أمرا مألوفا ، وذات اتجاه متزايد في البلاد ذات المديونية الخارجية الثقيلة التي وقعت في فخ الدائنين وسياسات الصندوق .

ومرة أخرى نعود في النهاية إلى « بول باران » ، لنقول معه ، كما قلنا منذ أكثر من عشرين عاما مضت في كتابنا : مشكلة الادخار في البلاد النامية (القاهرة : ١٩٦٦) : إن مشكلة التمويل في البلاد النامية ليست مشكلة مالية ، وإنما هي مشكلة سياسية اجتماعية في المقام الأول .

وفي ضوء هذا المنطلق ، نعتقد أنه من الأفضل للبلاد النامية ألا تعلق الآمال على احتمالات عودة هذه الأموال ، فهذا أمر صعب المنال ، والأهم من ذلك هو العمل بكل حسم لوقف هذه الظاهرة ، من خلال تطبيق القوانين بصرامة ، وسد كل الثغرات التي ينفذ منها المال المهرب للخارج . بيد أن المطالبة بذلك ، إنما تعني في النهاية المطالبة بتوجه إنمائي جديد ، وسياسات اقتصادية واجتماعية ، تختلف عما تطبقه حاليا هذه الدول ، ووضع شعار « طهارة اليد والسلوك » موضع التطبيق الحاسم . وهنا بيت القصيد في الموضوع كله . □



● ليس للذين يودعون أموالهم مصرف بورت مورسي ، من سكان بابوا في غينيا الجديدة ، حسابات مرقمة ، فهم يتخذون لهم أسماء مستعارة من الأسماك والطيور وما شاكل ذلك ، ويصبح العميل معروفا لدى المصرف باسم « سمك المنشار » مثلا ، أو « الهدد » ، ويحتفظ به سرا له .



يتابع الكاتب رصد تأثيرات « البيرسترويكا » على العلاقات الدولية
واحتمالاتها المختلفة التي تبدأ من الاعتماد المتبادل بدلا من المواجهة إلى
استمرار التناقض بين المعسكرين .

مستقبل « البيرسترويكا » وتأثيرها على العلاقات الدولية والإقليمية

بقلم : أمين هويدي

الأغراض المرجوة بين المتشدين، أي الصفور
والمعتدلين، أي الحمام .
بعضهم يرى أن « البيرسترويكا » موجهة
أساسا إلى الداخل في الاتحاد السوفيتي والجماعة
الاشتراكية . الجبهة الداخلية هي ذات الأهمية
الأولى والثانية والثالثة ، أما الجبهة الخارجية فهي
غطاء لما يحدث في الداخل ، فالتغيير في الجبهة
الخارجية طفيف ، إن لم يكن منعما . كما يقول
الواقع .

استراتيجية صحيحة . . وأساليب متغيرة

« فجورباتشوف » وهو يحاول تهدئة الحرب
الباردة وسباق التسلح يقطع - وهو محق في ذلك على
الأقل بالنسبة للمواجهة المباشرة بين القوتين
العظميين - بأن مقولة « كارل فون كلاويزفيتز » في
كتابه « في الحرب » « بأن الحرب هي استمرار
للسياسة بطرق أخرى » قد سقطت إلى الأبد في ظل
التدمير النووي المتبادل بين القوتين العظميين ، هذه
حقيقة لا جدال فيها ، ولكن هل يعد هذا تفكيراً
جديداً في الصراع الدولي المعاصر ؟

لم تل « فرقة » من « الفرقعات » التي
تحدث في الكوكب الذي نعيش فيه مثل ما
نالت « البيرسترويكا » ، أو إعادة البناء ، من
اهتمام ، فقد تناوها الساسة والباحثون والمعاهد
المتخصصة بالبحث ومازالوا كذلك ليصلوا إلى
تحديد ردود الفعل على كافة المستويات ، حتى تتفق
الاستراتيجيات مع المتغيرات . إنهم جميعا يريدون
أن يصلوا إلى الحقائق ، حتى « لا يكتفوا برؤية
بعض الأشجار » بل ليروا الغابة كلها ، إن إعمال
العقل للكشف عن المتغيرات المستقبلية أكثر فائدة
وأهم من ترك الأمور للعبة الحظ ، حتى في الحروب
التي حددت مسار التاريخ ، فاستخدام الحكمة كان
ومازال أهم أضعافا مضاعفة من الشجاعة
والإقدام ، كما أن الفكر المبدع الخلاق كان أفضل
وأجلى في إحراز الانتصارات من السيف والمدفع .
وكالعادة ، فإن الآراء دائما ما تنقسم عند
مواجهة الحدث الجديد في تفسير حدوثه ، ومدى
التغيرات الحقيقية التي يحدثها بعد إزالة البريق
الخاطف الذي يصاحبه في أول الأمر ، ثم يكون
الخلاف الأكبر في كيفية مواجهته لتطويعه لخدمة

لقد ورد ذلك في أدبيات الاستراتيجية العالمية الغربية والشرقية على حد سواء منذ الخمسينيات . فاللورشا ف . د . سوكولوفسكي في كتابه «حول الاستراتيجية العسكرية السوفيتية» كتب في أواخر الخمسينيات «بأن الإنجازات التي تمت في الاتحاد السوفيتي أوصلت الغرب إلى أن يختار بين الاستسلام الناجم عن استحالة استخدام الأسلحة النووية وبين الفناء في حالة استخدامها ، وجعلته يفكر في حل وسط عن طريق تقييد الحروب الذرية الشاملة لتصبح حروباً ذرية محدودة ، وأخذت القيادات العسكرية الأمريكية تتخبط بين الردع المرن ، والرد المتدرج ، والحروب الوقائية .

ولكن من يضمن أنها ستستمر مقيدة من الجانب الآخر ؟ إن الاستراتيجية السوفيتية المعاصرة تبنى على مفاهيم «انجلز ولينين» ، وهي مازالت صالحة حتى في العصر النووي ، فقد ركز لينين على أن الحرب جزء من كل ، وهذا الكل هو السياسة . والحرب إذن امتداد للسياسة بوسائل العنف ، والعنف هو مجرد عمل سياسي : ومعنى ذلك أن الحرب ليست مرادفة للسياسة ، وأن السياسة يمكنها استخدام وسائل أخرى غير العنف لتحقيق أهدافها دون اللجوء إلى الحرب . ويستطرد قائلاً : «يعادي الاتحاد السوفيتي كافة الحروب العدوانية ، ويقف إلى جوار كل نضال مقدس للشعوب المغلوبة على أمرها مع استبعاد الحروب النووية وسعيه الدائم لتحقيق التعايش السلمي بين النظامين الاجتماعيين المتناقضين . وهو يعلم أن هذا لا يوقف الصراع الطبقي ، ولكن يستمر بوسائل سلمية ودون استخدام العنف . إن الحل العلمي والتكنولوجي هو الحل المناسب لمواجهة التهديد الاستعماري» .

ثم لنقرأ ما كتبه «هرمان كاهن» في كتابه الذي صدر عام ١٩٦٠ : «بالرغم من أن القوة التدميرية أصبحت من الضخامة بحيث يستحيل استخدامها عملياً ، إلا أن سباق التسلح مازال مستمراً ، علماً بأن الخيار المعقول الوحيد أصبح اتباع استراتيجية الردع المحدود التي تؤدي فقط إلى القتل المتبادل وليس بالضرورة إلى الفناء المتبادل ، أو إلى نهاية الحضارة ، أو إلى نهاية التاريخ» .

وهذا التفكير يتطابق مع ما قاله «مالنكوف» من : «أن الحرب النووية سوف تؤدي إلى نهاية الحضارة ، ومن ثم لن تقدم الدول الرأسمالية على شن هجوم نووي ضدنا ، مما يتيح لنا تخفيض استثماراتنا في الصناعات الثقيلة والانتاج الحربي ، وتوجيه الفائض لانتاج مزيد من السلع الاستهلاكية» - كتب في هذا كثيرون منهم هنري كسينجر ولبدل هارت وأندريه يوفر وغيرهم - وفي اعتقادي أن هذا ما يريد «جورباتشوف» .

إذن من ناحية الاسترخاء الدولي ، لم يأت جورباتشوف بجديد ، فالكثيرون قبله ردوا ما يردده الآن ، كلهم تحدثوا عن أنه إذا كانت الاستراتيجية قبل العصر النووي تعني الاستخدام الماهر للقوة ، فقد أصبحت في ظل الرعب النووي فن التهديد باستخدام القوة دون استخدامها ، أو هي فن هدم المواجهة المباشرة بين القوتين العظميين ، أو فن ترجمة القوة إلى «دبلوماسية» . وبعبارة أخرى أصبحت الاستراتيجية النووية هي عبارة عن فن الردع . فالعالم وصل إلى حال من الاستقرار النووي في ظل مخزون نووي يدمر العالم مرتين أو أكثر ، فما فائدة تراكم المخزون بعد ذلك ؟

يعني الاستراتيجية الكسونية في عهد «جورباتشوف» لم تتغير ، إذ ليس من السهل تغيير الاستراتيجيات الكسونية للدول العظمى لسببين : الأول هو أن هذه الاستراتيجية تخدمها نظم اقتصادية وإنتاجية وعقائدية معينة من الخطر تغييرها بطريقة فجائية وحادة ، إذ يتسبب عن ذلك خلل في توازن القوة العظمى . والسبب الثاني هو أن التغيير لا يتم بإرادة كاملة بل بإرادة ناقصة تخضع لاستراتيجية القوة المضادة ، كل ما حدث أن «موسكو» تريد فترة لالتقاط الأنفاس حتى مع تقديم بعض التنازلات في محور خارجي لتحقيق إعادة التوازن في المحور الداخلي تحت تأثير الضغوط الاقتصادية الناتجة من تزايد نفقات الدفاع ، وكذلك التقدم الهائل في وسائل المواصلات والأقمار الصناعية لإعادة تشكيل النظم من الخارج ، وكان موسكو تريد أن «تفعلها بيدها لا بيد عمرو...» .

إلى جانب العرب وهم يطالبون برد أراضيهم بعد حرب ١٩٦٧ ، وبأن يكون للفلسطينيين دولة ، ثم نجدها قد التزمت ، ومازالت تمد العرب بالأسلحة في حدود سياستها . وهذه وجهة نظر !!

الاعتماد المتبادل لا المواجهة

وجهة نظر أخرى ترى عكس السابقة تماما ، فهناك محاولات عالمية كبيرة لمحدث من حولنا «البريسترويكا» تتجاوب معها : فقد حل التعاون محل المواجهة في التعاملات الدولية ، وبناي «جورباتشوف» بالاعتماد المتبادل والتكامل ، ثم تغير مفهوم السيادة الوطنية في ظل تداخل المصالح وتشابكها .

والكوكب الذي نعيش فيه يغلفه غلاف جوي واحد ، لا يعترف بتجزئة العالم إلى كتل وتحالفات وأنظمة ، فلا يستقيم تواجد كوكب منقسم في ظل غلاف جوي واحد ، تسكنه مجموعات من البشرية تهددها (أخطار وكوارث بيئية رهية ، لا يمكنها مواجهتها بجهود منفردة وراء خطوط فاصلة) . فالحدود السياسية للدول لم يكن لها جدوى في منع اشعاعات «تشرنوبيل» من تخطيها مئات الأميال ، وزلزال أرمينيا كان حافزا للعالم أن يتخطى حدوده السياسية الفاصلة لتقديم المساعدات إلى الضحايا ، بغض النظر عن جنسيتهم وعقيدتهم ، وبذلك أصبحت قضايا «الايكولوجيا» تسبق قضايا «الايديولوجيا» ، وأصبحت حماية الجنس البشري من أخطار التقنية المدنية والعسكرية لها الأسبقية على الصراع الطبقي بحكم النص الذي أورده «جورباتشوف» في «بريسترويكيته» .

والعالم يواجه بأخطار التلوث ، والجفاف ، وديون العالم الثالث ، ونُدرة بعض الموارد الطبيعية وبالموارد غير قابلة التجدد مثل النفط ، وهذه قضايا تجعل الجنس البشري غرضاً واحداً للتهديدات المتزايدة . ثم مثل هذه القضايا هي في حقيقتها ملك للأجيال القادمة لا يجوز لنا - نحن أبناء هذا الجيل - أن نتجاهلها كما أن من واجبنا الحفاظ على تراث «الأرض» للأجيال التي تلينا .

ولا بد لعالمنا من أن يطور مفهوم السيادة التي نشأت أصلاً لمواجهة التبعية ، وعدم التكافؤ بين

وهنا يبرز سؤال يحتاج إلى إجابة : ما هو الجديد الذي جعل الولايات المتحدة توافق على التوقيع على اتفاقية إزالة الصواريخ القصيرة والمتوسطة المدى في أوروبا بعد سنين طويلة من المفاوضات الشاقة ؟ إنها تعلم تماماً مقدار الاجهاد الاقتصادي الذي تعاني منه موسكو من جراء سباق التسلح ، وكان الأحرى بها أن تستمر في السباق الذي هو سباق استراتيجي في الظاهر لكنه سباق استراتيجي اقتصادي في حقيقة الأمر ، حتى تفجر الاتحاد السوفيتي من الداخل . ولكن هناك سببان لذلك : السبب الأول أن هناك خطأ في الصراع بين القوتين العظميين لا يجوز تجاوزه منعا من إجبار الطرف الآخر على اتخاذ إجراءات يائسة ، والسبب الثاني أن الولايات المتحدة أيضا ، وصلت إلى حالة إجهاد اقتصادي أخلت بمصداقيتها ، حتى بين حلفائها تحت ضغط القروض الهائلة التي تفرضها ، والمعجز في ميزان المدفوعات وزيادة البطالة وهبوط سعر الدولار . إن القوتين وصلتا إلى ما نسميه بحالة «الاجهاد المتبادل» نتيجة لتضخم ميزانيات الدفاع .

وهناك سبب آخر لتوقيع الولايات المتحدة على الاتفاق ، إذ أنه لم يشمل القوة النووية البريطانية أو الفرنسية ، وعلى ذلك فأوروبا مازالت تعيش تحت مظلة نووية من الصواريخ متوسطة وقصيرة المدى ، بريطانية وفرنسية الصنع ، علاوة على مظلة نووية من الصواريخ عابرة القارات .

حتى وجهة النظر السوفيتية في الصراعات الإقليمية مازالت تتحرك في إطارها المعروف تقريبا ، فوجهة النظر السوفيتية بخصوص الصراع العربي «الإسرائيلي» هي نفسها لم تتغير تقريبا ، ولم يدخل عليها «خبرة محدثة» كما يعتقد البعض ، فموسكو تؤكد دائما - ومازالت - على بقاء «إسرائيل» كدولة ذات سيادة داخل حدود ١٩٦٧ مع إجراء تعديلات مقبولة من الطرفين ، وكانت لها علاقات مع «إسرائيل» قبل عام ١٩٦٧ ، وهما في سبيلهما لإعادتها لو وافقت «إسرائيل» على عقد المؤتمر الدولي ، وتؤمن بأن حل القضية ليس عن طريق الحرب ، وهي لم تمنع في الماضي ولا هي تمنع في الحاضر من هجرة اليهود السوفيت إلى «إسرائيل» ، وهي تقف الآن كما وقفت من قبل

حلول للصراعات الإقليمية متناسين الحقوق التاريخية لشعوب احتلت أراضيها التي ورثتها عن الأجداد ؟

إن النظرة الرومانسية لا يمكن أن تتصدى للوحوش التي تملأ الغابة التي نعيش فيها ، والتي يسودها قانون «البقاء للأقوى» ، وعلينا ألا نسير في الغابة إلا ومعنا كلبنا الأمين وهو قوتنا الجماعية .

استمرار التناقضات بين النظامين

أما وجهة النظر الثالثة ، فسأنتقلها عن «ياسوهيروناكاسوني» رئيس الوزراء الياباني ألقاها في محاضرة في معهد الاقتصاد العالمي والعلاقات الدولية في أكاديمية العلوم بموسكو في ٨٨/٧/٢١ وأهم نقاط رأيه الذي يعتمد في كثير من جوانبه على الفكر الشرقي المستمد من تعاليم «بوذا» و «كونفوشيوس» يقول : «من ينظر إلى العلاقات الدولية خلال الأربعين سنة الماضية يجد أنها عبارة عن حلقات من المواجهة والتعاون والتوتر والاسترخاء ، وعلى ذلك فإن نظرنا إلى الفكر الجديد «لجورباتشوف» في «البريسترويكا» و«الجلامست» لا بد وأن تكون إيجابية ، وعلينا ألا ننسى أن الغرض الأساسي لهذا الفكر الجديد هو إعادة بناء الاتحاد السوفيتي كدولة اشتراكية قوية ، ولا يجوز أن نركن إلى وهم أن التناقضات في العلاقات بين النظم الاشتراكية والديمقراطيات الليبرالية سوف تنتهي بسهولة ، فالمنافسة التاريخية سوف تستمر طالما ظل الخلاف الرئيسي بين النظامين قائما . فالعقائد الاشتراكية مسموح بها في الديمقراطيات الليبرالية بينما ترفض النظم الاشتراكية العقيدة الديمقراطية الحرة . الأحزاب الاشتراكية تمارس حقوقها في النظم الديمقراطية بينما لا يمكن للأحزاب الديمقراطية أن تمارس هذه الحقوق في النظم الاشتراكية علاوة على أن الديمقراطية في النظم السياسية التي تعتنقها ليست مجرد وسيلة لتحقيق غاية ولكنها إحدى القيم الرئيسية التي يتم تطبيقها لأغراضها السامية . ولذلك فإن متابعة ما يجري بخصوص الإصلاحات السوفيتية التي نادى بها «حورباتشوف» أمر واجب . ما مدى تطبيق التعددية الاشتراكية ونتائج ذلك على حرية الفكر

الدول في القوة والثروة . لكن إذا أخذنا مبدأ الاهتمام المتبادل والتعاون والأمن الجماعي فإن السيادة الكاملة والتمسك بها تتعارض وهذه الاتجاهات . ولذلك فإن التنازل عن جزء من السيادة الوطنية أو الإقليمية لصالح السيادة العالمية أصبح ضمانة لمواجهة الكوارث العالمية التي لا تميز بين دولة وأخرى ولا بين إقليم وآخر ولا بين عقيدة وأخرى . فالسيادة ليست مبدأ سرمديا ميثاقيزيقيا . وعلينا أن نبحث عن بدائل أرقى للعلاقات الدولية .

ولاشك أن لوجهة النظر هذه مبرراتها ووجهاتها ، لكنها نظرة رومانسية ، صحيح أنها تعبر تماما عما ورد في «البريسترويكا» من مبادئ ، ولكنها مبادئ تدخل في عالم «البيوتوبيا» ، وتتجاهل طبيعة الأشياء ، وتناقضات النفس البشرية التي خلقت معها . فتوازع الخير والشر موجودة بين الناس بمن فيهم أصحاب القرار ، وتناقض المصالح لا يمكن القضاء عليه إلا في ظل عالم تزول منه الطبقة والتسلط .

ثم كيف يكون هناك اعتماد متبادل بين الصياد والفريسة ؟ أي اعتماد متبادل هذا بين الدول الفقيرة من الجنوب والدول الغنية في الشمال ؟ في ظل تبادل ينقصه التوازن بين المواد الخام رخيصة السعر والمواد المصنعة خالية السعر ؟ أي اعتماد متبادل هذا بين الدول الدائنة والدول المدينة التي تنهكها المشاكل والتهديدات ؟ الإنسان يصنع مشاكله لنفسه وبنفسه !!

آلاف الناس الذين يموتون جوعا نتيجة الجفاف والتصحر في الوقت الذي يلقي فيه الفائض من الحبوب من الدول الغنية في البحر للمحافظة على أسعارها المرتفعة ، ولتصبح مواد استراتيجية ، ونحن نتشوق بالمبادئ والشعارات . الدول الفقيرة وفي مواجهة ظروفها الصعبة وبحالتها المتأخرة تحاول أن تحترق حاجر الفقر دون أمل أو جدوى بعد أن أفرقتها الديون ، وفتتها الصراعات ، وأهلكتها نوازع السيطرة التي تهددها من خارج حدودها . ما هو الضمان في ظل تآكل المنظمات الدولية الإقليمية ، وفي ظل إدارة الأزمات بواسطة الدول العظمى وليس حلها ؟ كيف نتحدث عن

● مستقبل «البيروتويكا»

استغلال ذلك في تحقيق أغراضه ، فالساسة لا يكتفون برد الفعل بالنسبة للمتغيرات ، ولكن لابد أن يكون لديهم تصور لشكل العالم الذي يريدونه ، ثم تحريك الأمور في هذا الاتجاه ، وبالنسبة لانعكاسات هذه المتغيرات التي ينادي بها الزعيم السوفيتي فإنها قد تضع أمامنا نماذج واحتمالات أربعة .

النموذج أ : تحلل الاتحاد السوفيتي نتيجة لإضعاف قبضة الحزب ، ولرغبة الجمهوريات الإسلامية في الاستقلال أو انتشار الحركة القومية في أوروبا الشرقية إلى البلطيق وأوكرانيا .

النموذج ب : استمرار الاتحاد السوفيتي في حالة التطور الداخلي والاسترخاء الخارجي مع تنمية اتجاه تعاون الدول .

٢٠ النموذج ج : استمرار المواجهة ، تدهور الموقف الاقتصادي مع استمرار سباق التسلح ، وهو الموقف الذي يريد جورباتشوف تفاديه ، ولكن ربما تفقده الظروف الضاغطة القدرة على ذلك .

النموذج د : استمرار السعي للسيطرة على العالم ، وهو حلم مازال يسيطر على موسكو ، ويشكل في الوقت نفسه كابوسا بالنسبة للولايات المتحدة .

إن أخطر الاحتمالات هو الاحتمال «أ» ، إذ لا يمكن تصور أن قيادة جديدة لن تنبثق للسيطرة على الموقف بالقمع الذي عرفه العالم أيام لينين وستالين خاصة ، إذا حاولت الولايات المتحدة أن تستغل الموقف لصالحها كالمعتاد . إن هذا الاحتمال سيدفع العالم إلى موقف مواجهة خطيرة تجعل العقلاء لا يتمنون حدوثه .

أما الاحتمال «ب» فهو الأنسب بالنسبة للاتجاهات المعتدلة ولكنه يخلق مشاكل حقيقية بالنسبة للغرب : إذ يجعل استمرار السيطرة السوفيتية على شرق أوروبا أمرا مقبولا . ثم ما الذي

والحقيدة للأفراد ، أو حرية عقد الاجتماعات للدوي الأفكار المتعددة ؟

ما مدى تطبيق الأفكار التي تبلورت في المؤتمر الأخير للحزب الشيوعي عن فصل السلطات بين الحزب والسوفييتيات أو اتجاهات السيطرة داخل الحزب ؟ وما انعكاس ذلك على السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي وعلى الأخص في مجال تخفيض السلاح والصراعات الإقليمية والعلاقات الثنائية ؟ ومن المؤمل أن تترافق التغيرات المتوقعة مع روح القرن الواحد والعشرين . . .

ويتحدث «ناكاسوني» عن احتمالات المستقبل في العلاقة بين الغرب والشرق ، فيحصرها في ثلاثة احتمالات : الأول بقاء العلاقات على صورتها الحالية ، والثاني هو استغلال النتائج التي تحققت وتعميقها لجني ثمار أكثر ، والثالث هو تحلي الكتلة الشرقية عن السياسة الستالينية ، وتحلي الكتلة الغربية عن سياسة الاحتواء ، وإقامة نظام عالمي قائم على التطبيع وعلى قيم ومبادئ جديدة . والاحتمال الأكثر توقعا عند «ناكاسوني» هو الاحتمال الثاني مع خلق قوة دافعة واستمرارية لتحقيق الاحتمال الثالث على أساس التعاون والاعتماد المتبادل في كل الميادين بالنسبة للجميع .

وعن تأثير «البيروتويكا» على الصراعات الإقليمية يركز «ناكاسوني» بطبيعة الحال على آسيا فيرجع المشاكل القائمة للخلافات السياسية في المنطقة أساسا ، ولا بد من تقييم «الأفكار الجديدة» على ضوء حل مشاكل المناطق الشمالية بين اليابان والاتحاد السوفيتي وعلى استرخاء والأوضاع بين كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية ، وعلى القدرة على إيجاد حل سياسي للمشكلة الكمبودية .

وجهة نظر رابعة ، يتحدث عنها السير «ميشيل هوارد»* : فجورباتشوف شأنه شأن الساسة العظام مثل بسمارك وروزفلت ، لديه بُعد النظر الذي يؤمن بضرورة التغيير والمهارة والعزيمة على

* استاذ التاريخ الحديث في جامعة اكسفورد ومدير معهد الدراسات الاستراتيجية وقد قدم رأيه في مؤتمر عقد بين ٢٧ - ١٩٨٨/٩/٣٠ بعنوان «الناتو في العقد الخامس» ونشر البحث في مجلة Survival عدد نوفمبر/ديسمبر ١٩٨٨ بعنوان «تحدي جورباتشوف والدفاع عن الغرب» The Gorbachev Challenge and The Defence of the West

بتنفيذ إصلاحاته ؟ فاستمرار التهديد السوفيتي يزيد من تضامن دول حلف الأطلنطي ، ويخفف من نسبة البطالة ، ويستنزف القدرة الاقتصادية للاتحاد السوفيتي في سباق تسلح غير متعادل . ولكن إلى جانب هذه المزايا هناك عيوب من استمرار وضع المواجهة ، بالنسبة للغرب فهو يزيد من أعبائه الاقتصادية نتيجة لسباق التسلح ، ولعمق الخلاف بين دوله ، لمطالبة الولايات المتحدة في إلحاح بزيادة نسبة نفقات الدفاع لتخفف من أعبائها الدفاعية . وألمانيا الغربية تجد صعوبة في استمرار تجنيد قوة بشرية هي في حاجة إليها لزيادة الانتاج ثم زيادة معارضة الرأي العام .

أما الاحتمال « د » فلا يحتاج إلى تعليق لدرجة أن الحكومات تفضل مخاطر الحل « ج » ليس فقط للشكوك والمخاوف التي يثيرها الحل « ب » ، ولكن من خوفهم لتطور الموقف إلى الحل « د » ، لأن تجاهب الغرب مع الحل « ب » يحتاج إلى جسارة في مقابلة إجراءات « جورباتشوف » بإجراءات مماثلة ، على الرغم من المخاطر المحتملة على أساس اعتبار خطواته على أنها فرص للإنتاج مرة أخرى ، وليس على أساس أنها تحديات يجب مواجهتها بطرق أخرى .

وجهة نظر رابعة في موضوع مثير ، وسوف يثير كثيرا من التساؤلات والاحتمالات . بقيت نقطة أخيرة . ألا نحتاج نحن العرب وسط كل هذه الفرقعات التي تدور من حولنا إلى « بيرسترويكا » عربية يصحبها « جلاسنوست » عربي ؟ أعتقد ذلك . □

يحدث بالنسبة لحلف الأطلنطي ؟ هل تبقى الحاجة إليه قائمة والاتحاد السوفيتي على هذا القدر من التعاون والصداقة ؟ ألا ننظر إلى بقاء القوات الأمريكية في أوروبا على أنه أمر غير مرغوب فيه بل معطل لانسحاب القوات السوفيتية من شرق أوروبا ؟ ألا يدفع ذلك الولايات المتحدة لكي تتعامل مباشرة مع القوة العظمى الأخرى دون التورط في أوروبا ومشاكلها ؟ ثم هل يبقى في ظل روح التعاون هذه مانع من حصول الاتحاد السوفيتي على مركز المشاركة في العالم الثالث ؟ وباختصار ألا يكون « جورباتشوف » باتباع هذا الحل ، قد حقق بالوسائل السلمية ما فشل في تحقيقه من سبقوه باستخدام المواجهة والقوة ؟ لقد قلنا له شروطنا بخصوص تخفيض الأسلحة النووية من أوروبا ، وقلنا له ، اترك أفغانستان وخفض قواتك من أوروبا ، وبضرورة التفتيش على مواقع الصواريخ ، ونفذ كل ذلك . ويزداد الأمر سوءا بالنسبة للغرب ، أن الرجل يعني وينفذ ما يقول ، فهو متأكد أن الغرب لن يشن عليه الحرب ، ولذلك فهو يوفر من نفقات الدفاع لرفع مستوى المعيشة ، إن تخفيض القوات في صالحه ، ولكن تخفيض قوات الغرب يسبب لدوله مشاكل لا يمكن مواجهتها ، أولها زيادة البطالة ، فهاذا نفعل مع هذا الرجل ؟ أما الاحتمال « ج » فهو استمرار الوضع الذي كان سائدا قبل « جورباتشوف » ، وهو وضع المواجهة وسباق التسلح الذي يحاول الرجل أن يفلت منه ، ولكن قد تستجد ظروف - ضاغطة تمنعه من ذلك . الغرب يرحب بأراء « جورباتشوف » في العلن ، ولكن هل هو حقيقة يرغب في أن يقوم



- عركتهم المواقع ، وعجمت عودهم الحروب .
- خابت آمالي ، وتمزقت مطامعي ، وطارت مع الرياح أحلامي .
- تناثرت الدموع من عينيها ، كما يتناثر اللؤلؤ من عقد انفصم سمطه .
- إنه عظيم الأنفة ، قوي الشكيمة ، مخاطر في حب وطنه .
- إنه حازم حذر ، لا يضع قدمه إلا حيث ترى عيناه .

مختارات
لغوية

الشيخ البعلبكي

قصة للكاتب البلغاري ديميترياروموف
ترجمة : سهيل أيوب

ويرجع الابن النقود سرّاً إلى المالكين الحقيقيين في
الطابق الأرضي كان قد استأجر الطابق العلوي ،
ودأب على مخاطبة والده قائلاً
- أبقَ معي في المدينة فانت في بيتك الذي
تملكه ، أليس كذلك ؟
أقام الشيخ في الطابق العلوي لم تكن ثمة فسحة
في المكان وما أن تبادر كُتته وابنه إلى عملهما حتى

كان سكان الطابق الأرضي غرباء ، لكنهم
هادثون ، يدفعون الأحمال في أوانها
وكانوا يخاطبون الشيخ قائلين
- البيت بيتك ، ومن أحل هذا نسدد لك
الأجرة
فتغمر الفرحة قلب شيتان لما يظهرون من
احترام ، ويعطي ابنه النقود ، فهو في غنى عنها

يتسلق إلى العلية ويقعد بجانب النافذة الصغيرة القريبة من السقف ، ينفل منها بصره ناحية الجنوب . كان يلوي عنقه في بعض الأحيان خارج تلك النافذة وينظر بمنة ويسرة ، فيلمح في الأسفل سقوف المدينة وذلك الامتداد الأبيض لنهر توندجا . وكان الناس يلوحون مصطبغين باللون الأصفر على طول النهر ، وضباب الخريف يهيم فوق رؤوسهم . ويذكر كروستيو شيتان الأصياف القليلة الأخيرة . تمتلئ باحته في الصباح بالضجيج . تتصايح الديكة أول الأمر ، وبعد ذلك ينهض شيتان نفسه على قدميه . وبعد فترة من وقت ، حين تزدهر السماء بأسرها ، يستيقظ الحمام تحت أفاريز البيت ، ويطلق الاوز بربرته وهو يتهادى في مشيته ناحية السد . ويقع الخنزير عند قضبان زريته ، وتقعقع الدلاء ، وشيتان متجه بها إلى الزريبة لإطعامها . وبينما يقبع الخنزير يأخذ الكلب بشد سلسلته وينبح . ويبدأ الحمام ينقر بمنقاره وهو يرسل هديله إلى أوان الظهيرة .

حين ينبلع الصباح تنفجر حركة واضطراب صاحبان ، تمد الديكة رؤوسها ، وترفع أصواتها إلى السماء ، محطمة السكون المخيم على القرية ، وتتجمع طيور الحمام صافقة بأجنحتها ، عائدة إلى السطوح مرة أخرى .

المطرات ، فيهدب الشيخ سيره إلى المستشرف ، ويمد بصره إلى « غيرين دير » ، حيث تنرامى حقوله .

إن مجلس القرية يطالب ببيته ، لأن هذا البيت قديم حسن الترتيب والعناية . أعلن رئيس المجلس أنهم سيحولون البيت إلى متحف ، وشدد عليه أولاده للقبول بذلك ، فقاوم فترة من زمن ، لكنه حين قال بينو ، ولده الأصغر ، إنه سيملك في المدينة بيتاً خاصاً به استسلم الشيخ ونفض عنه عناده .

ذات يوم أحد من شهر أيار (مايو) عجت باحة كروستيو شيتان بالناس . ألقى أولاده الثلاثة الخنزير على الأرض وذبحوه ، وبين المهرج والمرج والصيحات عمدت كئاته إلى القبض على الديكة

والاوز ، وشرعن يذبحنها على خشبة التهريم . ملأت الحيوانات المذبوحة الباحة نائرة الدماء في كل مكان . وعندما أسلمت أرواحها انسحبت الكنائس إلى ثلاثة أمكنة مختلفة من الباحة ، وقد حملت كل متنها نصيبها من الذبائح لتف ريشها . وبعد ذلك امتلأ الفضاء بالريش ورائحة ما تطاله النار . وتسلق الصغار إلى السطح لاصطياد طيور الحمام ، فأمسكوا بعضها ، وبقي بعضها الآخر هنالك مسترسلاً في هديله . وظل الشيخ من المستشرف يخلق بصره تجاه « غيرين دير » .

حين انتهى تقطيع كل شيء وتم حزمه ، جمع الأولاد الثلاثة زوجاتهم وصغارهم ورحلوا . وبقي الشيخ وحيداً لتصفية حساباته مع مجلس القرية والانضمام من بعد إلى ولده الأصغر في المدينة .

وبينما كان يطل من النافذة الصغيرة في العلية استرجع في مخيلته ذلك النهار مائة مرة من غير أن يلحظ أن الأيام غدت الآن قصيرة ، فالعربات التي تجتاز الطريق تتحرك بسرعة أكثر ، وبوق ثكنات الجيش يرتفع صدهاء في وقت متأخر من العشية ، وتعود الحافلة (الباص) من بيفكا - قريته الأم - بعد أن ييسط الليل رداءه الأغدف . كان الوقت ما يزال معتماً حين تردد صوت بائع الحليب باكراً الصباح . يترى طويلاً على الدوام أمام البيت لمعرفته أن شيتان جاء من إحدى قرى توندجا السفلى .

كان ينادي :

- مرحباً ، يا جار ! كيف تسير الحياة ؟ صارت مألوفة لديك ؟

فيرد عليه شيتان قائلاً :

- لست أدري . وأنت ، كيف أمورك ؟

ذات يوم توقف بائع الحليب في طريق عودته أمام باب البيت مرة أخرى . صاح :

- مرحباً ، يا جار . أين أنت ؟ أريد أن أسمعك خيراً .

فخرج شيتان إليه :

- ما الخير ؟

- انظر ، يا جار . هل هذا البيت بيتك ؟

عجل كروستيو شيتان هير الباحة خطواته ورفي السروج الخشبي المصروع مسر ، فأيقظ البيت من هجمته . لم يشعل النور في الخارج ، واجتاز الشرفة في أناة مرهفاً سمعه إلى حدى قدميه .

كان للغرفة الكبيرة - حيث اعتادت بناته النوم - باب جديد له قفل جديد . أخرج الشيخ المفاتيح ، وخطأ فوق العتبة المرتفعة ثم تراجع فجأة ، لقد اهتز الباب على مفصلاته مصدراً صوتاً غير مألوف لديه .

شم الشيخ رائحة غريبة ، فخرج من الغرفة ، وألقى نظرة جديدة على الباحة كمن يريد أن يبعث فيها الحياة مرة أخرى ، حتى وصيرير عجلات العربات خلال موسم الحصاد ، ورائحة التبن المبروس القوية ، وضججيات بساتينه ، وشتائم أبنائه ، وأهنيات الديوك في عيد القديس إلياس ، وضجج الأبقار ، والكلاب ، والأبقار ، والحمير ، والخيول ، والخنزير .

وطيور الحمام وحدها تصفق بأجنحتها فوق البيت ، والمطر يكاد يهطل ، والليل لم يخيم على الشرفة . ومن إحدى الزوايا نظرت إلى شيتان شزراً دمية كبيرة محشوة بالقش تلبس قبة من الفرو على رأسها .

« حسن ، حسن ، حسن ، يا شيتان ، لقد صنعوا رجلاً يملأ مكانك ، فأنت في سبيلك إلى الرحيل عن هذا العالم . ألم يخطر لك في بال كميات الثلوج التي هطلت عليك ، وكميات الأمطار التي بللتك ! وهذا الرجل يستريح الآن على منبتك ؟ ألقى به من الشرفة ، وليلله المطر أيضاً . انظر ، المطرات من « غيرين دير » ، من هذه الناحية . » ألقى شيتان الدمية ، ورجع ناحية منبذته ، وتراخت ساقاه تحته ، تاركاً يديه تسقطان متراخيتين على ركبتيه .

هطل المطر في عذوبة على الباحة ، فقطعت طيور الحمام هديلها ، وشرعت قرميدات السطح بهمهم في رقة . وأظلم الليل ، وراحت الهضبة فوق « غيرين دير » تذوب وتتلشى في الظلمة المتوالية . وكان شيتان يطيل النظر إلى تلك الناحية ، وعيناه تغرورقان بالنداء شيئاً فشيئاً . □

أجاب شيتان : - أُنِّي لي أن أهرق ! أترضى أنه ينبغي أن يكون بيتي .

- حسن . إنه ليس بيسك ، يا جبار . أظني سمعتك البارحة تخاطب الجيران في الطابق الأرضي في قليل من الحدة . كَفَّ عن ذلك لأنهم أصحاب البيت . ولذلك بينو يقوم ببناء بيت ، لكنه لم يتنه . كذب عليك كي لا يتهشك القلق . والآن ، لا تخبره أنك حارف بخدعته الصغيرة ، لأنه قد يقلق .

قال شيتان في صوت هزيل مرتعش :

- لقد هرفت .

هجر النافذة الصغيرة في العلية ، ولئن يعود إليها أوان العصر . وحين آب ولده من عمله ألقاه متخذاً مجلسه في المظهى محدودب الظهر .

قال شيتان :

- أحسني سأذهب إلى القرية فترة من زمن . أريد رؤية رفاقي القدامى وجيراني .

كانت السماء ملبدة بالسحب ، والظلمة تنتشر بسرعة . استنشق شيتان الهواء الرطب ودلف إلى الباحة . حين كان يثوب من الحقول في مثل هذه الأمسيات الماطرة يدور حول البيت ويخزن التبن عجل الخطأ . ويضع كل شيء في أمان . ويبعث التبن حيث انتشر على أرض الدراسة رائحة قوية ، فيحس شيتان بموجة من نشاط طري في ساعديه وتفرق الدجاجات ، وتشخر الأبقار والخيول ، وتترجع في كل مكان أصوات أولاده وكنائنه .

دلف في الآونة إلى الباحة وسرح البصر حواله . هذه طيور الحمام تصفق بأجنحتها مرة أخرى بين حين وحين ، ونحوم فوق البيت . والسور قد جدد حديثاً ، وتم إصلاح زريبة الخنزير ، واستبدل باب البيت . وألصقت أواني الفخار على أعمدة السور . وجثم ديك على هذا السور أمام البيت لم يكد شيتان يقترب منه حتى لحظ أنه مصنوع من الخزف دعاية للمتحف . وكانت المدحاة الخشبية في منتصف أرض الدراسة . جرّها إلى تحت مظلة مخزن التبن ، كما جر العربات ذات العجلتين إلى تحت المظلة أيضاً . وأصابته أولى قطرات المطر وهو يجمع مدمات العشب .

عندما يطالع القاريء منا كلمة « المكتوبجي » فربما ينتجه دفعه إلى أنها
تعني الشيء المكتوب ، ولكنها في الحقيقة كانت تطلق في القرن التاسع عشر
وما قبله على رقيب المطبوعات ، ولذلك كان المفكرون والحالمون بالحرية
يسمونه « شر » الفكر ، وكم كان لهذا « المكتوبجي » من نوادر !

غرائب « المكتوبجي »



بقلم : شريف الراس

ومدهشة وغير معقولة إلى حد دفع الكاتب الشامي
سليم سركيس لأن يؤلف عنها كتاباً كاملاً ، أصدره
في بيروت عام ١٨٩٦ بعنوان « غرائب
المكتوبجي » . وفي هذا الكتاب نقرأ أن [محرر
الجريدة لا يجوز له أن يذكر كلمة (جمهور) في
كتاباتهِ ، بل يجب أن يقول « الشعب » أو
« القوم » ، وفي الاعلانات يقال عادة « نعلن لحضرة
الجمهور » ، فيحذفها « المكتوبجي » ، ويضع محلها

يبدو أن العرب كانوا قبل مائة سنة ،
مبتلين بظاهرة استبدادية مؤلمة ، سبها
الناس « مقص رقيب المطبوعات » ، وسبها عرب
ذلك الزمان « المكتوبجي » ، حسب منطوق اللغة
الرسمية للسلطنة العثمانية التي كانت تحكم معظم
أقطار وطننا العربي .

ويبدو أنه كان للمكتوبجي (أو شرطي الفكر في
رأي الشعراء الحالمين بالحرية دائماً) مواقف عجيبة

« نعلن لحضرة القوم » . وذلك خوفاً من انشغال أفكار الناس بالجمهورية والميل إليها] .
ومن « فرمانات المكتوبجي » أي أوامره المخيفة التي كان يوجهها للكتاب والصحفيين ، خطر استعمال كلمة « جلالة » ، فهذه الكلمة موقوفة حصراً على السلطان العثماني المقيم في قصر يلدز بالأستانة (استانبول) ، فإذا قال صحفي « جلالة امبراطور روسيا » ، مثلاً ، فإن مقص الرقيب يحذفها .

كلمات لها معنى !

وأعجب من هذا أن مقص الرقيب كان يتجاوز حدود الكلمة المطبوعة ، حتى يصل إلى السنة المطربين . فعندما زار السلطان عبدالحميد مصر في أواخر القرن الماضي ، وأراد خديوي مصر تكريمه بجلسة طرب يحييها المطرب الشهير عبده الحامولي مثل الحامولي « ماذا ستغني » ؟ فقال : سأغني دور :

غاب عن عيني مرادي
وانهمل دمي صبيب

فأمره « المكتوبجي » أن ينسى كلمة « مرادي » ويضع مكانها كلمة « حبيبي » ، حتى لا ينزعج السلطان من سماع كلمة « مرادي » ، إذ يتذكر بأنه إنما تولى السلطة على إثر عزل شقيقه مراد الذي لم يهنا بالجلوس على كرسي العرش أكثر من ثلاثة أشهر ، ثم سجن بعدها داخل قصره في استانبول إلى أن مات سنة ١٩٠٦ .

وكان « المكتوبجي » يحذف كلمة « الحركة » أينما وردت في الأخبار أو التعليقات ، لأنها - في نظره - تعني « الثورة » .

وعندما نشرت جريدة الأحوال البيروتية خبر قدوم الوجيه البقاعي « الياس الباشا » من زحلة إلى بيروت ، تدخل « المكتوبجي » فغير اسمه في الجريدة « الياس الباشة » لئلا يظن الناس بأنه يحمل رتبة الباشوية .

ومن حسن حظ هذا الوجيه الزحلي الياس بك الباشا أن « المكتوبجي » الذي أمر بتغيير اسمه لم يكن من عشاق أكلة « الباجة » الشهية ، وإلا لسياء

« الياس بك الباجة » ، فيصبح اسمه بالعربي الفصحى : الياس بك كرشة الحروف ورأسه وكراهينه مطبوخة .

وهذه الحكاية المعجبية تذكرني بواقعة طريفة ، بطلها صديق لنا من آل الدتيك ، (أي الماهر في الدبكة أو الذي يدبك كثيراً لأسباب لم يدرسها علماء النفس بعد) . أراد أن يمازح مدير الأحوال المدنية في بلدته الصغيرة ، فرفع عليه دعوى قضائية يطالبه فيها بأن يعيد الأمور إلى نصابها ، فيمحو من سجلات النفوس اسم « الدتيك » ، ويكتب مكانها « الدب بيك » ، (على وزن الدب أفندي والدب باشا) ، لأن هذا هو الاسم الأصلي للعائلة قبل أن يصيبه التحوير والتحريف . وعندما قرأ القاضي صحيفة الدعوى ضحك ونصح صاحبنا بأن يتخل عنها ، لأن كلمة « الدتيك » تظل أجمل وأخف وطأة من « الدب بيك » ، إذ كيف يكون الدب بيكا ؟

شوقي والمويلحي

فإذا رجعنا إلى صحف ما قبل تسعين سنة ، فإننا نقرأ في جريدة المؤيد ، الصادرة يوم ١١/٢/١٩٠٠ مقالاً يثير في قلوبنا - نحن عرب اليوم - الشفقة على ما كان الصحفيون والقراء يعانونه من استبداد « المكتوبجي » في ذلك الزمن ، فقد كان ذلك المقال بعنوان « المطبوعات في دار الخلافة » ، وخلاصته أن الجرائد تن أنين الداء العضال بعلة الرقيب وتسلبه المعجب .

وهذا الأنين من أوجاع « الداء العضال » نسمعه حتى من أمير الشعراء أحمد شوقي الذي شكر الله تعالى على الفرحة بترحيل « مكتوبجي » بنفيض وقال :

لَنَا رَقِيبٌ كَانَ مَا أَثْقَلَهُ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَحَّلَهُ
لَوْ ابْتَلَى اللَّهُ بِهِ عَاشِقاً
مَاتَ بِهِ ، لَا بِالْجَوَى وَالْوَلَةِ
لَوْ دَامَ لِلصُّحُفِ وَدَامَتْ لَهُ
لَمْ تَنْجُ مِنْهُ الصُّحُفُ الْمَنْزَلَةُ
إِذَا رَأَى الْبَاطِلَ خَالَ بِه
وَأَنْ بَدَا الْحَقُّ لَهُ أَبْطَلَهُ

حملة شعواء على « المكتوبجين » ويصفهم بأنهم لا يخدمون مصلحة السلطان وإنما هم « قوم استؤجروا عليه لسقوط مروجهم وفساد مزاجهم » ، ويقول : « اللهم نستغيث برحمتك أن تبعد عن جلالة السلطان هؤلاء الأشرار الذين لو اجتمع منهم عشرة على أنظم سلطنة في العالم لخربوها في بضعة أيام » .

حيوان يلديز

ويذكر المويلحي بعد ذلك حوادث عديدة ، وغريبة جدا تؤكد أن أصغر « مكتوبجي » قادر على تدمير حياة أي إنسان في الدولة ، مهما علت رتبته ، وهذا ما حدث لمنيف باشا ناظر المعارف (أي وزير التربية والتعليم) ، عندما (ألف كتابا مدرسيا ، واتفق أن ورد في الكتاب ذكر (الحياحب) ، وهو حشرة يضيء ذنبها في الليل كالنجم ، فمهر عنه منيف باشا (بحيوان يلديز) ، ومعنى يلديز النجم ، فطار الجواسيس إلى السراي السلطانية ، وقدموا التقارير السرية بأن منيف باشا يعرض بجلالة السلطان في قوله عن « الحياحب » أنه « حيوان يلديز » على سبيل التورية . فعزل الباشا في الحال ، وبقي في نحوسة نجمه خمس سنوات مضطوبا عليه لهذه الكلمة التي ما خطر على باله غير معناها الحقيقي) .

وعلى الرغم من أنك إذا التقيت واحدا من هؤلاء « المكتوبجين » (ومخاطبته فيما خرج عن أشغال السراي وجدته عاميا عريقا في العامة ، أتميا ، وإن كان يخط بعض الحروف ، فهي لا تؤدي معنى ، وربما اجتمع على سطر يكتبه ثلاثة أو أربعة من الكتاب ، فلا يكشفون قصده إلا بالحدس والتخمين) . وإن هذا الأمي الجاهل قادر على تحطيم أكبر عالم في البلاد ، كما حدث لحسن فهمي باشا عندما ألف كتابا في حقوق الدول ، (أي الحقوق الدولية) ، (أعجب به العارفون ، وطبع في سائر الأقطار ، وقرأه المؤلف بنفسه مرارا على طلبة مكتب الحقوق (أي كلية الحقوق) ، وقدم منه نسخة لجلالة السلطان لتوضع في المكتبة السلطانية ، وتكلمت الجرائد التركية والفرنجية والعربية عنه ، ورسمت نظارة المعارف درسه في

عن الحق الذي يطله شرطي الفكر بخبرنا الأديب العربي الكبير ابراهيم المويلحي في مقالة منشورة بجريدة « المقطم » قبل ما يقارب مائة سنة (أن عالما أرمنيا ألف قاموسا بالتركية والأرمنية ، وعرض الكتاب على الحكومة ابتغاء الإذن بطبعه . فلما وجد رجال الحكومة في القاموس - كما يوجد في غيره - كلمة « السيف » مترجما بالتركية والأرمنية أمروا بحذف هذه اللفظة ، وقالوا : لا يجوز أن تكون في قاموس أرمني كلمة « سيف ») .

ويخبرنا هذا الكاتب الكبير الذي عاش عشر سنوات في قصر السلطان بالآستانة ، بوصفه واحدا من رجال البلاط المقرين ، أن (القاريء منهم يقرأ الكتاب المطبوع في الآستانة نفسها بإذن الحكومة مرارا ، فيجد فيه جملة ، فيكتب تلك الجملة ويبيئ عليها خراب الدولة ، فتصدر الأوامر بجمع الكتاب من الأقطار وإحراقه) .

ومن الطريف أن ابراهيم المويلحي الذي يستنكر جريمة « الجمع والاحراق » راح هو وكتابه الثمين « ما هنالك ؟ » ضحية النار نفسها . يقول حفيده ابراهيم المويلحي في مقالة نشرها بمجلة الرسالة (إبريل - نيسان - ١٩٣٨) :

« ولما كان ابراهيم بك مشغوقا بالتحضير أخذ ينشر في « المقطم » من وقت إلى آخر مقالته الانتقادية فيما رآه في الآستانة العلية مدة إقامته فيها بعنوان « ما هنالك ؟ » ثم جمعها وطبعها كتابا سنة ١٨٩٦ ميلادية ، فبعث السلطان عبدالحميد يأمره بإرسال جميع النسخ التي في حيازته إلى « المايين » (أي قصر السلطان في الآستانة) ، فخضع ابراهيم لأمر جلالة ، وأرسلها جميعا إليه ، ما عدا بضع نسخ كان قد وزعها على عائلته وأصدقائه . لذلك يندر وجوده » .

ومن حسن الحظ أن هذا الكتاب الطريف والمشوق والشمين بعث إلى الحياة من جديد ، بعد تسعين سنة من إعدامه ، إذ أصدره عبدالرحمن شلش في القاهرة عام ١٩٨٦ مصورا « بالأوفست » ، مع دراسة تاريخية كتبها أحمد حسين الطهاوي ، ومقدمة للدكتور علي شلش .

ومنذ الصفحة الأولى ، أو من المقالة الأولى فيه ، يحمل ابراهيم المويلحي (١٨٤٥ - ١٩٠٦)

أهجل من العدو سيرا ، وأسرع بطشا ، وأسوأ تأثيرا .

وإذا قال « المكتوبجيون » : إن تنبيه الدولة إنما هو فضيحة من غير جدوى ، رد عليهم المويلحي بأن الفضيحة لو كان في انقائها خير لتعطل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولما كان الدين النصيحة ، ولما قال الفاروق رضي الله عنه : من رأى منكم في أهوجاجا فليقومه . ومع كل ذلك فأي عورة مستورة منحتى تنقى الفضيحة من كشفها ؟ وما لنا فيما نكتبه عن البلاد العثمانية هو أننا نريد تنبيه الأمة إلى ذاتها لتتخذ نفسها من سوء المظالم ومن التمزق والتشتت الذي لا بد أن يلحقها إن هي بقيت على حالتها الحاضرة ، ولأجل أن تصير لها حكومة صالحة الإرادة ، منظمة الأحوال ، كبقية الأمم . وينحصر غرضنا (نحن الكتاب المخنوقين بكابوس المكتوبجية الخائت) في إعلان ما يخفيه عنها الظلمة من سوء أحوالها ، وإرشادها إلى المطالبة بحقوقها ، كما يكون الدواء بجانب الداء . ومن حقوقها أن تطالب بالإصلاح وتنفيذ القانون الأساسي وإعادة مجلس المبعوثين ، وتشكيل وزارة متصرفة مسؤولة أمام الأمة والتفسيح لحرية الأفكار كما هو موجود في أي دولة من دول أوروبا . وهذا النظام وحده هو الكفيل الكافل لتحسين حال الأمة العثمانية ، وحفظها من التفريق والتمزيق ، وبركته تصير قادرة على صد كل طامع فيها . وأماننا اليوم شاهد عدل من الحرب بين الصين واليابان كيف أن أمة صغيرة تغلب أمة عظيمة هي عشرة أمثالها ، بفضل هذا النظام .

وأخيرا ، فلأنني أستعير من مقدمة كتاب « ما هنالك ؟ » التي كتبها الدكتور على شلش ، قوله : إن الخلافة العثمانية في السنوات التي عاشها المويلحي في عاصمتها (١٨٨٥ - ١٨٩٥) كان محكوما عليها بالسقوط . فكل ما يرويه المويلحي في فصول الكتاب دليل السقوط الوشيك . وهذا ما حدث بالفعل ، مما لم يشهده المويلحي في حياته . □

مكتب الحقوق مع بقية الكتب التي اختارها للدرس فيه ، فقام جاسوس من تلك النظارة يدعو بالويل على حسن فهمي باشا ، وبتهمه بالغش للذات (السلطان) ، لورود عبارة حقوقية في الكتاب ، فسرهما على هواه . (وكتب الجاسوس تقريرا لجلالة السلطان بهذا فجاءه الطلب إلى السراي ، وقوبل بالاحسان والالطاف ، وصدرت الإرادة السنية في الحال بجمع الكتاب وإحراقه ، وأن لا يذكر في مكتب الحقوق اسمه ، وأن يرسل كتاب توبيخ إلى حسن فهمي باشا ، وللإحسان على الجاسوس بالرتبة الأولى من الصنف الأول ، وبمائة وخمسين ليرة . وقد قال الجاسوس بعد خروجه من السراي لصاحب له : على بعد تقريران لأصل إلى رتبة الوزارة) .

بعد هذه (النماذج) المذهلة يصبح من السهل فهم موقف هذا الثائر العربي ابراهيم المويلحي وحملته الشمواء على رجال « شرطة الفكر » الذين يصفهم بأنهم « أشربوا في قلوبهم التجسس » في زمن كان الأدباء ورجال الفكر فيه قد بلغوا حالة من القهر والذل والفقر ، جعلت هذا الكاتب يصف حالة إنسان بأنه « وقف أمام الأفاذل من وقفة مؤلف يطلب من المعارف إذنا بطبع كتابه » . ويغضب المويلحي في كتابه الجميل « ما هنالك ؟ » قُدماً ، فيقارع « المكتوبجين » الحجة بالحجة ، فإذا قالوا : إنه لا يجوز أن تنشر في الصحف أي أخبار محلية عن التخلف أو الانحراف أو سوء الأحوال المعيشية (لأن من الحزم تعظيم الدولة في عين عدوها حتى يقع في روعه أنها قوية عزيزة منيعة الجانب ، فيأس منها وينقطع طمعه فيها) فإنه يرد عليهم بأن هذه الحجة غش للدولة وتدليس بها ، أولا : لأن عدوها متنبه يقظ متأمل ، فهو أبصر بمغامزها وأخبر بدخائلها ، بل مطلع منها على ما لم نحط به خبرا . وثانيا : لأنه إذا كان عدوها بحيث يجهل بدخائلها وهي بادية للعيان فأهون به عدوا . وثالثا : لأنه إذا خيف على الدولة عاقبة التنبيه كان الخوف عليها من التهادي على الخلل أشد ، فإنه

● أفضل الناس من تواضع عن رفعة ، وعفا عن قدرة ، وأنصف عن قوة .
(عبد الملك بن مروان)

من القلب

اعتقاد خاطيء

● قال الجراح الكبير لمساعدته الشاب : قل لي : كيف كانت العملية الجراحية ؟ أرجو أن تكون ناجحة .

فشجبت ملامح الشاب ونتمم :
هل قلت : إنها عملية جراحية ؟
اعتقدت أنها عملية تشريح .

هل تعرف ؟

● كان انجليزيان يتبادلان رواية النكات ، فقال أحدهما : اسمع يا عزيزي ، هل تعرف نكتة الدليل السياحي الفرنسي الذي كان يدل السياح على جمعتين لجان دارك قائلا : إن الأولى كانت لها وهي فتاة صغيرة ، والثانية وهي امرأة فاتنة ؟
فأجابه الآخر : كلا يا عزيزي ، اروها لي .

صحيح ولكن :

● الأول : أنا أعشق مدينة لندن ، وأدين لهذه المدينة بأهدأ ساعات حياتي وأجملها .
الثاني : ولكنك لم تزر لندن .
الأول : صحيح ، أنا لم أزرها ، لكن زوجتي تقضي فيها شهرا كاملا كل سنة .



في الصميم

● صحيح أنني تحدثت كثيرا في ذلك المساء مع أناس مزعجين ، وذلك خشية أن أضطر إلى الاستماع .

« ريفارول »

● إذا أنت توقفت عن ترديد الأكاذيب عني ، أعدك بالآأقول الحقيقة عنك أبدا

« ماري ديماريه »

● إن أسوأ ما في الأكاذيب والإشاعات التي تنشرها حولك الصحف ، هي أنها غالبا ما تكون حقائق لا تقبل الشك أو الجدل .

« جان أنوي »

هأاموس الظرفاء

رب العمل : هو الشخص الذي يتأخر عن الوصول إلى العمل عندما تبكر أنت بالوصول ، ويبكر بالوصول عندما تتأخر .
سائق سيارة الأجرة : هو ذلك الشخص الذي يتقاضى أجرا مقابل نقل الناس من راحة المنزل إلى تعب العمل .
الصديق المخلص : هو الشخص الذي يعرف حقيقةك ولا يصارحك بها .



الصلوة

لصديقنا في رأسه صحراء
جفت فلا عشب بها أو ماء
وكانها الميدان من بعد الوفا
فني الجميع لها به أحياء
تزداد مآمر الزمان مساحة
وصديقنا من كبرها يسنا
ولقد سمعناه يقول ودمعه
يجري فبعمي مقلتيه بكاء
كم من دوا للشعر قد جربته
يومًا فراح سدى وظل الداء
يا حشرق ذهب الشباب وكان لي
فيه مآثر جمة غراء
أما الحسنات الفاتنات فليس لي
مع صلمي في وصلهن رجاء
قلنا له : مهلا فلم هذا البكا
واسمخ فني هذا الكلام عزاء
أوليس للإنسان في إحرازها
شرف ويملك مثلها العملاء
فأجاب : لا شرف أريد ولا عفا
أفما لديكم غير ذاك دواء ؟

ضحكات عربية

كريم

قال ابن حبان : كان عندنا
رجل مقل ، وكان له أخ مكثر ،
وكان مفرط البخل شديد الفخر .
فقال له يوما أخوه : ويحك ، أنا
فقير معيل ، وأنت غني خفيف
الظهر ، لاتعيني على الزمان ، ولا
تؤاسيني ببعض مالك ، ولا تتفرج
لي عن شيء ، والله ما رأيت قط
ولا سمعت بأبخل منك .

فأجابه : ويحك ، ليس الأمر
كما تظن ، ولا المال كما تحتسب ،
ولا أنا كما تقول في البخل ولا في
اليسر ، والله لو ملكت ألف ألف
درهم لوهبت لك خمسمائة ألف
درهم . يا هؤلاء ! أفرجل يهب في
ضربة واحدة خمسمائة ألف درهم
يقال له بخيل ؟

ضحكات عالمية

الوحيد

● قال الشاعر الفرنسي كاتول
منديس مهاجما الكاتب المسرحي
فكتوريان صاردو : إنه لا يستحق
هذا النجاح .
فرد عليه أحدهم : أعتقد أنك
تتحامل عليه ، فإن الجمهور يحب
مسرحياته كثيرا .
فقال كاتول : الجمهور ؟ إنه
الوحيد الذي يحبه .

« كان من أهم سمات الحضارة العربية الإسلامية قدرة المجتمع العربي على التسامح والتآخي ، هذه القدرة التي جمعت بين فئات المواطنين دون تمييز أو تفریق ، وعندما بدأت الأطماع الأوربية تمسح الوطن العربي ، امتدت الأصابع لتشعل نار الفتنة وتلعب على وتر التفرقة ، وهذه وقائع أحداث واحدة من الفتن التي يسجلها تاريخ الوطن ، وما أشبه الليلة بالبارحة . »

أسرار الفتنة السلافية

مر تاريخ
لوطن
العربي

وبزوغ الوعي القومي في الشام

بقلم : الدكتور أسعد الأسطواني *

أن تسعى لبسط نفوذها في المشرق العربي لحماية طرق مواصلاتها نحو فارس والشرق الأقصى فأنشأت أسطولا بحريا معادلا في قوته جميع الأساطيل الأخرى المنافسة . وكانت بريطانيا حريصة كل الحرص على أن لا يكون لأي دولة أخرى كفرنسا وروسيا أي نفوذ على طرق مواصلاتها الى الهند .

وكان التنافس شديدا بشكل خاص بين الدولتين الاستعماريتين - فرنسا وبريطانيا - على اقتسام النفوذ السياسي والاقتصادي في أرجاء الامبراطورية العثمانية ولم يكن هذا الأمر مطروحا إبان قوة هذه الامبراطورية في العصور السالفة عندما كانت تشكل تهديدا خطيرا على الشعوب الأوربية الذين كانوا يعدون الأتراك مادة غريبة في جسم أوروبا من الجوانب اللغوية والعرقية والدينية . ولقد وضعت الخطط الواسعة

في مطلع القرن التاسع عشر كان الممثلون الرئيسيون على مسرح الأحداث في الشرق العربي هم : الدولة العثمانية وبريطانيا وفرنسا والنمسا وروسيا ، وكانت الدول الأوربية تنتهج سياسات متنافسة ومتناقضة حول ما هو معروف بالمسألة الشرقية التي ولدت بالحقيقة من تضارب المصالح بين هذه الدول عندما بدأ الاقتصاد العالمي يدخل في طور الرأسمالية الصناعية .

المسألة الشرقية :

وكانت السمة البارزة للقرن التاسع عشر هي التصنيع السريع لدول أوروبا الغربية وانتشار الاستعمار الغربي في سائر أرجاء العالم . وكان نقصان المواد الضرورية لمعيشة بريطانيا سببا في اقتناصها المستعمرات المختلفة عبر البحار لتصريف إنتاجها الصناعي، فكان ذلك يحتم عليها

إضعاف الدولة العثمانية فازداد نفوذ الممثلين الدبلوماسيين والقنصلين لهذه الدول وراحت البضائع الأوروبية تغزو أسواق بلاد الشام عبر الوكلاء التجاريين المحليين الذين كان أغلبهم من الطوائف المسيحية .

الإصلاحات

ومما لاشك فيه أن حدوث الثورة الصناعية في أوروبا أدى الى بروز علاقات عالمية جديدة حتمت على الدولة العثمانية السعي للمحاق بأوروبا . وكان أول عمل هام لها في هذا السبيل هو تحديث الجيش . وهكذا تم القضاء على نظام الانكشارية في عام ١٨٢٦ ، وكان يضم طوائف شتى من الجنود المرتزقة وحل محلها بعدئذ فرق من الجيش النظامي وفق الأساليب العسكرية الغربية .

وكان من نتائج وجود المصريين في بلاد الشام حدوث عدد من الإصلاحات الهامة . فأنشئت المدارس الحديثة ، وطبقت المساواة التامة بين المسلمين والمسيحيين . وقد شمل الإصلاح أيضا الإدارة والقضاء ، وفتحت البلاد للمؤثرات الأوروبية . ومع تبوء السلطان عبد المجيد الأول العرش العثماني في عام ١٨٣٩ صدر أول مرسوم للإصلاحات نتيجة للضغط الأجنبي ، وكرد فعل للإصلاحات التي أجراها ابراهيم باشا في بلاد الشام . وقد تلاه أيضا مرسوم آخر في عام ١٨٥٦ تم فيه الوعد بالمساواة بين المواطنين مهما كانت ديانتهم والتأكيد على مضمون المرسوم السابق . وكان الأمر البارز في هذه الإصلاحات أن الدولة أخذت بنظام الحكم المركزي ، فشددت قبضتها على الولايات العربية القريبة التي أصبحت مرتبطة مباشرة بالعاصمة استانبول .

ولتنفيذ سياسة القبضة الحديدية كان لابد للفئة الحاكمة في عاصمة الامبراطورية العثمانية ، أن تلعب على حبل التناقضات بين الطوائف المختلفة أسوة بالدول الأجنبية الأخرى

للقضاء على هذه الامبراطورية وباءت كلها بالفشل أثناء احتفاظها بقوتها .

ولكن في أواخر القرن الثامن عشر ، عندما أصيب العثمانيون بالضعف لم يعد الأوروبيون يكتفون من أجل القضاء على الدولة العثمانية لأنها أصبحت أحد الأطراف في لعبة التوازن الدولي . ومن هنا برزت المسألة الشرقية وأصبحت وظيفتها التي تقوم بها هي تنظيم توازن القوى بين الدول الأوروبية الأربع إضافة الى الدولة العثمانية .

حادثان خطيران

وفي النصف الأول من القرن التاسع عشر وقع حادثان خطيران كادا أن يطيحاً بتوازن القوى ، وكان الحادث الأول احتلال القائد الفرنسي نابليون بونابرت لمصر ومباشرته غزو بلاد الشام ما بين عامي ١٧٩٨ و ١٨٠١ . وقد شكل هذا الأمر تهديدا واضحا لقوة بريطانيا في الهند ، ولسلامة الامبراطورية العثمانية ، مما أدى الى تدخل بريطانيا العسكري وهزيمة نابليون برا وبحرا وتكريسها كدولة تصون استقلال هذه الامبراطورية وسلامة أراضيها .

وأما الحادث الآخر فهو تعاظم قوة محمد علي باشا في مصر . وكان ابنه ابراهيم باشا يهدف لانشاء دولة عربية قوية وهو الذي قال : « لقد صيرتني شمس مصر عربيا » وعندما وصل إلى مدينة « أضنة » في أقصى شمال بلاد الشام كتب الى أبيه محمد علي باشا : « لقد توقفت في المدينة التي تنتهي فيها اللغة العربية » . وإذا كانت تجربة تلك الدولة العربية قصيرة في عمر الزمن إلا أنها أشعرت المستعمرين الأوروبيين بخطورة اندفاع المصريين نحو المشرق العربي فأبعدوهم زهاء قرن كامل وراحوا يخططون منذ ذلك الحين لزراعة دولة يهودية في قلب الأمة العربية .

وبعد انسحاب المصريين من بلاد الشام شجعت مصالح الدول الأوروبية وتدخلاتها على

التي توازعت هذه الطوائف ، فاتخذ الفرنسيون جانب الموارنة فيما برز البريطانيون بمظهر المدافع عن الدروز ، فظهر الخلاف الدرزي الماروني على أشده في جبل لبنان ، فيما راحت الدولة العثمانية تستغل الأزمات الاقتصادية التي أصابت الحرفيين المسلمين في دمشق لتأجيج النعرات الطائفية بين المسيحيين والمسلمين .

الخلاف الماروني الدرزي في جبل لبنان

ولقد شكل الوجود المصري في بلاد الشام ضربة شديدة لبريطانيا التي راحت تسعى لجمع الأضداد ، فاستطاعت في نهاية الأمر تأليب الموارنة والدروز والشيعة على حكم الأمير بشير الشهابي الثاني وحليفه إبراهيم باشا . وهكذا اجتمع المتمردون في بداية صيف عام ١٨٤٠ ضد الحليفين اللذين استطاعا القضاء على التمرد .

ولكن في شهر سبتمبر (ايلول) من العام نفسه قصفت البوارج الأوربية مدينة بيروت بالمدافع ، ونزلت قوات بريطانية وغمساوية في مدينة جونبة حيث انضمت إليها عصابات الثوار التي خرجت من مخابثها . وما أن دخل شهر نوفمبر (تشرين الثاني) من عام ١٨٤٠ حتى كان القائد المصري الكبير يسحب قواته من البلاد ، وبعد أيام غادر الأمير بشير الثاني لبنان على ظهر بارجة بريطانية متفيا الى مالطة .

وما أن تسلم خلفه الأمير بشير الثالث زمام الأمور حتى عاد الزعماء الدروز الذين أجبروا على ترك البلاد في أواخر الحكم المصري ، وبدعوا يطالبون بالحقوق والأراضي التي خسروها في العهد السابق . ولم ير الأمير الجديد بدا من معارضة مطالب الزعماء الدروز ، فأدى ذلك الى تفاقم العداوة بين الطرفين ، وفي أوائل عام ١٨٤١ توالى الحوادث بين الدروز والموارنة في منطقة دير القمر ، وانتصر فيها الموارنة فأضمر الدروز الانتقام .

وتدخل العثمانيون للتوسط في ظاهر الأمر ،

ولكنهم راحوا يوسعون الخلاف بين الطائفتين ، ففي الوقت الذي كانوا يسعون فيه لإقناع المسيحيين بفوائد حكمهم المباشر كانوا يشجعون الدروز على نهب قرأهم وممتلكاتهم . وبعد ذلك أجبروا الأمير بشير الثالث على مغادرة البلاد ، وتمكنوا من بسط سلطتهم المباشرة على جميع أراضي لبنان ، ومن ثم نصبت الدولة العثمانية عمر باشا النمساوي حاكما على الجبل . وكان قناصل الدول الكبرى يشكلون مؤتمرا صغيرا دائما في بيروت ، فلم يرق لهم الحكم العثماني المباشر فبدعوا يتدخلون في كل أمر فلم يجد عمر باشا بدا من الاستعانة بالموارنة ضد الدروز ، فاعتقل زعماءهم الذين ثاروا عليه واستطاع هزيمتهم بعد أن ضمن حياد الموارنة ، فتدخلت الدول العظمى ، وبعد مداوولات عديدة صدر القرار بتقسيم جبل لبنان الى منطقتين ، احدهما في الشمال وتولى شؤونها قائمقام ماروني ، والأخرى في الجنوب يتولاها قائمقام درزي ، على أن تكون الكلمة الأخيرة في القضايا الهامة لوالي صيدا (الذي كان يشرف على مدينة بيروت آنذاك) وأصبح طريق بيروت دمشق حدا فاصلا بين القائمقاميتين .

وهكذا عاش الجبل في جو من الهدوء النسبي حتى عام ١٨٦٠ ، فأتاح ذلك بروز التناقضات الطبقية بين الفلاحين الموارنة ومشايخهم وأمرائهم من الملاكين الكبار . ولقد وجد الاقطاعيون الموارنة بعد أن طردهم فلاحوهم في كسروان في يناير (كانون الثاني) سنة ١٨٥٩ ملجأ لدى الاقطاعيين الدروز الذين خشوا من ثورة عمالة عليهم من قبل فلاحهم فراحوا يستعيدون الذكريات القديمة المؤلمة ويؤججون النعرات الطائفية من الفلاحين بين كلا الطرفين ، فانقلب الصراع الطبقي الى صراع طائفي . وما أن جاء ربيع عام ١٨٦٠ حتى كان الطرفان يتبجحان باستعدادهما للقتال الذي اندلع فجأة من خلال عدة أحداث طائفية في زحلة ودمشق .

● أسرار الفتنة الطائفية

بشكل كامل بالسوق للتجارية الأوربية ، وبالمقابل تأثرت الحرف والصناعات المحلية في المدن الشامية ، خاصة مدينة دمشق ، من منافسة البضائع الأوربية فتوقفت أعمالها مما دفع بأصحابها إلى الفقر والافلاس وإلى إثارة الحقد والنقمة والبغضاء عندهم .

وكان الأعيان ، من الأشراف وأبناء الأسر الدينية العريقة ، يقومون بدور الوسيط بين الحكام والمحكومين . وكان يعيش معهم في المدينة الحرفيون والباعة الذين اعتادوا على نمط واحد من الحياة ، فلم يحاولوا تحسين وتطوير إنتاجهم ليواكب جودة وتقدم البضائع الغربية . وكانت الحرفة هي التي تضمن استمرار التقاليد العامة وتقاليد الأحياء الخاصة التي يخضع لها الحرفيون في علاقاتهم الاجتماعية والعائلية ، وكانوا بشكل أو بآخر تحت رعاية السلطة الدينية القديمة . وعندما هزت الصناعات الغربية أركان المجتمع القائم خسرت دمشق منافذها التقليدية ، بل أنها خسرت نفسها وكل ما يمت إلى وجودها الذاتي بصلة ، فالعدو داهمها في عقر دارها . وكان رفض الغرب هو الرد الأول عبر رفض وكلائه التجاريين . ولقد كان ذلك في رأى الأعيان والعلماء الحرفيين دفاعاً عن الوجود والنفوذ ولقمة العيش .

ومن جهة أخرى امتزج الفكر الديني بالنزعة الوطنية لدى أبناء دمشق أيذاً برغبتهم في التحرر من حكام استانبول . وكانوا عبر التمسك بالمواقع والدفاع عن المصالح يبحثون عن هويتهم العربية الشاردة ولسان حالهم يقول : نحن لسنا أتراكا ، نحن عرب ، وإن كنا عثمانيين ! ولقد رفضوا التبعية للأجنبي ، أي أجنبي ، سواء كان بريطانيا أو فرنسا أو تركيا ، فمنذ مطلع القرن التاسع عشر ساءلوا في صد الغزو الفرنسي عن بلاد الشام ، وحطموا جميع القنصليات الأجنبية في عام ١٨٦٠ . وقد ثاروا على والي دمشق التركي محمد سليم باشا في عام ١٨٣١ ، وقتلوه

وقبل الحوادث ، كانت أنباء الفتنة الطائفية في لبنان قد وصلت إلى استانبول ، وشاعت أخبارها في البلدان الأوربية ، فأراد السلطان عبد المجيد استباق ردود الفعل وتلافى ذيولها بسرعة قبل تدخل الدول الأجنبية ، فأرسل فرقة من الجيش مع وزير خارجيته فؤاد باشا مزوداً بصلاحيات واسعة . وعندما وصل الوزير إلى بيروت أمر باعتقال والي صيدا خورشيد باشا ووالي دمشق أحمد باشا ، وتم اعدامهما بعد محاكمة سريعة .

ثم انتقل فؤاد باشا إلى دمشق وأمر بالقبض على عدد كبير من الناس واعداد ١١١ شخصاً من المتهمين ، كما تم اعتقال أعضاء مجلس الولاية وعدد آخر من أعيان دمشق وعلمائها وتقيهم إلى قبرص وتركيا ، على الرغم من أن المحاكمات لم تثبت اشتراكهم أو ضلوعهم في الحوادث ، مما يشير بوضوح إلى أن الدولة العثمانية هدفت أيضاً إلى تلقين الدمشقيين درساً بليغاً مفاده أن لا تطمحوا إلى أي حكم مستقل وذاتي في المستقبل ، (وتوجد وقائع عديدة تشير إلى الظلم الذي عاناه أبناء دمشق على أيدي الحكام الأتراك لا مجال لذكرها هنا) .

التمسك بالهوية العربية

وهنا لا بد لنا أن نتساءل : هل كانت لدى أهالي دمشق طموحات وطنية وعربية ؟ كان أعيان دمشق في المدينة القديمة يشعرون بقدرتهم على التصرف المستقل عبر نظام اقتصادي واجتماعي متماسك ألفوه منذ قرون طويلة .

وكانت صدمتهم من تطبيق الإصلاحات شديدة ، لأنها اقترنت بتغلغل الأجنبي عبر قنصلياته ووكلائه التجاريين . فلقد احتكر أبناء الطوائف غير الإسلامية تجارة بلاد الشام في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وكانوا واسطة نفوذ الرأسمالية الأوربية في الشرق العربي . وكانت العائلات التي اغتنت أكثر من سواها هي العائلات المسيحية التي ارتبطت

هو وجميع أعوانه ، ولم تتناسب تلك الثورة بعنفها وقوتها مع مطلبهم المتواضع بالغاء ضريبة عقارية وجدوها مجحفة بحقهم .

وكانت الأنباء تبشر بقرب مجيء ابراهيم باشا المصري فاستقبلوه بترحاب كبير في عام ١٨٣٢ . وكان استقبال الدمشقيين للأمير عبد القادر الجزائري الذي اختار مدينة دمشق لسكناء في عام ١٨٥٥ بالغاحد الروعة . فلقد عبّروا بذلك عن نزعتهم العربية العميقة أمام البطلين العربيين الكبارين فشعروا إزاءهما بالعزة والكرامة مقابل إحساسهم الدائم بالقهر والإذلال أمام الأتراك .

بزوغ الفكر القومي العربي

وكان من النتائج السريعة للأحداث الطائفية ، أن تنبه عرب بلاد الشام من مسلمين ومسيحيين الى ما يحاك لهم في الظلام لمنع التفاهم على أساس رابطة العروبة ، فجاءت الخطوات الأولى في هذا السبيل من العرب المسيحيين الذين تبلور لديهم شعور عربي أصيل بدا على مستوى تذوق اللغة العربية ، وعلى مستوى السعي لتحقيق نوع من التضامن يتخطى الحدود الطائفية ، وضمن مفهوم جديد يهدف الى تنمية الحس القومي العربي واجراء نهضة شاملة في جميع نواحي الحياة .

وفي هذا السياق نذكر عددا من المثقفين والمتعلمين من أمثال أحمد فارس الشدياق وناصريف وابراهيم اليازجي وبطرس وسليم البستاني وأديب اسحق وفرنسيس فتح الله مرّاش وغيرهم كثيرون .

ومن أهم ما تم على أيديهم أو أيدي بعضهم نشوء الجمعية العلمية السورية في بيروت في عام ١٨٤٩ (وكانت كلمة سورية تشمل في معناها لبنان وفلسطين وسورية الحالية) ، وظهور تيار ثقافي يمكن أن نصفه بالتيار الوطني العلماني الذي يعتمد المبدأ الوطني وينبذ الطائفية ويتميز بإحياء اللغة العربية وجعلها أداة طيعة لاستيعاب العلوم

والمفاهيم الحديثة ونشرها في البلاد . وكان السيد بطرس البستاني (١٨١٩ - ١٨٨٣) أول من ألف في الخمسينيات دائرة معارف عربية تبدي اهتماما ملحوظا باللغة العربية ، كما راح ابراهيم اليازجي (١٨٤٧ - ١٩٠٦) يلقي في الجمعية العلمية السورية في عام ١٨٦٨ قصيدته المشهورة :

تنبهوا واستيقظوا أيها العرب
فلقد طمى الخطب حتى غاصت الركب
وكانت القصيدة مشبعة بروح التمرد ، وقد دعا السوريون فيها الى الوحدة لإسقاط الحكم التركي :

لنطلبين بحد السيف مأربنا
ولن نجيب لنا في جنبه أرب
ولعل لأحمد فارس الشدياق (١٨٠١ - ١٨٨٧) المولود في لبنان وفرنسيس فتح الله مرّاش (١٨٣٦ - ١٨٧٣) المولود في حلب ، وأديب اسحق (١٨٥٦ - ١٨٨٥) المولود في دمشق ، الفضل الأول في التنبيه الى الفرق الشاسع بين الظلم في الوطن الذي يتمون إليه والحرية السياسية التي يتمتع بها الغربيون . أما فيما يتعلق بالامة فإن النزعة القومية العربية واضحة في كتاباتهم وأشعارهم ، وقد تألم هؤلاء الثلاثة للنزعات الطائفية التي مزقت بلاد الشام ما بين عامي (١٨٤١ ، ١٨٦٠) فاستحال عليهم الشعور بأن الدين هو الرابطة الوحيدة ، فراحوا ينادون بالرابطة العربية .

ولم تكن فكرة العروبة من وحي أو من صنع العرب المسيحيين وحدهم ، فلقد كان الشعور بالانتماء العربي موجودا قبل الاسلام ، وكان واضحا إبان اندفاعات الاسلام الأولى عندما قام العرب الأوائل بانشاء الدولة العربية الاسلامية من الأندلس حتى تخوم الهند . والجدير بالذكر أن الاسلام لم يحارب المبدأ القومي ولم ينظر العلماء المسلمون الى فكرة الامة العربية على أنها شيء غريب منافس للدين أو مناقض له ، وذلك اقتداء

الأوربية في تشجيع وإثارة هيله الأحقاد) أيها هؤلاء : نحن ندير شؤوننا ، نضاهم بالفصحى ونترأحم بالآخاء ونتواسى في الضراء ونتساوى في السراء ، دعونا ندبر حياتنا الدنيا ونجعل الأديان تحكم في الآخرة فقط ، دعونا نجتمع على كلمات سواء ألا وهي : فلتحيا الأمة ، فليحيا الوطن ، فلتحيا طلقاء اعزاء ، أدعوكم وأخص منكم النجباء فلتبصر ولتبصر فيما آل إليه المصير . . . »

وقد تابع السيد نجيب عازوري العربي الماروني أفكار الكواكبي ورؤيا وأعطاهما تعبيراً أوضح وأكثر تحديداً في كتابه الذي نشره بالفرنسية سنة ١٩٠٥ « بقطة الأمة العربية » ،

حيث انطلق في نظريته من واقع العرب عند الفتح الاسلامي ، وبأن سياسة العرب هي سياسة التحرير لا القهر ، بينما « الأتراك يضطهدون المسلمين العرب أكثر من اضطهادهم المسيحيين إلا أنهم يحرصون أولئك على هؤلاء » . وكان يتحدث دوماً الأتراك بقوله بأن « النبي عربي والقرآن عربي ولغة السماء عربية » ، ويتبنى نجيب العازوري فكرة خلافة عربية روحية يشمل سلطانها الديني العالم الاسلامي كله ، وتكون لها سلطة زمنية في الحجاز ، وإلى جانب الخلافة الروحية تقوم امبراطورية عربية تمتد من وادي دجلة والفرات إلى السويس ومن البحر الأبيض المتوسط إلى بحر عُمان ، تحكمها ملكية دستورية حرة وسلطان عربي . □

بقول الرسول العربي عليه السلام : « أيها العرب ، الرب واحد والاب واحد ، وإن الدين واحد . وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم وإنما هي اللسان ، فمن تكلم العربية فهو عربي » وهكذا نمت فكرة الأمة العربية مع نمو فكرة الاسلام ، بل إنها وقفت في القرن التاسع عشر أيام الفكرة العثمانية ؛ تناظرها وتناقشها وتتصدى لها وتطالب بحقوقها منها ، ثم تعدها مغتصبة للخلافة الاسلامية ، وخاصة عندما شرعت النزعة الطورانية التركية تكشف عن أنيابها في أواخر القرن التاسع عشر . حتى الحرب العالمية الأولى في القرن العشرين ساعية إلى تترك الولايات العربية القريبة من عاصمة الدولة العثمانية كبلاد الشام والعراق .

وكان السيد عبد الرحمن الكواكبي (١٨٤٩ - ١٩٠٢) والسيد محمد رشيد رضا (١٨٦٥ - ١٩٣٥) من بين أئمة الاسلام في زمانيهما ، ومع ذلك أعلن صراحة تفضيل العرب المسلمين على الأتراك المسلمين ، فلقد كان موقفهما وقولهما بأن العرب هم مادة الاسلام وهم أحق بالخلافة من الأتراك ، يفصح عن إيمان أصيل بحق العرب في تنظيم حياتهم سياسياً على أساس وجود الأمة العربية . وفي كتاب « طبائع الاستبداد » وبجهد عبد الرحمن الكواكبي كلامه إلى الناطقين بالضاد من العرب المسيحيين قائلاً : « يا قوم أدعوكم إلى تناسي الأحقاد والإساءات وما جناه الآباء والأجداد ، فقد كفى ما فعل ذلك على أيدي المشيرين (يشير الكواكبي إلى موقف الدول



● اشترى الإمام الشافعي رضي الله عنه جارية فلما كان الليل أقبل على الدرس ، والجارية تنتظره ، فلم يلتفت إليها ، فذهبت إلى النخاس ، وقالت : حبستموني مع مجنون . فبلغ ذلك الشافعي فقال : من عرف قدر العلم وضعه أو توانى في تحصيله حتى فاتته فهو المجنون .





تجربة محمد علي المتحد يمشية

بقلم الدكتور : أحمد علي

فاستعان بأساندة إيطاليين وفرنسيين لتنظيم الجيش كما شيد محمد علي أسطولا حربيا وأسطولا تجاريا بعد ذلك ، وما يستتبع من ترسانات وأحواس ولهذا كله لم يكن عريبا أن تكون الطغمة العسكرية إحدى ركائز النظام الجديد . إن الاستعانة بالعناصر الأجنبية أملت الحاجة الى مدرسة الألسن . ثم إن التطور الذي عصف بمصر ، وقد التفتت شطر الغرب ، دعاها الى إرسال البعث الى أوروبا ابتداء

لسنا مسرفين إن قلنا إن محمد علي هو المؤسس الحقيقي والباقي الفعلي لمصر الحديثة ثم لا غرابة أن يلتفت محمد علي أول الأمر الى الجيش ، فهذا الجيش أمسى بالياً ، ولهذا سَهّل على بونابرت القضاء عليه والدولة الحديثة ، المتطلعة ، لا يستقيم لها الأمر من غير جيش منظم . وأدرك محمد علي تقدّم الأوروبيين في هذا الميدان ، لذا طَمَحَ الى أن يبني جيشا مصرياً عصرياً على النمط الأوروبي ،

دولة حديثة . وإلا فما معنى أن ينشئ محمد علي ديوان المدارس ، وأن يؤسس المدارس الكبرى على أنواعها ، ويأتي لها بالأساتذة من إيطاليا وفرنسا وانكلترا ؟ ولهذا نظم محمد علي الإدارة ، وقد « مصرها » بواسطة بيروقراطية متتفة تعمل على الكفاءات ، واستعان بالأقباط في هذا السبيل . ثم إن الدولة ليست جيشا وجهازا حكوميا فقط ، إنما مشاريع ومؤسسات وتخطيط للمستقبل وهذا ما نهض به محمد علي عندما حكم مصر حكما قارب نصف قرن ، فأنجح له هذا الزمن ، مع ما عرف عنه من حسن « برغماتي » يحتاجه أي حاكم حقيقي ، أن يحقق الكثير من مطامحه في البناء الاقتصادي ، بالإضافة إلى ما تقدم من البناء الثقافي ، المتمثل بالتعليم العالي على أوسع نطاق ، وباعداد « الكوادر » العلمية الكفؤة والمتفوقة وهكذا وجدنا محمد علي يصب اهتمامه على الأرض ، ومصر بلد زراعي في المقام الأول ، فيعنى بالتوسع في مشروعات الري ويطور أساليبه ، وذلك لزيادة المساحة الصالحة

ثمرة هذه الحركة على دولاب التخطيط الاقتصادي الكتب المترجمة ، وإن الذين ينحون على محمد علي تركيته ، عليهم أن يتذكروا أن محمد علي هو الذي أحيا العربية في مصر وكرسها لغة رسمية ومثقف ، وبلغ به الأمر أنه فرض الأزياء العربية على من دخلوا في خدمته من الأفرنج كما ألزمهم بتعلم العربية . ثم إن محمد علي أول من استغل بمصر عن الشؤون العثمانية وإن الحملة التي أرسلها إلى سوريا ، وقادها ابنه إبراهيم باشا ، وكاد أن يهدبها الاستقامة نفسها ، هذه الحملة التي أرعبت أوروبا ، فسارعت إلى نجدة « الرجل المريض » المتمثل بتركيا ، ذات دلالة تاريخية بالغة . كان محمد علي يستشرف الأفق العربي ، ونخال أن جمال عبد الناصر في عصرنا لم يكن ينأى بالأساس عن نفس الاستشراف .

مصر « تتأورب »

كانت مصر « تتأورب » ، فأعضاء البعث عادوا إليها بروح جديدة ، كما أن الأوروبيين تصدوا مصر

أصلاً على طريق الهند . وخال اسماعيل أن الجبة تصنع الراهب ، فقد سفح الأموال ، من غير وعي أو تحوط ، في مظاهر أوروبية كثيرة غير مجدية ، وطلباً للزينة والبذخ والترف ، فكان أن أودى بمصر إلى الافلاس المالي . فأصبح التدخل الأجنبي ، لإدارة شؤون مصر عبر الدائنين الأوروبيين ، جهازاً نهاراً ، مما استفز الحركة القومية التي نهضت رافعة الشعار الغالي : مصر للمصريين . وحمل الأدب أصداء هذا النهوض الوطني كما أن أبناء الفلاحين المصريين قد شرعوا يدخلون الجيش ، ووصل بعضهم إلى المناصب الكبرى ، فوقف أحمد عرابي على رأس الوطنيين الوقفة الشهيرة في ساحة عابدين ، مناوئين الضباط الأتراك والجراكسة ، وذلك في عهد الخديوي توفيق الذي خلف اسماعيل عقب إقالته سنة ١٨٧٩ . فاستعان توفيق بالانكليز ليقضي على وثبة الجيش ، مما أفضى إلى الاحتلال الذي ظل جاثماً على صدر مصر منذ سنة ١٨٨٢ حتى ثورة يوليو ١٩٥٢ .

رد فعل طبيعي حيال مظاهر تبدى « عجيبة » لمن كان متخلفاً عن ركبها . والمؤرخ عبد الرحمن الجبرتي ، المعاصر للحملة الفرنسية على مصر ، يعبر في كتاباته أوفى تعبير عن دهشة الإنسان الشرقي المتخلف أمام الحياة الغربية والتقدم الغربي وجاء محمد علي فانتقل من حيز الدهشة إلى حيز الاقتباس العملي والأخذ الناشط فكان الجيش المصري ، وكانت البعث ، وكانت مدرسة الألسن ، وكانت الترجمة للعلوم العملية التي تساعد على تنشئة الاختصاصيين وعلى القيام بالمشايرع التطويرية التي تبدل التركيب التحتي للمجتمع . أما ترجمة الآداب فتأتي دائماً في مرحلة تالية ، لأنها تتصل بالحياة الروحية والترف الثقافي . ومع ذلك يبقى هناك فارق ذو شأن بين المرحلتين العباسية والنهضوية . فقد تأثر العرب في زمنهم العباسي بغيرهم ، وكانوا أقوياء سياسياً ويديرون شؤون إمبراطورية عظمى . في حين أن عرب النهضة قد أناخ عليهم العثمانيون قروناً ، فأفقدوهم مناعتهم التراثية ، وضل العلم بينهم كثيراً ، وغدوا في الواقع عالة على التاريخ لا حاملة

● تجربة محمد علي الطليعي

جهده الطليعي ، وعلى دعم محمد علي القوي لمسهاء . وهذه المدرسة الطبية المصرية كانت الأولى في الشرق العربي ، وتبعها بعد أربعين سنة تقريباً الكلية السورية الانجيلية في بيروت (أي الجامعة الأمريكية) . ولكن الدكتور كلوت بك واجهته المصاعب ، فلا تدريس للطب من غير تشريع ، والقوم يأبون هذا . فتم في البداية تشريع الكلاب ، ثم عمدوا إلى تشريع جثث الأقباط وجثث العبيد .

ولجأوا إلى المدافن المهجورة يستعينون بالجماجم والعظام منها . وتم لهم أخيراً الاذن بتشريع من يتوفون لديهم في مستشفى قصر العيني . وفي عهد محمد علي وفدت الأوبئة على مصر ، غير مرة ، لا سيما الطاعون والكوليرا ، وكانت تترك ضحايا بعشرات الآلاف . وحاول الدكتور كلوت بك إقناع الناس والجند باللقاح الواقى ، ولكنهم خافوا ورفضوا . فكان أن لقح كلوت بك نفسه ، خلال حفلة جامعة دُعي إليها الأطباء والضيافة والأعيان وكبار الموظفين ، وذلك ليقنعهم جميعاً بجدوى التلقيح . وأضاف محمد علي سنة ١٨٤٢ إلى مدارسه الكبرى فرعاً طبياً للنساء لتخريج القوابل ، وهياً لهذا الغرض مستشفى خاصاً . ولكن المصريات لم يعجبهن هذا الجديد الطارىء ، فكان أن استعان محمد علي بالجواري الحبشيات لتحقيق مأربه . وقد يقول قائل إن الأمر رهن بالتقاليد ، وهي ضاربة عميقاً في أرض المجتمع ، ولكن ما رأي المسوغين إذا ما أفدناهم أن محمد علي عندما أراد شق شارع مستحدث وسط القاهرة ، بعد أن ازدحمت بالأعمال التجارية والمركبات وعسر السير عبر الأزقة الضيقة القديمة العهد ، فإنه على الرغم مما عُرف عنه من جراءة وعزم ، استفتى العلماء قبل المباشرة فيه ، فكان أن جاءت فتواهم تدعوه إلى جعل هذه السكة الجديدة ذات عرض يسمح بمرور جملين محملين بغير مشقة ، فكان أن قَدَّر الأمر بثمانية أمتار . إن التخلف عنيد ، لكن التقدم ، عندما يقف وراءه رجال أشداء نظير محمد علي ، هو عنيد أيضاً وجسور .

له . ومن هنا ندرك كيف أن الثقافة الغربية اكتسحتهم في هذه المرحلة الحديثة ، فهم بلا سلاح فكري ، وبلا استقلال سياسي ، وكيانهم الاجتماعي انحدر نحو الجمود ، بحيث إن العملية التطويرية في أبسط تجلياتها تحتاج عندهم إلى إذن وفتوى .

ويتضح هذا التخلف ، الراسخ الجذور ، من تجربة محمد علي وما قوبلت به من مقاومة ، ناتجة أساساً من غربة أصحابها عن التطور في أبسط مفاهيمه . نعرف مثلاً أن محمد علي أسس المدارس العليا ، ومن أقدمها وأجلها وأشهرها المدرسة الطبية المصرية في أبي زعبل والمستشفى الملحق بها ، وذلك سنة ١٨٢٦ ، وتم نقلها بعد ذلك إلى قصر العيني سنة ١٨٣٧ . والمدرسة والمستشفى اقترن اسمهما بالدكتور كلوت بك ، وهو فرنسي أسسهما وأشرف عليهما ودرّس فيهما الجراحة . وكان الأساتذة الأطباء الذين تولوا التدريس من الفرنسيين ، أما الذين عملوا في الجيش المصري فكانوا من الفرنسيين والإيطاليين . وبعد مضي عشر سنوات ، على تأسيس هذا المركز العلمي ، تخرج منه أربعمئة وعشرون طبيباً وصيدلياً . ولا بأس أن نذكر ههنا أن الأمير بشير الشهابي الكبير الذي كانت تربطه بمحمد علي علاقة تحالفية ، أوفد بعثة لبنانية إلى قصر العيني لدراسة الطب . ثم إن الذين قاموا بنقل العلوم الحديثة إلى العربية ، أو عمدوا إلى التلخيص ، أو التأليف فيها ، كانوا من تلاميذ المدرسة الطبية المصرية . وذلك أن لغة التدريس المعتمدة في هذه المدرسة كانت العربية ، لكن في بداية العمل كان يصحب الأستاذ الفرنسي ترجمان ، لأن محمد علي رغب في العمل فوراً ، فلم ينتظر حتى يتعلم الطلاب الفرنسية ، أو حتى يتعلم الأساتذة العربية ، أو حتى يتم نقل الكتب اللازمة إلى العربية . وهؤلاء الترجمة الذين توسطوا بين الأساتذة والطلاب ، كانوا من اللبنانيين والمغاربة والأرمن . وكان الناس البسطاء يستهولون أن يغدو المصري طبيباً ، ولكن الدكتور كلوت بك أفلح في أن يجعله كذلك ، معولاً على

وكانت على غرار الأوربيين في برامجها وطريقتها
تدريسها للأدب والتاريخ والفلسفة . ولقد تولى
هل مدير الجامعة المصرية أعلام المستشرقين من
إيطاليا وفرنسا ، يقيمون فيها ما ألفوه في بلادهم من
علم منجز مضيء في قالب تألفي متناسق متكامل ،
بل إن بعضهم ، وهم قلة نادرة ، قد كتبوا
بالعربية . ولعل خير مثال باهر على هذا الجمع الرائع
بين التأليف العلمي المشرق ، والعربية الرفيعة
الصافية ، هو كارلو نلينو في محاضراته التي صدرت
بعد ذلك في كتاب « تاريخ الآداب العربية ، من
الجاهلية حتى عصر بني أمية »

لقد ترك الغرب في الحياة الثقافية العربية آثارا
عميقة . وليس الإشكال في أننا أخذنا عن الغرب
وتعلمنا له ، فالتواصل الحضاري قانون إنساني
نتبينه في الحضارات كافة فهذه اليابان أخذت
وتخطت ، وشرع الغرب نفسه يلحق بها لاهنا ليفيد
من تجربتها الفريدة في حين أننا أخذنا كل شيء عن
الغرب ، علما وثقافة وأدوات ومأكلا وملبسا ونمط
حياة ، ومازلنا راسفين في أغلال التأخر بل إننا
بالقياس إلى التقدم الغربي العاصف ، نمشي ربما إلى
الخلف ، وتزداد الهوة اتساعا بيننا وبينه ، عوض أن
تضيق . كنا في نهضتنا عبالا على الغرب ، وما برحنا
نقتفي أثره في مختلف مرافق حياتنا . ولسنا نطمح إلى
« الاستقلال » الناجز عنه ، لأن العالم المعاصر يعيش
في الواقع حضارة كونية ذات أنماط متقاربة ، وهي
أنماط مستقاة ومستلهمة من الحضارة الغربية على
الأخص . وبالتالي فالمرجى ألا نظل « متسولين » عند
باب هذه الحضارة الغربية ، وإنما يجب أن نشارك
فيها ، ولو بقدر يسير جدا □

والأدب والحياة . وهذا الجديد تمثل بالتيار الذي تنبه
لآثار الحملة الفرنسية ، ولإصلاحات محمد علي ثم
إسماعيل ، ورأى في الغرب موئل التقدم والحداثة
وبناء الدولة العصرية . وهو التيار الذي أضحي
الغرب بآدابه متنفسا تطلعاته الروحية . وهكذا
نهضت حركة ترجمة للآداب الأوروبية ، والفرنسية
منها والانكليزية بخاصة ، والروسية أيضا ولكن نقلا
عن اللغتين المتقدمتين ، ودخل العربية مولير
وكورناي وشكسبير وتولستوي وتشيفوف وإذا
بمئات المسرحيات والقصص والروايات الغربية
نطرح نفسها على الجمهور العربي . وتبدت العربية
مطوعة في عملية نقل هذه الآداب والأفكار
والمشاعر

وهذا التيار « المتغرب » المناوئ للأزهر ، هو
الذي توج سعيه الثقافي ، في مطلع هذا القرن
العشرين ، بافتتاح الجامعة المصرية سنة ١٩٠٨ ،



● أوصى لقمان بن عنقاء بن بيرون ابنه فقال : يا بني ، كن على حذر
من اللئيم إذا أكرمته ، ومن الكريم إذا أهنته ، ومن العاقل إذا
هجرته ، ومن الأحمق إذا مازحته ، ومن الجاهل إذا صاحبتة ، ومن
الفاجر إذا خاصمتة .



هل يستطيع المسرح أن يعلم دون أن يكون ثقيلًا مملًا؟ وهل يمكنه أن يعلم دون أن يقلل من قيمة الموضوع الذي تعالجه المسرحية؟ وهل بوسعها أن تبقى - بعد أداء رسالتها التعليمية - عملاً يتصف بالصدق الفني أو النضج الأدبي فلا تتحول إلى محاضرة في الأخلاق أو الاقتصاد أو السياسة أو الأيديولوجيا؟


المسرحية التعليمية والتخدير

بقلم : الدكتور حسن عباس

بريخت والمسرحية التعليمية

قد يقال ان بريخت لجأ إلى المسرحية التعليمية لئلا يتخلى عن مبادئه الجديدة واعتنقها والتزم مبادئها بعد ان عكف على دراسة الماركسية والاقتصاد في السنوات التي امتدت من عام ١٩٢٧ إلى عام ١٩٣٠ ، وهذه الايديولوجية تبدو جلية واضحة في معظم المسرحيات التعليمية التي كتبها ، قد يقال ذلك ، ولكن كتابات بريخت للمسرح التعليمي وعنه ، ترينا ان ليس هناك -

من كتاب المسرح - من كتب بمثل الحماسة وقوة الدافع الأخلاقي اللتين تقفان وراء الرغبة في توجيه الفن المسرحي نحو غايات تعليمية . لقد كان بريخت على بينة من كل كلمة يكتبها ، وكان يريد لهذه المؤسسة ذات التأثير الواسع - المسرح - أن تكون في خدمة الثقافة الجماهيرية ، كما أراد لها أن تكون وسيلة امتاع وثقافة في آن معا .

 المسرحية التعليمية - كما تدل، عليها تسميتها - تحاول تلقين المشاهد أفكارا ومبادئ وحقائق معينة من خلال العرض المسرحي ، وهي في كل ذلك تعلمه كيف يعمل على تغيير العالم في صورته التي رآه عليها بريخت . ولكننا عندما نصف مسرحية ما بقولنا إنها مسرحية تعليمية ، نكاد نصدر عليها حكما بالموت ، فليس هناك من الناس من يسره الجلوس إلى مقاعد الدرس حتى وإن كانت أرائك مريحة في صالات عرض فخمة . فالمسرحية - بما هي تعليمية - لا بد لها من أن تؤدي رسالة ما ، أو أن تبث دعاية ما ، وهي في كلتا الحالتين تتسم بالعبوس والتجهم ، وأسوأ من ذلك أنها تدعي لكتابها تفوقا وامتيازاً عقليين يبيحان له الوقوف أمام حشد من الناس معلماً وناصحاً ومرشداً ، فذلك يناهز المسرح عن الاعتقاد السائد الذي يرى فيه مكان ترفيه وتسليه .

يتساءل بريخت لقد أصبحت خشبة المسرح تثقف ، فالنقط . والتضخم ، والحرب ، والصراع الاجتماعي ، والعائلة ، والحنطة ، والمتاجرة بالحيوانات المعدة للذبح ، كل ذلك أصبح مادة للعرض المسرحي . . لقد أصبح المسرح حقل نشاط للفلاسفة ، أولئك الذين (لا يسعون إلى توضيح العالم فقط) بل إلى تغييره أيضا ، فظهرت الفلسفة على خشبة المسرح ، وبهذه الصور ظهر الاتجاه الوعظي ، فإلى أين ذهبت التسلية ؟

إن وضع التعليم في مواجهة التسلية أمر يسيء إليهما معا ، ذلك أن كلا منهما - في العمل الفني الصادق - يكمل الآخر . ويختلف مفهوم التعليم باختلاف الفئات الاجتماعية ، فهناك من الناس من ينظر إلى الأشياء في البيئة الاجتماعية على أنها كل جامد صلد لم يعد قابلا للتغيير ، وإن ما هو متاح من متع العيش فيه ما يكفي . إن مثل هؤلاء الناس قد خاب فيهم الظن ، وفقد الأمل ، فليست البنية الاجتماعية هي التي تستعصي على التغيير ، بل إن إرادتهم الواهنة هي التي تعجز عن أحداثه . « لكن هناك فئات أخرى لم تذوق طعم الفطائر . إنهم يريدون أن يدركوا كل شيء مهما كلف الأمر ، (وهم) يعرفون أنهم (ضائعون) أن لم يتعلموا ، ويمثل هؤلاء أحسن التلاميذ ، وأكثرهم تعطشا للمعرفة . إن مثل هذه الاختلافات توجد أيضا بين الشعوب والأقطار . » فالرغبة في المعرفة تملئها ظروف اجتماعية أيضا وليست وقفا على الميول الفردية .

بين العلم والفن

ويرى بريخت أن هناك من التعليم ما يجلب سعادة النضال ، ولو لم يوجد مثل هذا التعليم لفقد المسرح . ويتساءل « . ما هو العنصر المشترك بين العلم والفن ؟ إننا نعرف جيدا أن العلم يمكن أن يكون مسليا ، ومع ذلك ، فليس

كل ما يسلي يمكن أن يقدم على خشبة المسرح . » ليس الفن - في العصر الحديث - بمعزل عن العلم مهما بدا البون شاسعا بين هذين الفرعين من فروع النشاط الانساني . وعلى الرغم من أن كلا منهما يمارس تأثيرا خاصا ، وبأسلوب خاص فإن الكاتب المسرحي - وهو فنان - لا يستطيع العمل بعيدا عن منجزات العلم كالإنارة المتطورة ، وآلية المسرح التي بلغت شأوا كبيرا من التقدم التقني ، فضلا عن حاجته إلى العلوم المساعدة في إيضاح حالة ما ، كعلم النفس إذا كانت الشخصية تتحدث عن الغرائز ، أو الدوافع ، أو كعلم الاقتصاد إن كان الموقف يتطلب تشريحا لطبقات اجتماعية من حيث دخولها ومكاسبها وطرائق عيشها . يقول بريخت « ومهما بلغت كمية المعرفة العلمية التي يتضمنها العمل الفني ، فإن هذه المعرفة يجب أن تتحول إلى فن . إن امتلاكها - هو الذي يمنح تلك السعادة التي يثيرها العمل الفني . » ويضيف بريخت في « حوارية شراء النحاس » إلى ذلك قوله : فلنكن يبدع المرء عملا فيه الكثير من الإلتباس ، والكثير من التعقيد ، كما هو شأن المسرحية التي نحاول عرض حياة الناس الاجتماعية ، فإن المعرفة التي (نمد بها) تجربته المعاشية ليست كافية على الإطلاق . فبدون معونة الاقتصاد والسياسة ، لا يمكننا أن نفهم أنماط السلوك عند معاصرينا .

التعليمية والتجريب

والمسرح التعليمي تجريبي أيضا . لقد مر المسرح الأوربي الجاد بمرحلة من التجريب أسهمت فيها أجيال عديدة ، ولم تصل إلى غايتها بعد . كانت تلك التجارب في خطين متوازيين يتداخلان أحيانا ، فكان أحدهما يعزز جانب التسلية ، وكان الآخر يعزز جانب التعليم . ولما كانت التسلية تستهلك بسرعة ، فقد دأبت تلك التجارب في سعيها للعثور على مؤثرات جديدة .

كانت تناقض سير الحدث وتقطعه مما يحول دون الاندماج فيه ، وكان يأمل أن تكون الأجزاء المقعمة بالوعظ الأخلاقي ، والأغاني التعليمية مسلية قدر الإمكان . وهي تسلية تختلف عن نوع التسلية التي تقدمها المسارح التقليدية . إن المتعة الناجمة عن التعليم تتوقف على طبيعة الطبقة الاجتماعية ، كما أن الذوق الفني يتوقف على الموقف السياسي الذي يعود إليه الفضل في أن يقبل المتفرج ما يرى ، أو ينفر منه . ولو أخذنا بنظر الاعتبار ذلك العدد من الناس الذي جاء إلى الحفلة بدوافع سياسية ، فإننا نرى - في مرحلة تالية من التجارب - أن أي استزادة في عنصر التعليم ، ستؤدي في الحال إلى إضعاف جانب التسلية . « لقد تحول المسرح إلى جامعة شعبية . » لقد جعل بريخت العقلاني من كتاباته المسرحية تجارب تخضع لسيطرة عقلية تامة ، وكانت الغاية المرجوة منها هي الكشف العلمي عن طبيعة العلاقات والتحويلات الاجتماعية .

دور التقنية الحديثة

وللتمثيل دور مهم في المسرح التعليمي . إن التمثيل الإنفعالي الذي يؤثر على أعصاب المشاهد يهدد قيمة التعليم في العرض ، لذلك يجذب بريخت اللجوء إلى ممثلين من الدرجة الثانية لأنه « كلما مُست أعصاب الجمهور كان أقل استعدادا لتقبل التعليمية ، وهذا يعني أنه كلما دفع الجمهور إلى الإنفعال (المشاركة والتأثر) كان أقل قدرة على ملاحظة الارتباطات المتبادلة بين الأشياء ، وأقل قدرة على التعلم . وكلما قدم له المزيد من التعليمية كانت حصيلته من المتعة الفنية أقل . »

لقد أدى التطور المتواصل في الجانب التقني إلى امتزاج وظيفتي التسلية والتعليم ، ولو أن كل الجهود أصرت على أن تقدم فكرة اجتماعية . لاستطاعت في نهاية المطاف أن تصل بالمسرح إلى حالة يستطيع معها - بمساعدة الوسائل الفنية - أن



● بريخت

ويضرب بريخت أمثلة على تلك التجارب التي قام بها كل من انطوان ، وبران ، وستانسلافسكي ، وغوردون كريج ، ورينهارت ، ويسكاتور . ويعتقد أنهم بتجاربهم قد أغنوا وسائل المسرح التعبيرية بما أدى إلى زيادة في قدرته على التسلية . أما على الجانب التعليمي فقد كان لجهود بسكاتور أثر كبير في تعزيز جانب التعليم في المسرح . ويقول بريخت - كما ورد في نظرية المسرح الملحمي - إنه قد أسهم بنفسه في كل تجارب بسكاتور التي لا يستثنى منها تجربة واحدة لم تهدف إلى تأكيد القيمة التعليمية . كانت جهود بسكاتور وانتفاعه بكل ما استحدث في التقنية من تطور يهدفان إلى عرض الموضوعات المعاصرة على خشبة المسرح . وكانت تجاربه قد قضت على الروتين تقريبا ، وتغلغلت على نحو منظم في أعماق الطريقة الفنية التي يتبعها كتاب المسرح ، وإلى أساليب الأداء عند الممثلين حتى وصلت إلى عمل المصمم المسرحي .

ويقوم بريخت بتجربته الذاتية ، فيقول إن العناصر التعليمية في مسرحية « اوبرا القروش الثلاثة » لم تكن نابعة من مجمل العمل ، فقد

يقدم صورة عن العالم ، وأن يكون نماذج للحياة الاجتماعية للناس كقيلة بمساعدة المشاهد على فهم وسطه الاجتماعي ، واستيعابه بالعقل والعاطفة .

كنا قد أشرنا إلى أن التعليم ثقيل على نفوس رواد المسرح ممن يقصدونه طلبا للمتعة والتسلية ، فكيف يستطيع بريخت بمسرحه التعليمي اجتذاب هؤلاء الناس ، واغرائهم بالجلوس ؟ إنه يستطيع ذلك بالموسيقى التي تؤلف لمسرحية بعينها ، وبالدكتور الخاص الذي برع فيه صديقه كاسبر نيهير ، وبالرسوم التي أتقنها جورج غروس ، ثم بكل وسائل المسرح الملحمي وأدواته .

دواعي الظهور

ويحذر بنا الآن أن نسأل : ما الذي دعا إلى ظهور المسرحية التعليمية في أدب بريخت المسرحي ؟ ثم ما الذي دعا إلى ظهورها في الأدب المسرحي العربي ؟

كانت ألمانيا في أواخر العشرينيات وأوائل الثلاثينيات قد تعرضت لأسوأ أزمة اقتصادية مرت بها ، وهي الأزمة التي ابتدأت في نيويورك وعم أثرها المدمر أقطار أوروبا الغربية كافة . فقد أغلقت المصانع أبوابها ، وانتشرت البطالة بين العمال ، وعم الاضطراب قطاعات واسعة أخرى من الشعب الألماني ، ودق ناقوس الخطر ، لقد وضعت تلك الأزمة مصير ألمانيا موضع تساؤل : إلى أين ؟ بل وضعتها عند مفترق طرق جعلت القوتين الرئيسيتين : اليمين واليسار تتسابقان إلى الإنفراد بالسلطة كل على حساب الأخرى . أما اليمين النازي فقد ألقت الرأسمالية الألمانية والعالمية بثقلها وراءه ، وعملتا على إيصاله إلى السلطة ، وأما اليسار فقد تآزر فيه الشيوعيون والاشتراكيون في عمل مشترك .

في ظل هذا السباق الرهيب الذي لم يكن يخلو

من العنف والقتل وإراقة الدماء ، دارت رحى المعركة ، واستخدمت فيها كل الأسلحة ، وكان المسرح بين تلك الأسلحة - بوصفه أداة تثقيف جماهيري وتوعية وتحريض - وقد انعكست الضراوة التي اتسمت بها معركة الوصول إلى السلطة على كتاب المسرح أنفسهم ، لقد أدت مجريات الأحداث على هذا النحو إلى تحديد صرام في المواقف ، فقد رجفت قلوب ، وزلت أقدام ، وتراجعت قيم ومثل ، ولنا في كتاب الحركة التعبيرية التي انفرط عقدها في النصف الثاني من العشرينيات ، مثال ذو دلالة ، فقد اندفع كتابها في اتجاهات مختلفة كل بحسب الضغوط التي مارسها أحد طرفي الصراع عليه ، اتجه برونن - صديق بريخت - ويوست إلى اليمين ، واتجه بيشر وفولف إلى صفوف الشيوعيين ، وفر كثيرون خارج ألمانيا بعد وصول النازيين إلى السلطة .

ضيق أجهز الحكم القائم آنذاك على قوى اليسار وكتابه ادراكا منها لما للمسرح من دور خطير في التوعية والتوجيه ، فمنعت المسرحيات ذات التوجيهات المضادة من أن تعرض على خشبة المسرح الرسمية . يقول الدكتور عادل قرشولي : « ونتيجة لهذا الوضع الناشئ عن تنامي حدة الصراع الطبقي ، لم يجد الكتاب الثوريون أمامهم سوى الحركة المسرحية العمالية ، وفرق الهواة ، فتوجهوا إليها ، وربطوا مصائرهم بمصائرهما . كانت هذه الفرق تتكون بدرجة رئيسية من ممثلين شبان ، وعمال ثوريين يتمتعون باستقلال اقتصادي ولا يضطرون للدخول في مساومات ايدولوجية مع مالكي المسارح الكبيرة لأن أدواتهم لم تكن أكثر من ديكور بسيط ، ومكبر صوت ، ولأن مسرحهم لم يكن سوى الشارع والمقهى ومسارح النوادي البسيطة . »

ولم يكن أمام بريخت ازاء تلك التطورات جميعا إلا أن يهجر ما اصطلح على تسميته « الجهاز البرجوازي » ، ويتجه إلى صيغة المسرح

بين الدعوة إلى تحقيق الهدف ، وبلوغ الهدف ذاته منها ما أوجده الاحتلال وظروف التجزئة ، ومنها ما أورثته قرون التخلف . فكم من الصعاب ظلت تحول دون التحرر حيث كان السعي إليه يصطدم بجيوش أجنبية ، وبفئات اجتماعية مهيمنة ربطت مصيرها بمصير الاحتلال ، وتشابكت مصالحها بمصالحه . فكانت لا تقل عداء ونقمة على الثائرين العرب ونكالا بهم منه .

وكم وقفت الاقليمية ودعوات الانفصال ، والإبقاء على التجزئة التي يتبنّاها المنتفعون بها حائلا دون بلوغ هدف الوحدة ! وكم وقفت قوى الاقطاع والرأسمالية العربية في وجه الدعوة إلى تحقيق العدالة الاجتماعية !

كل تلك كانت مواد خصبة أمام كتاب المسرح ، يخرجون منها بالدروس التي ينبغي للمواطن العربي حيشا وجد أن يعيها أملا في تذليل تلك الصعاب ، وبلوغ الأهداف الكبار . على أن الشكوى من الظلم الاجتماعي وما يستتبعه من صراع طبقي احتلت مكانا بارزا في المسرح العربي المعاصر تعليميا كان أم غير ذلك . لقد أدرك الكتاب العرب الصلة الوثيقة بين المواطن الحر الذي يملك شبرا من الأرض يدافع عنه ، والوطن الحر . وهذا هو الدرس الذي تكفلت بإيضاحه - فضلا عن دروس أخرى - مسرحيات تعليمية عربية كثيرة منها « باب الفتوح » لمحمود ذياب ، و « العطش » لنور الدين فارس وغيرها

التعليمي وعيا منه بالدور الاجتماعي للمسرح ، وتقديرا لإمكانياته الدعائية . ولا بد لنا من الإشارة إلى أن بريخت كان قد أطلق على المسرح القائم آنذاك اسم « المسرح المطبخ » وهي تسمية تدل على رفضه له شكلا ومضمونا ، وقد تحمل تبعه هذا الرفض .

أما في الوطن العربي فقد شقت المسرحية التعليمية طريقها أيضا بوصفها أداة تثقيف وتوعية ، إن الأسباب التي أدت إلى ظهورها هنا مماثلة في دوافعها العامة للأسباب التي أدت إلى ازدهارها هناك ، وإن اختلفت التفاصيل ، كلتاهما ظهرت في ظروف نضالية قاسية ، وكلتاهما ارادت للعرض المسرحي أن يجمع المتعة إلى الدرس في توظيف جديد للمسرح يسهم من خلاله في حركة النضال العربي ، باحثا في العقبات التي تعترض سبيلها ، متقصيا للأسباب والعلل ، مقترحا لها الحلول .

مادة للتعليم

وقد عصفت بالوطن العربي أحداث جسام في العقود التي توسطت هذا القرن ، اشتدت معها المقاومة العربية للاحتلال الأجنبي ولكل أشكال الهيمنة التي يبسطها ، وأخذت الأهداف تتضح شيئا فشيئا حتى تبلورت في الدعوة إلى التحرر والوحدة ، وإقامة مجتمع عربي تسوده العدالة الاجتماعية بحيث غدت هذه الدعوة شعارا ترفعه حركة التحرر العربي ، وتحدد به معالم الطريق ، بيد أن هناك صعابا شتى كانت تحول



جورج واشنطن

● لا تنهات على اللثيم فتهم في مروءتك ، ولا على الغني فتهم في عفئك ، ولا على الجاهل فتهم في فطنتك .

(شوقي)

● لا تبذل نصحك عفواً ، وإذا سُئلت أن تشير فاختصر .
(جورج واشنطن)

أرقام



بقلم : محمود المراغي

(١ = ٩) ٠٠ !

الثقافة - أن إنسان الشمال يتمتع بمستوى معيشي يفوق إنسان الجنوب تسع مرات « على الأقل » ، ونقول « على الأقل » لأن البون شاسع في جوانب أخرى ويفوق التسعة أضعاف ، ومثال ذلك : الالكترونيات والعقول الالكترونية وغيرها من أدوات حضارة لم تنتشر بالقدر نفسه في الدول غير الصناعية . البون شاسع ، لكن ذلك ليس الوجه الوحيد للأرقام .

العالم يتغير

لقد شهد العالم تغيرات أساسية في الفترة الماضية :

• أصبح واضحاً أن هناك استنزافاً للموارد ، فما اختزنته الأرض في ملايين السنين ، واستطاعت الطبيعة أن تحيله من مواد عضوية مخزنة في باطن الأرض إلى نפט ، على سبيل المثال ، جرى تكوينه عبر زمن طويل قد يكون آلاف السنين أو عشرات أو مئات الآلاف ، وربما عبر ملايين السنين من التاريخ غير المكتوب ، هذا المخزون حين تم اكتشاف النفط انهار عليه الإنسان ، وكاد يستنزفه ليصبح قصة تاريخية في علوم الطاقة ، ولينتقل العالم لأشكال أخرى !

الشيء نفسه يحدث في مخزون العديد من المعادن التي لا تدخل باب « الثروة المتجمدة » . بل ، والشيء نفسه يحدث في الغابات التي

قد يبدو عنوان هذا المقال غريباً ، قد يبدو كخطأ رياضي غير مقصود ، ولكن التفاصيل تقول : « بل هذه هي الحقيقة » . يقول آخر تقرير عن وضع السكان في العالم (١٩٨٨) أصدره صندوق الأمم المتحدة للسكان : إن البلدان الصناعية تضم (٢٥) بالمائة من السكان ، لكنهم يستهلكون : ** (٧٥ ٪) من الطاقة المستخدمة في العالم كله .

** (٧٩ ٪) من كل أنواع الوقود التجاري (لأن هناك بالطبع أنواعاً من الطاقة غير تجارية وتستخدم بشكلها البدائي) .

** (٨٥ ٪) من كل إنتاج الخشب

** (٧٢ ٪) من كل إنتاج الصلب .

وإذا اخترنا ذلك - للتبسيط - في رقم أو رقمين ، فإننا نقول : إن ربع سكان العالم - وهم سكان الدول الصناعية - يستهلكون ثلاثة أرباع الطاقة وعدداً من المواد الأولية الأساسية وبالتحديد : الصلب والخشب .

واستطراداً للأرقام يكون ثلاثة أرباع سكان العالم ، وهم سكان الدول غير الصناعية ، يستهلكون ربع هذه الأشياء فقط .

وباستخدام بسيط لعلم الحساب تصبح المعادلة واضحة ، وهي أن إنسان الشمال يستهلك تسعة أضعاف إنسان الجنوب !

يعني ذلك - ودون استخدام مؤشرات أخرى كالدخل القومي ، أو سلع الترفيه ، أو أدوات

وكان التوقع انحسار أشكال من الاستهلاك ، ، وألوان من الحضارة المادية درءا للتلوث المتزايد .

نتائج أخرى

على الرغم من كل هذه المتغيرات ، وعلى الرغم من المؤتمرات التي تنعقد ، والاتفاقيات التي تبرم ، مازال غط استخدام المواد الأولية - كما تقول الأرقام السابقة - شبه ثابت ، ومازال الصلب دعامة للصناعة الأوربية والأمريكية واليابانية ، ومازال الخشب يتربع على سوق الصناعة ، ومازال الشال يحتكر النسبة العظمى من المادتين ، بجوار احتكاره للنسبة الكبرى من استهلاك الطاقة أيضا .

يعني ذلك أن الصلب مازال - وعلى الرغم من كل البدائل والتحويلات - عماد الحضارة المادية وأدواتها ، من السيارة إلى القطار ، ومن القطار إلى الآلة ، ومن الآلة إلى صناعة التشييد التي تزحف فيها أشكال البناء من الشكل التقليدي إلى الهياكل والأقفاص الحديدية ! العالم يتقدم ويخترع ويبتكر ، لكنه مازال يعتمد - كما كان في القرن الماضي - على الصلب والخشب والطاقة التقليدية في معظمها .

والأهم هو تلك الدلالة التي تمس مستوى المعيشة ، فنسبة (١ : ٩) ، تعني أن إنسان الشال يتمتع بمأكل ومشرب وملبس ومسكن وأداة انتقال وأداة ترفيه ووسيلة علاج وتشقيف ، أفضل من إنسان الجنوب بعدة أضعاف .

إنه الفارق بين إنسان الكوخ ، وإنسان ناطحات السحاب . بين إنسان الغابة وإنسان الحاسوب « الكمبيوتر » . إنه الفارق أيضا بين الذين يبحثون عن الماء والطعام في غابة أو سهل ، والذين يطيطون إلى الكواكب الأخرى بحثا عن المعرفة ، وربما عن موارد جديدة يلتهمها العالم .

هل يزول ذلك الفارق في يوم ما ؟ □

عاشت عشرات الآلاف من السنين فإذا بها تنحسر .

إنسان القرن العشرين التهم بحضارته المادية الكثير من الموارد ومازال يلتهم .

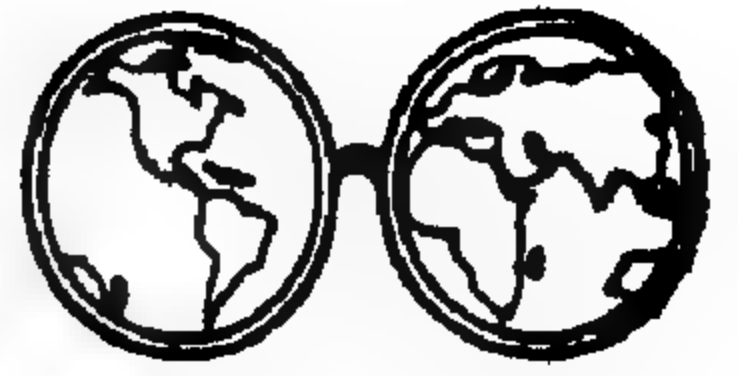
• الغريب أن يحدث ذلك في ظل تقدم تقني ضخم ، تصور معه الإنسان أنه استطاع أن يقدم بدائل كافية ، فها هي مواد مصنوعة تحل مكان الخشب ومكان الحديد ، وها هي الطاقة النووية والطاقة الشمسية وطاقة الرياح تزحف لتحل - تدريجيا - مكان الطاقة التقليدية : الخشب والفحم ، النفط ومشتقاته ، الغاز والكهرباء .

وحين بدأ العالم الصناعي يتوسع في صناعة الحاسوب « الكمبيوتر » ، وحين أصبح العقل المصنوع بديلا - في بعض الحالات - للعقل الانساني وبديلا لجهده اليدوي والعضلي ، حين أصبح العامل يقوم - بفضل الكمبيوتر - بإنتاج قدر ما كان ينتجه ألف عامل ، حين حدث ذلك قيل : إن ذلك أيضا سوف يؤثر على استخدام الموارد ، فلم نعد - في كثير من الأحيان - بحاجة إلى آلات ضخمة بكل ما تحتاجه من صلب ومعادن وطاقة للتشغيل ، فقد أصبحت هناك قوى غير منظورة قادرة على تشغيل الآلات واستخراج المنتجات .

حدثت ثورة في العالم ، وكان التوقع : انحسار استهلاك المواد التقليدية .

• في الوقت نفسه أيضا ، صحا العالم على قضية اسمها التلوث ، وأدرك أن الشال - بتقدمه الصناعي الهائل - أكثر خطورة على البيئة . فنواتج الصناعة تحرق ما يعرفه العلميون باسم طبقة « الأوزون » وتعرض العالم لأشعة تصيب الإنسان بالسرطان والأرض بالبوار . وهذه النواتج تقدم ما يعرف بالأمطار الحمضية التي أتلقت البحيرات والأنهار في الشال ، إلى آخر قائمة « علم التلوث » ، إن جاز التعبير .

العربية
عيونك
على العالم



مسلمو بريطانيا

مواطنون
أم مغتربون



استطلاع : صلاح حزين
تصوير : فهد الكوحي



لم يصل الفتح الإسلامي يوما إلى بريطانيا أما الإسلام فقد وصل ، دخل إلى هناك مع ملايين المهاجرين من دول آسيا وإفريقيا والشرق الأوسط ومع الزمن ، كان على هؤلاء أن يجيبوا عن تساؤل لم يطرح عليهم من قبل ، هو : كيف يمكن للشخص أن يكون مسلماً ، ومواطناً بريطانياً ، في الوقت نفسه ؟!

بدأت بالعربية ، ثم تليت بالإجليزية ، وعند نهايتها كان مسجد المركز الصحن قد فاص بالعماديين استوت الصفوف ، وأقيمت الصلاة ، ثم انفض المصلون منتشرين عبر النوايه التي وقفت قرب مدخلها عربة ، كانت تبيع مواد غذائية ، يرتبط استخدامهما بالمناسبات والأعياد الدينية الإسلامية ، مثل قمر الدين والعرقسوس .

استمر المصلون ودخلت أنا إلى مكتب الدكتور علي مغرم الغامدي ، مدير المركز الثقافي الإسلامي ، متدثاً استطلاعاً حول مسلمي بريطانيا ومن مكتبه الذي لم تنقطع فيه الحركة ، بين داخل ، وخارج ، ومستفسر ، وطالب استشارة أو مساعدة ، حصلت على بعض المعلومات الأساسية بشأن المراكز الإسلامية ، وعلى بعض العاوين المهمة ، وأرقام الهواتف الضرورية لي في استطلاعي المتشعب .

وكان السيد فيصل الصباح ، الملحق الإعلامي في سفارة الكويت بلندن قد أمدا ببعض الوثائق والقصاصات المهمة حول الموضوع . ومن خلال هذه المعونة المشكورة بدأنا التحرك في أرجاء بلاد الانجليز ، بحثاً عن الجذور الإسلامية في الجزر البريطانية .

قال لي الدكتور الغامدي : « لم تكن هنا في رمضان لسوء الحظ ، لقد كان المركز خلية نحل لا تهدأ ، ففي رمضان « تنفتح » أوقات الدوام ، فتصبح أي ساعة في النهار ، وأي وقت في الليل ، والمكاتب المختلفة التي تراها الآن ، لا

كان اليوم جمعة ، وتشمس لندن تحتوي وراء غيوم دافئة ، تدفعها الريح عن وجهها دقائق معدودة ، تعود بعدها ثانية وراء الغيوم ، حتى تجد لها فرصة أخرى نرغ فيها من جديد ، وتحفف لسعة البرد المثقلة بالرطوبة ، لكن هذا الصراع عبر المظور بين الشمس والغيوم ، لم يثن سكان لندن المسلمين عن التوافد على مسجد المركز الثقافي الإسلامي في العاصمة البريطانية ، لإقامة صلاة الجمعة وبينما كنت أنا مشغولاً بمراقبة تلك المعركة في السماء بين عناصر الطبيعة ، كان زميلي المصور مهمكاً بالتقاط الصور للمصلين الذين بدءوا بالتوافد على المركز الذي لا يبعد كثيراً عن وسط لندن التجاري .

بدأ المصلون يتوافدون بأعداد قليلة ، اثنان ، ثلاثة ، ثم عندما اقترب موعد الصلاة بدءوا بالتوافد جماعات ، تعددت ألوانهم ، واحتللت أعمارهم وأرباؤهم ، أطفال وشباب وكهول وشيوخ ، رجال ونساء ، سود وبيض وسمر ، بعضهم ارتدى الملابس الأوربية العادية ، وبعضهم الآخر ارتدى زي بلاده القومي ، فكان هناك البرنس المغربي والحلابية المصرية والعمامة السودانية والملابس الإفريقية المزركشة، والهندية والباكستانية الفضفاضة ، وكانت الكوفية الفلسطينية ، هي الأكثر انتشاراً ، ليس غطاء للرأس فقط ، بل وشاحاً يلف الرقبة والكتفين ، ليقيهما من البرد ، وليدل على هوية غير بريطانية على الأقل .

ازداد وقع الخطى سرعة مع خطبة الجمعة التي



المدن الرئيسية التي تضم مراكز
إسلامية في الحرر البريطانية

البدايات

كانت البداية في نهايات القرن الماضي ، عندما بدأت أعداد قليلة من المسلمين المتمين إلى الدول الحاصصة للحكم الاستعماري البريطاني بالتوافد على بريطانيا لأسباب مختلفة ، بعضهم جاءوا موظفين لدى الأقسام المهمة يتولون بلادهم ، وبعضهم الآخر جاءوا عمالا في المصانع البريطانية ، وكان معظم هؤلاء من شبه القارة الهندية ، ولكن كان هناك مسلمون من شرق إفريقيا وحبوب إفريقيا ، ومن حرر الهند العربية ، وكان هناك إيرانيون وماليديون وأتراك من قرص خاصة

وفي بدايات هذا القرن جاءت حالة يمنية ، قليلة العدد ، عمل معظم أفرادها في المصانع البريطانية في مانشستر وبرمنجهام وبرادفورد ، وغيرها من المدن الصناعية البريطانية ، ومدن

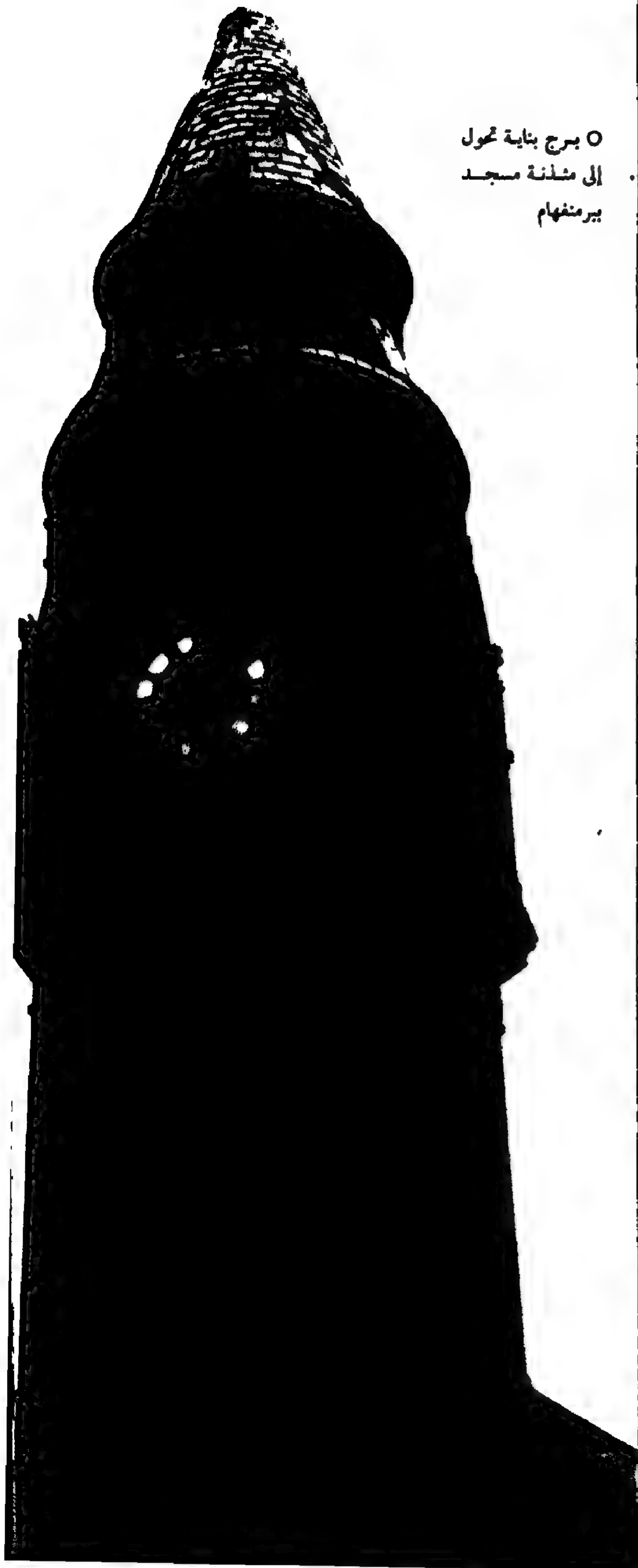
تفطع فيها الحركة ، ولا يسوق مكسي عر استقبال المراحين والمهنيين وأصحاب الشؤون المختلفة ، وكنت أرى نفسي الحركة الداته في العرف التي انتشرت على حاشي اممر الذي يقصى إلى قاعة الوصوء والمسجد ، وإلى الطابق التار من المسجد الذي حصص للسيدات ومن تلك العرف كنت تار اصوات المراحين والمستفسرين عن مواعيد ، وامستشيرين في قصه دسه ، فيما اصطف بعضهم بجانب رف من الكتب الحديدية التي صدت في لندن حول العرب أو المسلمين ، ياخذى اللعين العربيه ، الإبحليرة واسعة من سرداب المني راتحه طعام ، عرفت أنه يقدم محابا للمحتاجين من المسلمين في بلاد الإبحلير

ودعت الذكور العامدى بعد حديث لم يتشعب كثيرا في الخارج كانت العيوم والشمس ما ترال تصطرع ، فيما رسحت قبة المسجد الحاسية فوق الساء المربع الكبير ، وانتصت المئذنة موجهة نحو السماء

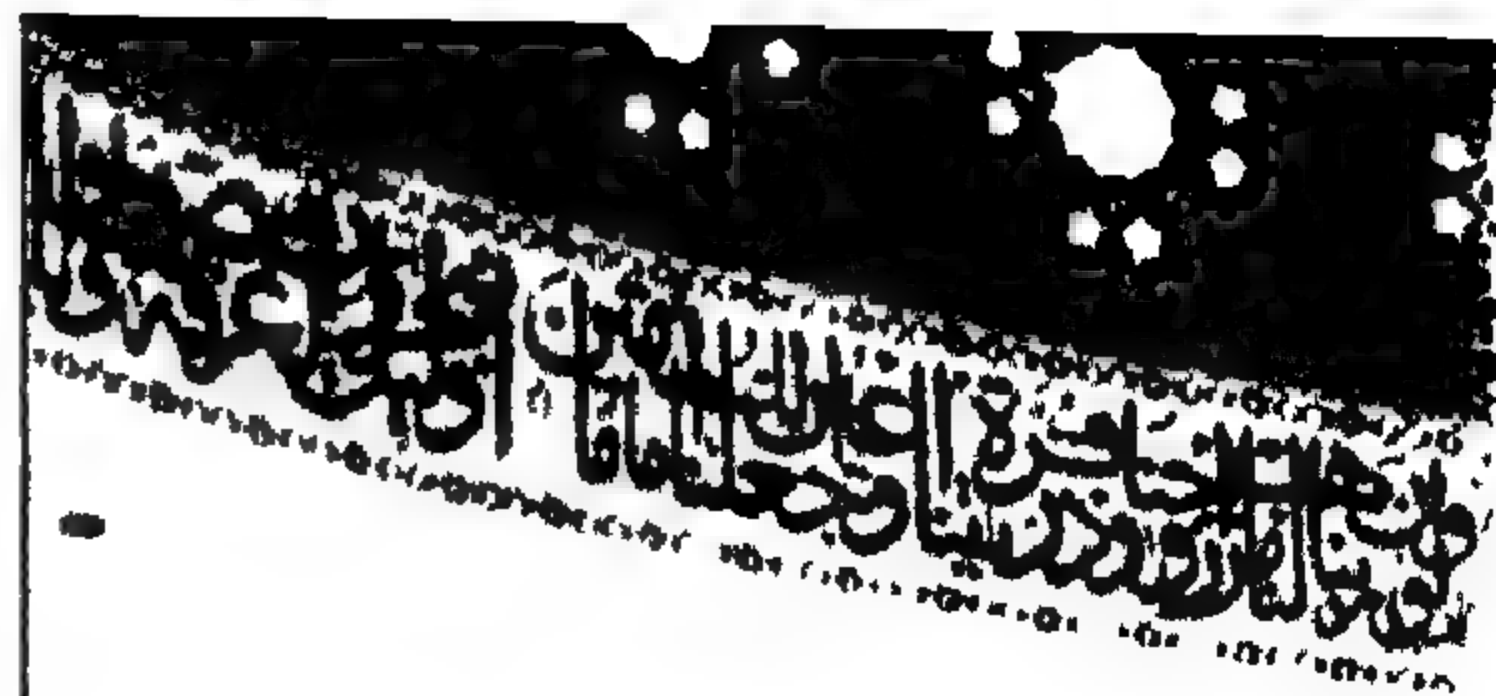
حزحت أبحث عن المسلمين الذين أصبحوا حالة لها حضورها ، وأسأل عن قصاياهم ومشكلاتهم وطموحاتهم ، وعن حياتهم وطقوسهم في العادة والحياة والمبات ، وعن الكيفية التي يحافظون بها على ثقافتهم وممارساتهم الدينية في مجتمع غير مسلم ، وعن مدى تفلهم للقوانين البريطانية ، ومعظمها وصعية ، ومدى حماية القوانين البريطانية لهم كجماعة دينية بريطانية أو غير بريطانية أتعرف على مدى استيعاب المجتمع البريطاني لهم ، ومدى انتمائهم هم لوطنهم الحديد ، بعد أن عادروا أوطانهم الأصلية ميممين تنظر الحرر الشماليه البعيدة هل داب هؤلاء في المجتمع الحديد ، وأصبحوا جزءاً منه ، أم حافظوا على هوياتهم الوطنية ، وثقافتهم الدينية ، وسط هذا المحيط الحديد ؟ لم تكن المهمة سهلة إذن ، كما لم تكن الحركة سهلة أبداً

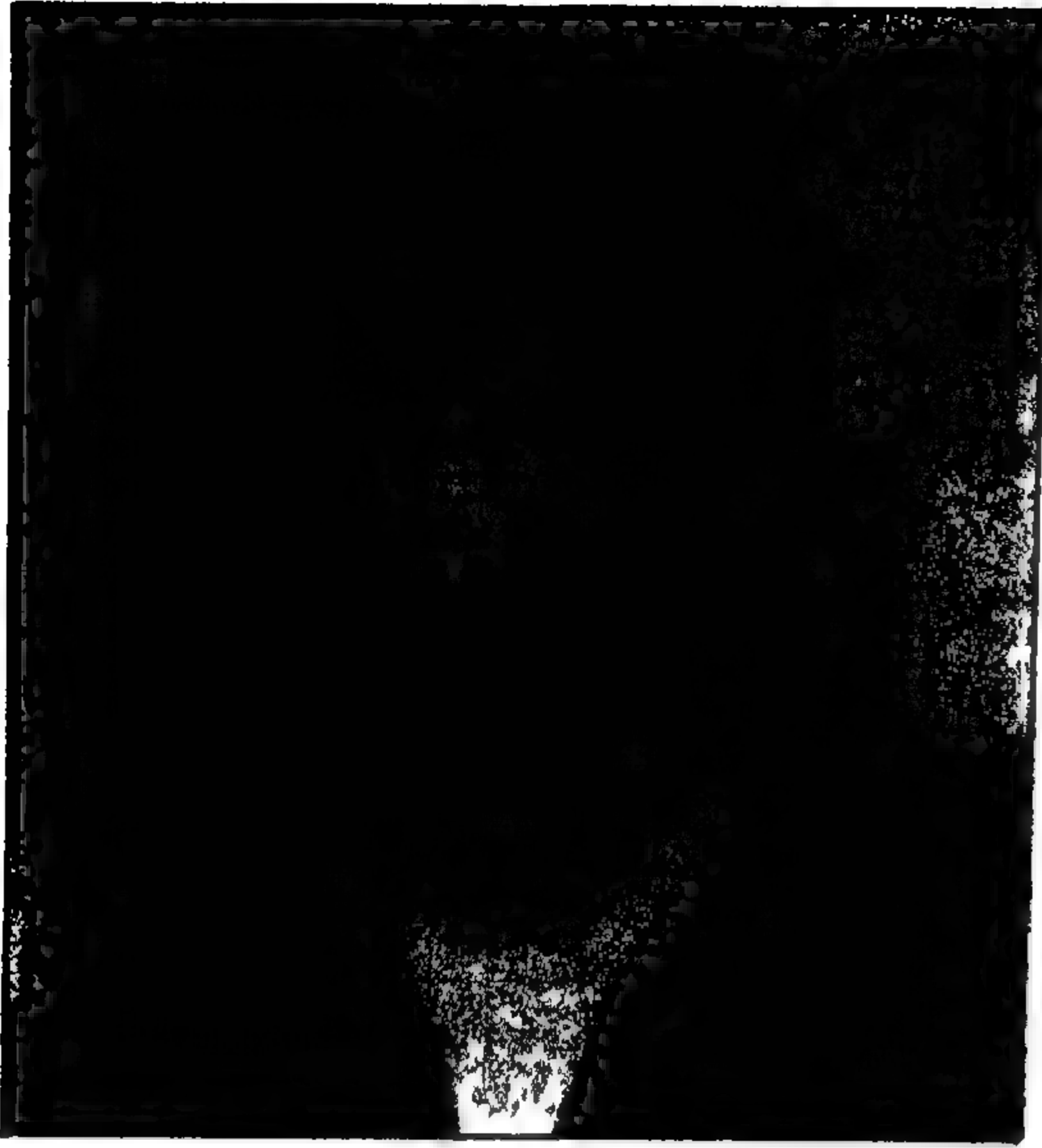


○ (إلى أهل)
مصلون في مسجد
المركز الإسلامي بلندن -
(أسفل) درس ديني
بمسجد برمنغهام



○ برج بنابة تحول
إلى مشنة مسجد
ببرمنفهام





○ يوسف اسلام مغني الروك السابق .

مستوى الجالية نفسها فإن قصر عمرها منعها من التكاثر والترابط والتنسيق بين أطرافها واختيار « قياداتها » ، للعمل كقوة واحدة محددة الأهداف والطموحات ، وهذا بدوره أثر على وضعهم القانوني كجالية دينية ، أو « أقلية دينية » ، كما تصفهم بعض الصحف البريطانية ، فما زالت كثير من حقوقهم الدينية مهضومة ، مما دفع صحيفة التايمز اللندنية إلى نشر مقالة لأستاذ التاريخ في جامعة بريستول ، جون فنسنت ، يرد فيها بحدة على ما قاله وزير الداخلية البريطاني ، دوغلاس هيرد ، في خطاب له في مسجد برمنغهام في فبراير الماضي ، من أن القانون البريطاني ينطبق على الجميع ، وقال فنسنت : إن هذا غير صحيح في مجال قانون « التجديف » أو السخرية من الأديان غير المسيحية ، وأضاف : « إن المحاكم مفتوحة بالنسبة للمسيحيين في هذا المجال ، أما بالنسبة للمسلمين فهي ليست كذلك » .

ويقول الدكتور الغامدي : إن هناك الكثير من القوانين البريطانية التي لا تنصف المسلمين ،

الساحل الشرقي ، لتكون النواة الأولى للجالية العربية المسلمة هناك ، وتلاهم بعد ذلك مهاجرون عرب من مصر والعراق والمغرب وفلسطين وليبيا وتونس .

غير أن « الجالية المسلمة » لم تبدأ بالتوافد على البلاد بأعداد كبيرة إلا في نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات من هذا القرن ، وهي الفترة التي بدأت فيها البلدان الإفريقية والآسيوية بالتححرر من نير الاستعمار القديم ، بعد أن أفلت شمس الامبراطورية البريطانية في أعقاب حرب السويس عام ١٩٥٦ م ، فسافر كثيرون من أبناء المستعمرات من بلدانهم إلى بلاد المستعمر السابق ، قبل أن يغلق أبواب بلاده في وجوههم ، لذا فإن « الجالية المسلمة » جالية حديثة جدا ، كما أن أفرادها يتمون في غالبيتهم الساحقة إلى الطبقات الفقيرة ، فمعظم هؤلاء كانوا عمالاً وموظفين صغاراً ، ولم يكونوا مثقفين أو أصحاب ثروات أو تجاراً . ولعل هاتين الحقيقتين هما الأكثر تأثيراً على أوضاع الجالية المسلمة هناك ، فمثل هذا المستوى الاجتماعي المتواضع ، ومثل هذا الزمن القصير من الهجرة ، لم يتيح للجالية أن تذوب تماماً داخل المجتمع البريطاني ، ولم يتيح لأفراد هذه الجالية أن يكونوا الثروات ، ويتسلقوا السلم الاجتماعي إلى الطبقات العليا ، بل لم يتيح لهم في كثير من الأحيان إتقان اللغة الإنكليزية ، فظلت اللكنات الأصلية واضحة بقوة في حديث الغالبية العظمى من أفراد الجالية المسلمة هناك .

وهذا يفسر أيضاً عدم بروز شخصيات مؤثرة في الحياة البريطانية العامة ، حيث الطبقات والفئات المختلفة في المجتمع البريطاني قوية مستقرة وراسخة ، لا تسمح لأحد باختراقها ، وهذا لا يعني بالطبع عدم وجود استثناءات في هذا المجال ، مثل وجود تجار كبار ، وبعض نجسوم المجتمع والفن والأدب ، إلا أنها تبقى استثناءات لا تشكل حالة أو ظاهرة عامة . وعلى

الوطنية دور في تكوينهم . ومع بداية الثمانينيات أيضاً كانت بعض البلدان الإسلامية تزداد ثراء ونفوذاً ، وعلاقاتها تزداد رسوخاً مع الغرب حيث يقيمون ، كما كانت الحركات السياسية المرتكزة على أسس دينية تحقق انتشاراً واسعاً في بلدان الشرق المسلم ، وهي البلدان التي أتت منها هؤلاء ، فبدأ صدى تلك الأفكار يتردد هناك أيضاً في أوساط الجالية التي أصبحت بريطانية . ونشأت علاقة بين الشرق ومسلمي بريطانيا ، الشرق يتبرع بالمال لبناء المساجد والمراكز ، و « الجالية » تزداد قوة وارتباطاً بهم . وعادت للظهور كثير من الأفكار التي تنظر لمجتمعات الغرب باعتبارها مجتمعات مادية غير مسلمة ، ليتطرق فيها بعضهم بعد ذلك ويعتبرها مجتمعات « كافرة » ، و « معادية للإسلام » ، فهي لذلك مرفوضة من جانبهم . لكن الحقيقة الأهم أن هؤلاء أصبحوا مواطنين بريطانيين بالحياة والتجنس والمصالح والامتيازات التي يقدمها لهم النظام البريطاني الغربي ، فكيف يحل هذا الإشكال ؟ كيف يحافظ المسلمون في بريطانيا على هويتهم الثقافية والدينية التي تكونت في بلدانهم الأصلية وعلى « امتيازاتهم » التي يكفلها لهم النظام البريطاني الذي يقدم لهم الكثير من الحقوق غير المتوافرة في بلدانهم الأصلية ، مثل حقوق الإنسان الأساسية ، والحق في التعبير والاحتجاج والتنظيم وغيرها ؟

إن محاولة حل هذا الإشكال هي أساس تحرك « الجالية المسلمة » في بريطانيا ، فهي لم تعد جالية صغيرة ، بل ازدادت بفعل عوامل كثيرة ، لتزيد على المليونين ، وليصبح الإسلام الديانة الثانية في بريطانيا بعد المسيحية . لذا فمنذ بداية الثمانينيات ازداد عدد المراكز الإسلامية والمساجد ، ليصبح ٣٨٧ بين مسجد ومركز إسلامي ، ولتوسع دور هذه المراكز والمساجد من أماكن للصلاة والعبادة إلى أماكن لإلقاء دروس في الثقافة الدينية ، ولتعليم اللغة العربية واللغات

مثل قوانين الهجرة التي تعوق كثيراً منهم عن استقدام أقاربهم أو الزواج منهم وإحضارهم لبريطانيا . كما أنهم يعانون من بعض مظاهر التمييز العنصري ، وينظر كثير من الإنجليز لهم باعتبارهم جزءاً من عالم ما وراء البحار ، وليس باعتبارهم مواطنين بريطانيين . فمثلاً ، في الوقت الذي تحصل فيه المدارس المسيحية أو اليهودية على إعانات من الدولة ، لا تحصل « المدارس الإسلامية » على مثل هذه الإعانة ، ونحن هناك كانت قضية « مدرسة زكريا الإسلامية العليا للبنات » في مدينة « باتني » الشمالية مازال مثارة من جانب إدارة المدرسة وزعماء الجالية المسلمة في المدينة الواقعة في يوركشير الغربية : السلطات البريطانية ترفض تقديم العون لمدرسة مسلمة للبنات ، في بلد التعليم فيه مختلط ، وإدارة المدرسة والجالية تصران على أن من حق الفتيات المسلمات أن يدرسن في مدارس غير مختلطة ومن حق المدرسة أن تحصل على المعونة أسوة بباقي المدارس البريطانية . وما زالت « المعركة » مستمرة منذ عامين .

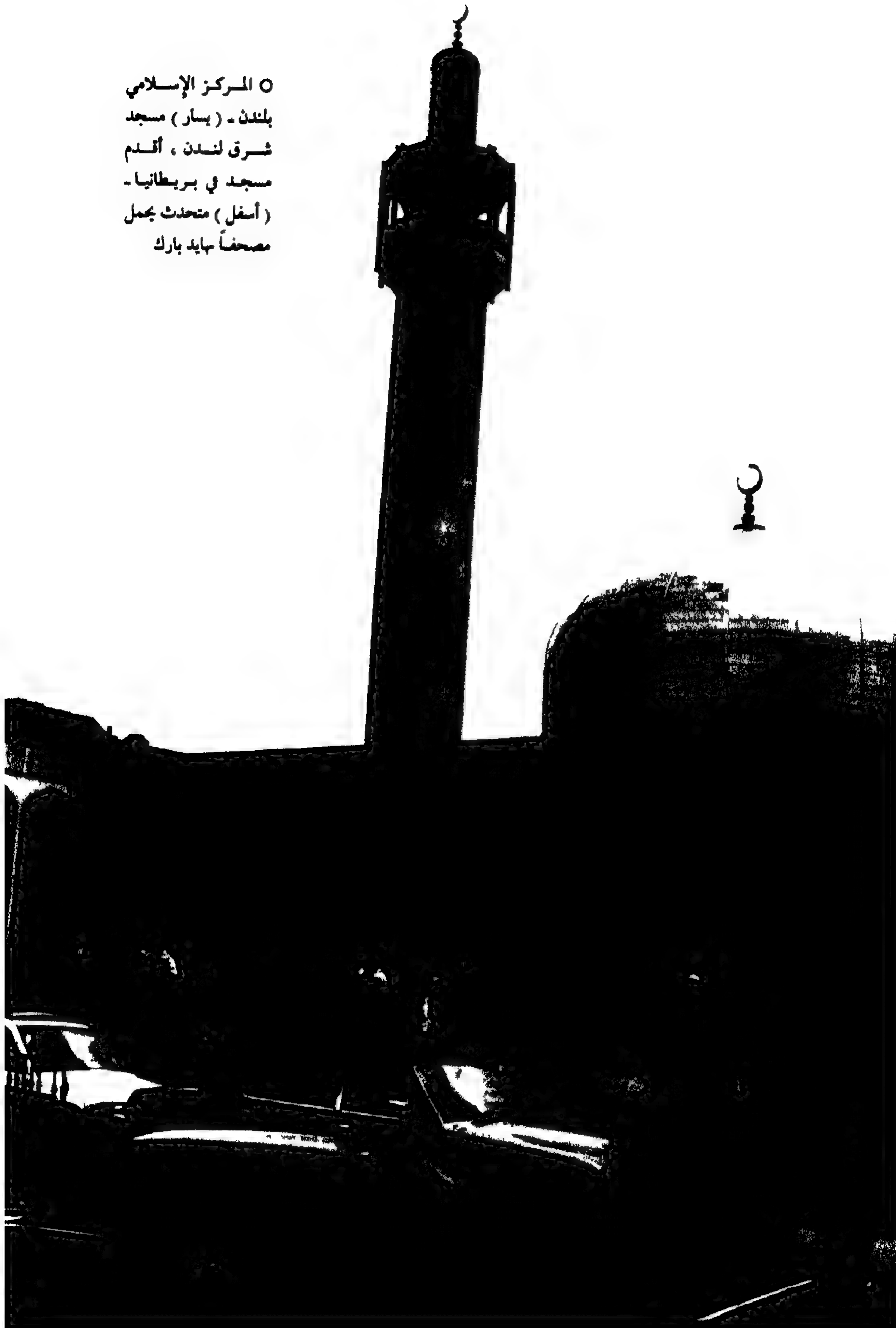
وليست هذه غير أمثلة بسيطة على بروز مثل هذه القضايا إلى السطح ، فما الذي حدث أخيراً حتى تثور مثل هذه القضايا الآن ، وليس قبل ذلك ؟

لقد حدثت أخيراً أشياء كثيرة ، تبدأ في بريطانيا ، وتنتهي في أطراف الشرق المسلم .

الوطني والديني

مع بداية الثمانينيات كان الجيل الثاني من المهاجرين المسلمين قد بدأ يشق طريقه في شعاب المجتمع البريطاني . ولأن أفراد الجيل الأول مازالوا على ارتباط وثيق بثقافتهم وديانتهم ، بل بأوطانهم وأقاربهم في تلك الأوطان ، نتيجة لشورة الاتصالات ، وما أتاحت لهم من الإمكانيات ، فقد أرادوا لأبنائهم من الجيل الثاني نشأة ، للدين فيها مكان رئيسي ، ولثقافتهم

○ المركز الإسلامي
بلندن - (يسار) مسجد
شرق لندن ، أقدم
مسجد في بريطانيا -
(أسفل) متحدث يحمل
مصحفاً هايد بارك





١٠٠ ألف جنيه من كويتي

في شارع وايتشابل ، في شرقي لندن ، يقوم مسجد شرق لندن ، وهو أقدم مسجد في بريطانيا . بناء يضرب لونه إلى البني ، قبة ومئذنة ترتفعان فوق البناء المربع الذي ضم إلى جانب المسجد مصرفاً اسمه « بنك البركة » .

ومن المعروف أن شرقي لندن هي المنطقة الفقيرة من العاصمة الواسعة ، والجالية المسلمة تتكون في غالبيتها من الباكستانيين والبنغلاديشيين والصوماليين ، ذوي الحالة الاجتماعية المتواضعة أو الفقيرة .

حين وصلنا إلى أقدم مسجد في بريطانيا ، لم يكن هناك غير الحارس رحمان خان ، ولكن بعد قليل وصل أمين الصندوق صلاح الدين حليم الذي كثيراً ما يتردد على المسجد في أوقات فراغه ، فهو لا يتلقى مرتباً ، بل هو مثل كل أعضاء مجلس إدارة المسجد يعمل مجانياً « في سبيل الله » على حد تعبيره . وعندما عرف أنني قادم من الكويت ، ذكر لي أنه كان جالساً في أحد الأيام بمكتبه الذي يقع إلى يمين المدخل الرئيسي للمسجد ، حين دخل عليه شخص من الكويت ، وبدأ يتحدث معه حول المسجد والمشكلات التي يواجهها ، وحين شرح له أمين الصندوق حاجة المسجد إلى المال ، بادر الكويتي بدفع مبلغ ١٠٠ ألف جنيه استرليني على الفور .

وقبل أن يأخذني السيد حليم في جولة بأرجاء المسجد الفسيح ، بدأ يروي لي قصة بناء أقدم مسجد في بريطانيا . قال حليم : إن هذا البناء ليس هو البناء الأصلي للمسجد ، وعاد بي إلى الوراء ، إلى عام ١٩١٠ ، عندما اتفقت مجموعة من الشخصيات المسلمة المقيمة في بريطانيا في ذلك الحين ، وقرروا إقامة مسجد في هذا الجزء من لندن ، فاستأجروا غرفة صغيرة لإقامة شعائر صلاة الجمعة فيها .

وفي عام ١٩٤٠ اشترت الجمعية ثلاثة بيوت

الأخرى التي ينطق بها المسلمون في بريطانيا ، مثل الأوردية والبنغالية والبنجابية ، للأطفال والشيوخ والنساء .

ولكن لفت نظرنا أن الجزء الأكبر من هذه المساجد ليس ذا قباب ومآذن ، بل هو في الغالب منازل حولت إلى مساجد للصلاة . وفي منطقة « بريكلين » بشرقي لندن تم تحويل مبنى كان في السابق كنيساً لليهود إلى مسجد ، وفي برادفورد كان مسجد أبي بكر مصعاً للغاز .

وفي الفترة نفسها ، أي في الثمانينيات ، نشطت حركة إنشاء المدارس الإسلامية ، سواء تلك المستقلة ، أو التي تدرس المناهج البريطانية ، بالإضافة إلى اللغة العربية والثقافة الإسلامية ، أو المدارس التي تفتح فصولها داخل المساجد والمراكز . حيث يتلقى الطلاب دروساً في الدين والقرآن واللغة العربية .

وفي مدينة ديوبنري أنشئت عام ١٩٨٢ جامعة تعليم الإسلام ، أو معهد الدراسات الإسلامية « لتهيئة شباب متعلم ، متزن ، عارف ، مطبقين الإسلام ومفيعين في مجتمع متعدد القوميات » كما ورد في كتيب خاص بالجامعة حصلنا عليه أثناء زيارتنا لمسجد ديوبنري الكبير في المدينة .

وفي الثمانينيات أيضاً ازداد التنسيق بين المراكز والمساجد ، غير أن درجة التنسيق في كل أنحاء بريطانيا ليست على المستوى المطلوب ، والسبب ، كما يقول د. علي الغامدي أن « هذه المراكز لا تملك صفة قانونية مستقلة لكل منها ، لذا فإن كل مجموعة من المنظمات تحاول إيجاد مظلة لها ، لكنها في العادة مؤقتة ، وهي تقوم على الاختيار التام ، ولا شيء ملزم لها أو تجاهها » .

واليوم ، هناك مساجد كبيرة ، أو مراكز إسلامية ، في جميع مدن المملكة المتحدة الرئيسية : لندن ، مانشستر ، برمنغهام ، برادفورد ، كارديف ، غلاسكو ، سكاربورو ، وغيرها .

الأصلية ، وكذلك في لغة القرآن والثقافة الدينية العامة .

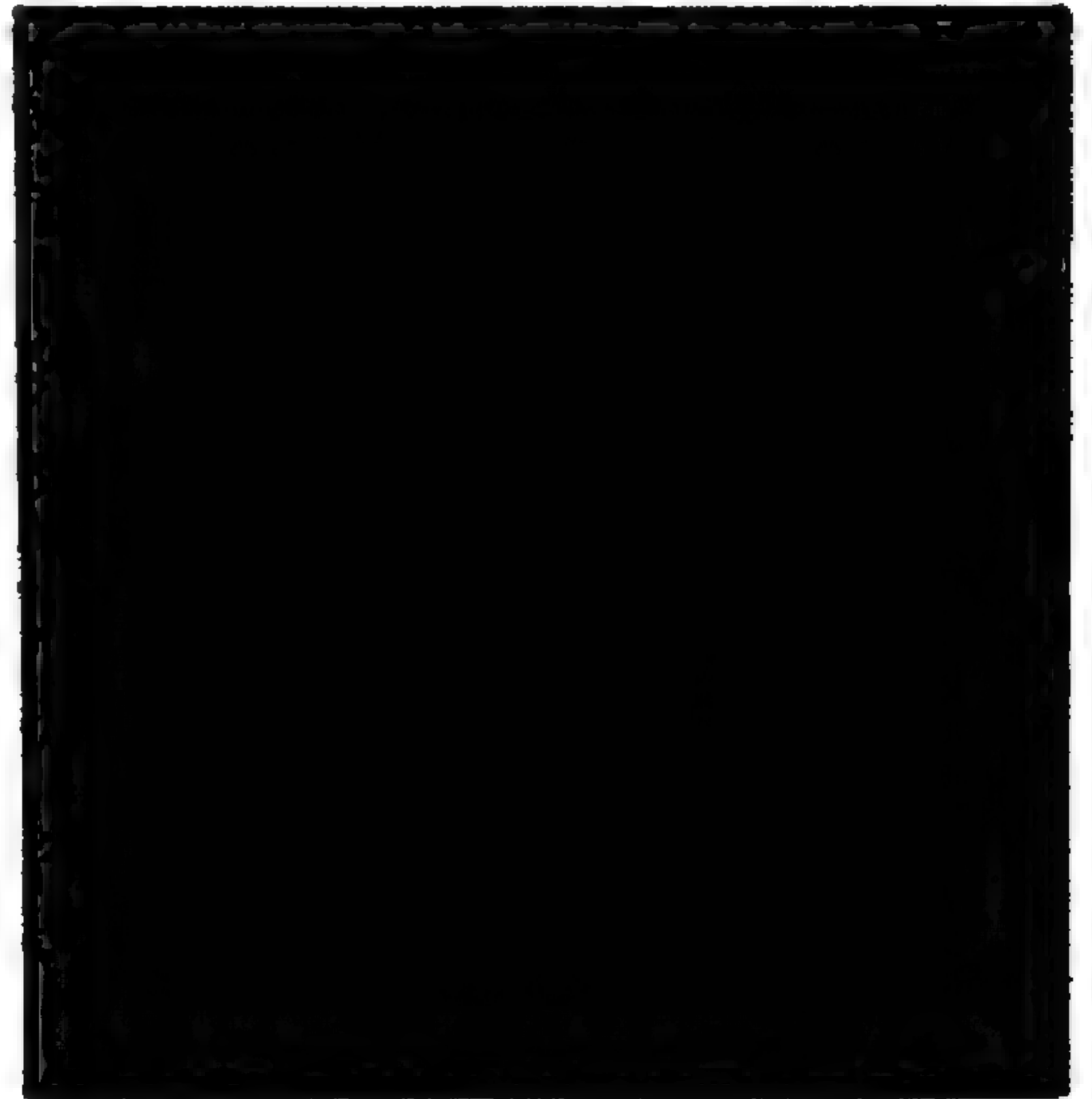
وخلال جولتنا في المسجد بدأ بعض المصلين والتلاميذ يتوافدون بكثرة . ولاحظت أن الغالبية العظمى من هؤلاء كانوا أفارقة ، وقبل أن أسأل بادرني السيد حلیم قائلاً : إن هذا الوقت خاص بالجمالية الصومالية ، حيث يجتمع أفراد الجمالية في حلقات لتلقي الدروس في المسجد ، ويتنظم التلاميذ الصغار في فصولهم ليتعلموا لغة بلادهم الأصلية وثقافتهم الخاصة .

وأثناء جولتنا كان عدد المتوافدين لسماع درس ديني من الجمالية الصومالية قد أصبح كافياً . اختار هؤلاء ركناً من أركان المسجد ، وتحلقوا حول الشيخ محمد عثمان عقال الذي جلس متكئاً على الحائط وألقى درساً دينياً باللغة الصومالية ، تخللته استشهادات بآيات من القرآن الكريم وبعض الأحاديث بالعربية . وأجاب عن بعض الأسئلة والاستفسارات قبل أن ينفض المجلس ، لذلك اليوم بالنسبة لهم ، وبدأ درس جديد للجمالية النيجيرية ، فالوقت موزع بين مختلف الجماليات المسلمة القاطنة في تلك المنطقة .

وقال السيد حلیم : في صلاة العيد يحتشد هذا المسجد بما يقرب من ٥ آلاف من المصلين ، وكثيراً ما نكرر صلاة العيد ٥ أو ٦ مرات بسبب الازدحام الشديد وضيق المكان . وأضاف وهو يودعني : « إن كل هذه الخدمات تحتاج إلى مال ، وحين اكتمل بناء المسجد طالبنا المتعهدون بالمصروفات الإضافية التي دفعوها أثناء إنشاء المسجد ، وهو مبلغ ليس بسيطاً ، فهو يعادل نصف مليون جنيه استرليني ، وقد حكمت لهم المحكمة بذلك . إننا لا نملك هذا المبلغ . وهناك مكتبة ومخزنان و « بنك البركة » الذي نحصل على إيجاره الشهري ، وهذه كلها تدر علينا بعض المال ، إلا أنه لا يكفي لتسديد هذا المبلغ ، وكل ما نرجوه هو أن توجه عبر مجلتكم نداء للتبرع لتسديد هذا المبلغ » فوعدت .

في منطقة « ستيني » وحولتها إلى مسجد . وهكذا تم بناء أول مسجد في لندن . لكن مجلس بلدية لندن الكبرى طالب بالمبنى عام ١٩٧٥ ، فانتقل المسجد مؤقتاً إلى بعض البنايات المجاورة حتى يتم بناء هذا المسجد . وهو على الرغم من بنائه الجديد ظل يحمل اسم المسجد القديم ، « مسجد شرق لندن » .

إلى اليسار قامت مكتبة متواضعة لبيع الكتب الدينية الأساسية ، ودفاتر يستخدمها التلاميذ والطلاب الذين يحضرون للمسجد لتلقي الدروس الدينية ، وإلى اليمين مكاتب لأعضاء المجلس الذين يتطوعون لأداء هذه الأعمال ، وبالقرب منها قامت أماكن الوضوء ، وبعد ذلك قاعة الصلاة ، يتوسطها منبر جميل الزخرفة . وصعد بي صلاح الدين حلیم إلى دور علوي . توازي مساحته نصف مساحة المسجد ، وتطل عليه ، وقال : « هذه القاعة خاصة بالنساء » . ومقابل قاعة النساء وقاعة الرجال انتشرت غرف صغيرة ، امتلأت بمقاعد الدراسة ، وبعض مستلزمات التدريس ، إنها فصول الدراسة التي يتلقى فيها التلاميذ دروساً بلغات بلادهم



○ الدكتور علي الغامدي مدير المركز الإسلامي بلندن .



○ مسجد برمنغهام المركزي .

(يمين) قارىء القرآن .

(أسفل) حي تسكنه أغلبية مسلمة

برمنغهام



فبما بعد تجولنا في عدد من المناطق التي تسكنها غالبية مسلمة في المدينة البريطانية الثانية . وكان المشهد واحدا تقريبا : بيوت صغيرة متوازية ، إهمال ، فقر ، رجال ملتحون ، نساء محجبات . ذهبنا الى استون وشارع ترينتي وموسلي ، ومن هناك الى شارع بلغريف ، حيث يقوم مركز برمنغهام الإسلامي .

قبل أن يأخذني السيد عبد الرزاق مغل ، سكرتير المركز ، في جولة بقاعات المسجد العديدة وأجزائه المختلفة ، دعانا الى مكتبه ، حيث بدأ يشرح لنا بعض المصاعب والمشكلات التي تواجه المسلمين هناك ، لكنه لم ينس أن يشير الى بعض الطموحات والمشروعات المستقبلية التي ينوون تنفيذها .

قال السيد مغل : لأننا المركز الرئيسي للمسلمين في بريطانيا فإن لنا اتصالات مع جميع المراكز الإسلامية الأخرى ، ونحن نشارك في جميع المناسبات والاحتفالات الإسلامية . وأضاف : إن المسلمين هنا يعانون من البطالة التي تعاني منها بريطانيا كلها ، وهذا أمر جديد ، لم يكن يواجهها في السابق ، مما يضيف أعباء جديدة على المركز الذي يحاول المساهمة في حل هذه المشكلة أمام غلاء الأسعار المخيف .

يضم المركز مكتبة وقاعة للمطالعة ، وقاعتين للصلاة ، إحداها للرجال ، والأخرى للنساء ، وهناك قاعة للطعام ، تقدم الشاي والقهوة وبعض الوجبات الخفيفة للمصلين بعد الصلاة . ويشرف المركز على عدد من المدارس التي تقدم فيها الدروس الإسلامية الخاصة ، بالإضافة الى المناهج البريطانية . ودعاني السيد مغل للنهوض معه لزيارة مدرسة الهجرة التي تقع في الطابق الأرضي من البناء .

السيد محمد عبد الكريم ثاقب قال لي : إن هذا المقر مؤقت ، فالمدرسة التي فتحت أبوابها منذ ثمانية شهور ستتقل الى مقر مستقل ، أفضل تجهيزا بالنسبة للتلاميذ الذين ينقصهم الكثير من

التسهيلات والتجهيزات في هذا المقر المؤقت . وأضاف : إنه كان من المفروض أن يتم الانتقال منذ مدة ، لكن قلة المال حالت دون ذلك ، فالإيجارات مرتفعة جداً في المدرسة التي لا تعد نموذجية بسبب وضعها المؤقت ، ويقوم عدد من المدرسين بإعطاء دروس في الديانة الإسلامية واللغة العربية والتجويد ولغة الأوردو ، وهي مواد إجبارية ، وذلك إضافة الى المناهج البريطانية . وتغطي المدرسة المرحلة الابتدائية ، وجزءاً من المرحلة الثانوية التي لم تكتمل فصولها الدراسية .

والسيد ثاقب الذي يتحدث بلغة عربية سليمة ، هو مدير المدرسة ومؤسسها ، وهو يشرف على ١٥ شخصاً بين مدرّس ومدرسة وسائق وفني ومسؤول عن نظافة الفصول والحجرات ، كلهم يعملون في المدرسة .

وداخل الفصول جلس التلاميذ ومعظمهم شريكو الملامح ، وجلست الفتيات الصغيرات المحجبات يستمعن الى شرح من المدرس بانتباه قطعه دخولنا . وبينما كان المصور منهمكا بأخذ الصور ، كانت نظرات الفضول الطفلية تغلب على نظرات الانتباه لما يقوله المدرس . وحين غادرنا المركز وودعنا السيد ثاقب لاحظت أن بعض التلاميذ الصغار مازالوا يلاحقوننا بنظرات الفضول ، فهم لا يرون مثل هذا النوع من الزائرين كل يوم .

مساجد ومساجد

إن مايلفت النظر في مساجد بريطانيا هو ذلك الدور الذي تقوم به ، ليس بوصفها أمكنة للصلاة فقط ، بل باعتبارها مراكز للعديد من الأنشطة المتعلقة بالإسلام والمسلمين ، ففيها تبرم عقود الزواج ، وفيها تتم الصلاة على الأموات وتجهيزهم قبل دفنهم ، وفيها تقام الاحتفالات بالأعياد الإسلامية ، وفيها تلقى الدروس



○ السيد فيصل الصباح .

الملحق الإعلامي بسفارة الكويت في لندن .

نسبة كبيرة جدا . ومعظم هؤلاء يباشرون الأعمال الخدمية الوسيطة : تجارة صغيرة أو متوسطة ، مصالح بسيطة ، مخازن ، مطاعم ، أو العمل على سيارات الأجرة . الأفضل بينهم من حيث الأوضاع الاقتصادية هم الباكستانيون الذين يملك بعضهم المحلات والبقالات والمطاعم ويملك بعضهم مصانع للنسيج .

قمنا بجولة في المدينة ، طفنا بحي مانغهام ، وهو واحد من عدة أحياء يقطنها المسلمون . زرنا بعض المساجد والمراكز والمدارس الإسلامية . لم نجد ما يختلف به هذه المساجد عما شاهدناه في لندن وبرمنغهام ، سوى تصميم مسجد شيربريدج الذي بدا بموقعه القائم على مفترق طريق صاعداً مثل كنيسة ضخمة ، لكن الدهشة تبددت عندما أخبرنا حارس المسجد أنه كان بالفعل كنيسة تم تحويلها إلى مسجد ومدرسة إسلامية ، حملت اسم الكلية الإسلامية .

أما المساجد الأخرى فهي في معظمها منازل عادية ، حولت إلى مساجد ومدارس إسلامية ودور للعبادة .

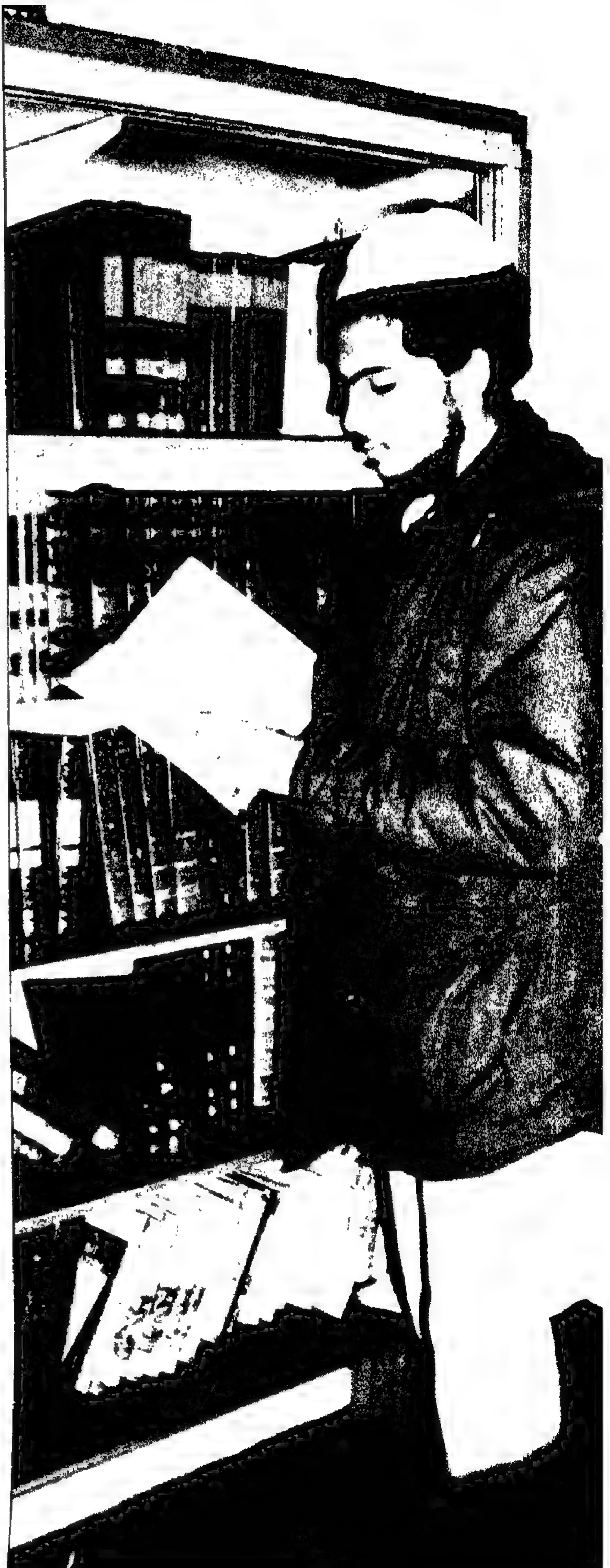
والمحاضرات الدينية ، سواء الدورية منها أو تلك المتعلقة بالمناسبات الدينية ، ويساهم بهذه الأنشطة - بما في ذلك التدريس - عدد من كبار العلماء ورجال الدين والمختصين . لذا فإننا عندما قمنا بزيارة المسجد الجامع الواقع في شارع كوفتري ببرمنغهام لم نلاحظ أي اختلاف جوهري في دور أو نشاط المسجد المذكور ، على الرغم من الاختلاف في البناء ، فهذا المسجد عبارة عن منزل ضخم يجري العمل على توسيعه ، ولكن ليس به قبة أو مثذنة .

قبل أن نغادر برمنغهام قمنا بجولة في المناطق التي تسكنها غالبية مسلمة ، ومررنا بعدد من المساجد التي لم تكن أكثر من منازل متواضعة ، يفتح أبوابها حراس سمر البشرة ملتحمون ، تزول عن وجوههم الدهشة من تطفل الطارق الغريب لمجرد قول « السلام عليكم » ، وبها يودع الزائر العابر الذي لا يريد أكثر من « مشاهدة » ما يجري داخل المسجد .

مسلمون في كل مكان

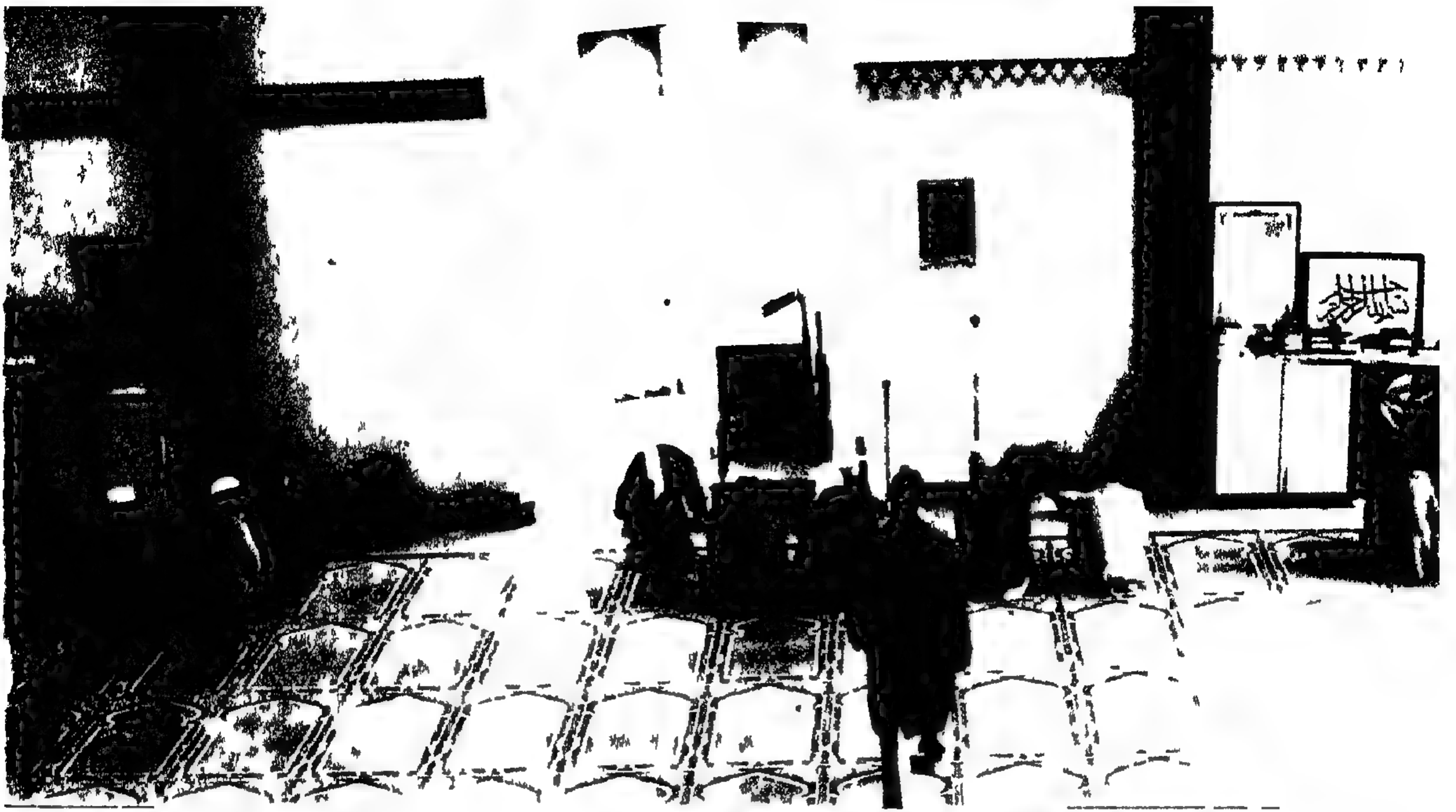
لا شيء يميز مدينة برادفورد الشمالية من حيث الأبنية وتصميمها وهندستها البريطانية التي تهتم بالعراقة قدر اهتمامها بالحدثة ، لكنك تبدأ باكتشاف المسلمين في برادفورد بمجرد ركوب سيارة أجرة من محطة القطار التي تتوسط المدينة ، فمعظم سائقي سيارات الأجرة مسلمون من باكستان أو بنغلاديش . وطوال تجوالنا في المدينة ليومين متتاليين لم نشاهد سائق سيارة أجرة واحد من غير هذين البلدين - الاستثناء أن يكون السائق مسلماً هندياً - هل هي الصدفة ؟ لم نستعجل الإجابة ، وإن عرفناها بعد اليوم الأول من التجوال .

من بين ٤٠٠ ألف شخص ، هم سكان مدينة برادفورد الصناعية ، هناك ٦٠ ألف مسلم ، وفي إحصاء آخر - بريطاني - ٨٠ ألف مسلم ، وهي



○ (يمين) في مكتبة
مسجد برمنغهام
المركزي - (يسار -
أعلى) قاعة الصلاة
بمسجد شرق لندن -
(أسفل) مقبرة
بروكوود الإسلامية .





مجلس المساجد

الجديد المختلف بالنسبة لبرادفورد هو درجة التنسيق الكبيرة بين المساجد والمدارس والمراكز الإسلامية فيها . ويتم هذا التنسيق عبر « مجلس المساجد » الذي ينظم العلاقة بين المساجد بعضها ببعض ، وبين المساجد والحكومة البريطانية والجهات الرسمية الأخرى ، وهذا المجلس الذي يرأسه السيد شير أعظم هو مجلس منتخب من قبل لجان المساجد والمدارس في برادفورد . وقبل عام ١٩٨١ ، أي عام تأسيس المجلس ، كان لكل مسجد أو مدرسة لجنة تعنى بشؤونه أو تشرف عليه ، وكان هناك تنسيق بين هذه اللجان ، إلا أن تطوراً نوعياً طرأ على درجة التنسيق بين هذه اللجان ، عندما تم تأسيس المجلس ، ليكون الهيئة الوحيدة التي تنطق باسم المساجد والمدارس الإسلامية . وهي بهذه الصفة الآن مصدر لجميع المعلومات الخاصة بالإسلام والمسلمين في مدينة برادفورد .

السيد لياقت حسين ، الأمين العام للمجلس



السيد عبدالرزاق مغل .
مدير المركز الإسلامي في برمنغهام .

يقول : إن هناك كثيراً من حقوق المسلمين في هذا البلد مهضومة ، هناك حقوق لنا كمواطنين بريطانيين ، أهمها حق الاحتجاج والاعتراض ، أما حقوقنا « كمسلمين » فهي ناقصة ، فنحن نجد أن لنا الحق في رفض تنشئة أبنائنا نشأة غير إسلامية ، أو تلقي تربية تفتقد القيم الدينية والأخلاقية الإسلامية . وقد وجدنا أن المسلمين ليس لديهم من يلجأون إليه سوى القانون البريطاني ، والقانون البريطاني يعاني من ثغرات كثيرة بالنسبة لحقوق المسلمين .

ويقول السيد فقير محمد مدير المجلس : إننا هنا لنعرض مصالح جميع المسلمين ، في هذه المدينة وخارجها ، ونحن حلقة الوصل مع جميع الأقسام والإدارات الحكومية ، ونقوم بهذا العمل بالتعاون الوثيق مع المنظمات والهيئات الإسلامية الأخرى . وفي حال بروز مشكلات من أي نوع تتعلق بالإسلام أو المسلمين ، فإننا نتحاور معاً ، ونتخذ القرارات بما لا يتعارض مع القانون البريطاني الذي نحتكم إليه ، وذلك كما يطلب الإسلام من المسلمين ، أي أن يحترموا قوانين البلد الذي يعيشون فيه أينما كانوا ، فالمسلمون مستقرون هنا ، وهم مواطنون بريطانيون ، وأولادهم ولدوا ونشأوا في هذا البلد ، وتعلموا في مدارسهم ، وكل ما يريدونه أن يبقى أولادهم مسلمين .

وقبل أن أغادر مقر المجلس بشارع كليرمونت ببرادفورد ناولني السيد فقير محمد كتيباً عن المجلس وتركيبته وأهدافه . وقد لاحظت أنها لم تقتصر على الأمور الدينية فقط ، بل تتضمن العديد من المسائل الدنيوية أيضاً ، مثل تقديم المشورة المتعلقة بقضايا الرعاية الصحية والاجتماعية ، ومكافحة البطالة ، والتعليم ، والحقوق المدنية والاجتماعية ، وقضايا الإسكان والهجرة والجنسية ، وتقديم خدمات الترجمة عند التعامل مع الهيئات الحكومية . ويتضمن أيضاً مساعدة المسلمين في قضايا تتعلق بالتعامل مع

التصوير ممنوع . ثم دخل وأحضر لي بعض الصور لعلّي « أستفيد » منها . وعندما قلت له : إن محلتنا تعتمد أساساً على الصورة المباشرة الخاصة بها ، وإننا نود إن نأخذ الصور بأنفسنا ، اعتذر مرة أخرى بعريّة ذات لكّة آسيويّة ، ووقف ، ووقفنا . وانقطع الحوار ، وكان لابد لنا أن نغادر .

واتجهنا نحو شوارع المنطقة التي يقطنها المسلمون أساساً ، الشوارع والأزقة المنظمة على الطريقة البريطانية الشهيرة ، خالية إلا من عجوز ملتحح ها ، أو سيدة أو فتاة محجبة هناك . وبعد الظهرية بقليل كان موعد انصراف المدارس قد حل ، فامتلات الشوارع بالطالبات اللواتي ارتدين ملابس تتراوح بين الطويلة المحتشمة وبين النقاب . وعندما حاول زميلي المصور التقاط صور هن تحاشت بعضهن عين « الكاميرا » ، بينما سار بعضهن الآخر غير مباليات بنا . وكان علينا بعد ذلك ، وبعد أن أخذنا صوراً للمسجد عن بعد ، أن نمضي عائدين الى مدينة « باتلي » التي كانت مدرستها الإسلامية الشهيرة ، مدرسة زكريا الإسلامية العليا للبنات ، قد أغلقت أبوابها .

ومن هناك الى برادفورد ، ثم الى لندن من حيث بدأنا رحلتنا .

مسلمون انجليز

ليس مسلمو بريطانيا بالضرورة أناساً قدموا الى الجزر البريطانية من « ماوراء البحار » ، كما يقول الانجليز ، فخلال سنوات الوجود الإسلامي في بريطانيا اعتنق الإسلام عدد من البريطانيين الأصليين . وأمام غياب أي إحصاء يتعلق بالمسلمين فإن عدد هؤلاء غير معروف ،

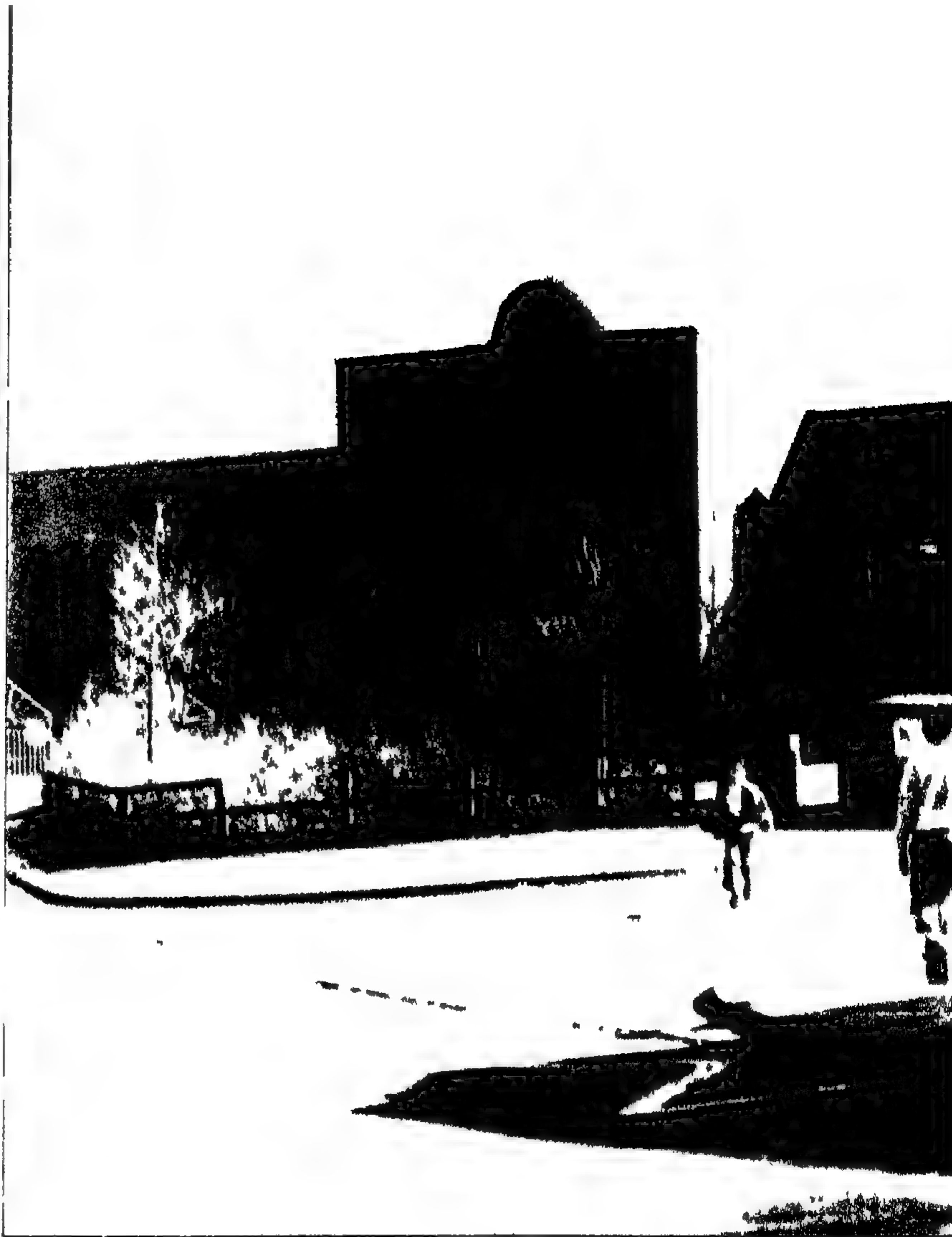
وإن كان يقدر ببضع مئات ، وكثيراً ما ينظم هؤلاء أنفسهم في جماعات ليست لها صفة رسمية ، بل هي جماعات تلتقي لتناقش وتتجاوز

السجون والشرطة ، وكذلك قضايا الشباب والشيوخ والنساء وكل ما يمس الحياة اليومية . ويشرف المجلس على مراكز نهائية لكبار السن ، حيث يقوم هؤلاء ببعض الأعمال والمهارات اليدوية التي قد تنفعهم في حياتهم .

وضع مختلف

في مدينة ديوبزيري كان الوضع مختلفاً بعض الشيء . توجهنا على الفور الى ضاحية سافيل تاون ، حيث يوجد الجامع الذي يقال إنه الأكبر في أوربا كلها . أنزلنا سائق سيارة الأجرة المسلم في باحة المسجد الكبير . وعلى صوت السيارة التي كانت تهم بالمغادرة ، خرج إلينا من باب المسجد

شاب ، بلاء شابان آخران ملتحيان ، وقد ارتديا ملابس تدل على هوية آسيوية . سألونا بحذر واضح عما نريد ، قلنا لهم إننا بعثة صحفية من مجلة « العربي » ، نقوم باستطلاع عن المسلمين في بريطانيا ، وإننا نرغب في مقابلة أي مسؤول ليعطينا معلومات حول المسجد ونشاطه ، وحول الجالية المسلمة في ديوبزيري وأنشطتها ومشكلاتها ، وإن أمكن التقاط بعض الصور للمسجد . قال الشاب : إن هذا المسجد للدعوة الإسلامية ، وإن من يأتي إليه من الدعاة أو من حصطة القرآن ، واعتذر لأن المسؤول المخول بالحديث عن المسجد غير موجود . وعرضت عليه أن يتحدث هو فاعتذر بأدب بعد أن استشار أحد زمينيه ، وسألته إن كانت لديه أي معلومات مكتوبة حول المسجد ، فدخل وعاد اليّ بكتيب صغير ، وقال : إننا دعاة ، والدعوة تخرج من القلب مباشرة وليس لديها أي شيء مكتوب سوى هذا الكتيب الذي يحتوي على أهداف « جامعة تعليم الإسلام » ، وعلى شروط الدراسة في المعهد وطريقة سيرها . ولما طلبت منه أخيراً السماح لنا بتصوير المسجد ومدرسة البنات العليا المجاورة له ، اعتذر أيضاً وقال : إن





۱ (من اعلیٰ) مسجد
 دھوری - (علی) سافل
 ساون، حی المسلمین فی
 دھوری (افسی النماں) مرک
 منہ برادھورد - (من) کسہ
 عولت الی مسجد فی برادھورد



الاحتلال في الضفة الغربية وقطاع غزة ، وأولئك الذين يعيشون في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ .

أرقام وحقائق:

يزيد عدد المسلمين في بريطانيا على مليون نسمة ، وعلى الرغم من أن بعضهم ينزل بالرقم إلى ١,٥ مليون ونصف مليون ويصل به آخرون إلى ٣ ملايين ، فإن الأرجح أن يكون العدد مليونين . ويبدو أن من يعتمدون رقم ٣ ملايين يضيفون إلى المسلمين الحاصلين على الجنسية البريطانية الطلبة والموظفين وغيرهم من العاملين في بريطانيا كمغتربين ، ممن لم يحصلوا على الجنسية البريطانية .

ولست هناك إحصائية معتمدة لعدد المسلمين هناك بعد ، ولا توجد أي مواد مكتوبة وموثقة ، تتضمن المعلومات الأساسية عنهم ، كما أخبرني الدكتور علي الغامدي ، ولكن يقدر عدد سكان برمنغهام المسلمين بين ١٠٠ - ١٥٠ ألف نسمة . وفي برادفورد بين ٦٠ - ٨٠ ألف نسمة ، وفي منطقة شرق لندن وحدها هناك ٥٠ ألفا . ويوجد في برمنغهام ٦٠ مسجدا ومركزا إسلاميا ، وفي برادفورد ٣٨ مسجدا ومركزا . ويحضر الدروس الدينية في المركز الثقافي الإسلامي بلندن ١٥ ألف تلميذ ، ويحضر الاحتفال بعيد الفطر في المركز نفسه نحو ٦٠ ألف شخص .

وقبل أن أبدأ بالاستطلاع كنت أعرف أن المركز الثقافي الإسلامي بلندن هو الأكبر في بريطانيا ، وعندما ذهبت إلى برمنغهام قبل لي : إن مسجد برمنغهام هو المسجد المركزي ، وهو الأكبر . وفي ديوبري قبل لي : إن المسجد هناك هو الأكبر في أوربا كلها . وكان علي بعد ذلك أن أستتج أن مركز لندن الإسلامي هو الأكبر من حيث الأهمية والإمكانات والدور الذي يلعبه ، وأن مركز برمنغهام الإسلامي أهم المراكز في الشمال ، بينما قاعة الصلاة بمسجد ديوبري هي الكبرى . والله اعلم .

في شؤون الإسلام ، وفي سبل دعم منظماته المختلفة داخل بريطانيا ، ودعم الجمعيات والمؤسسات والتنظيمات الدينية في أنحاء العالم الأخرى . وتعمل هذه الجماعات تحت أسماء مختلفة ، مثل « جمعية المسلمين البريطانيين » ، « جمعية النساء البريطانيات المسلمات » ، وهكذا . ومن أبرز الشخصيات البريطانية التي اعتنقت الإسلام مغني الروك البريطاني السابق « كات ستيفنز » الذي اتخذ لنفسه اسم يوسف إسلام ، وأستاذ علم النفس في جامعة برادفورد عبد الرشيد سكينز .

ويرأس يوسف إسلام مجلس إدارة مدرسة إسلامية في لندن ، اسمها المدرسة الابتدائية الإسلامية ، ويصدر عنها نشرة فصلية بعنوان « الإسلامية » ، يساهم فيها السيد إسلام ببعض المقالات ذات الطابع الإسلامي .

وفيسا عدا ذلك فإنه يقوم ببعض الأعمال الخيرية ، ويقدم المساعدات للتنظيمات الدينية الإسلامية ، سواء كانت سياسية أو ثقافية في الخارج . أما بالنسبة للغناء فهو ملتزم الآن بالغناء بمصاحبة الدف فقط ، ويقدم أحيانا لكلمات دينية تتعلق بالإسلام والدين الإسلامي لا غير .

عندما ذهبنا إلى « المدرسة الابتدائية الإسلامية » في بروندزبري باريك بشمال لندن كان يوسف إسلام يرأس اجتماعا للمدرسين ،

وحين انفض الاجتماع لم يكن بقي على صلاة الجمعة سوى وقت قليل ، وكان علينا خلال هذه المدة البسيطة من الوقت أن نتحدث إليه ، لا عن أسباب إشهاره إسلامه ، ومتى وكيف ، بل عن نشاطه الحالي . قال يوسف إسلام إنه الآن يكرس جهوده لثلاثة أنواع من النشاط ، هي التعليم والدعوة والعون الإسلامي . وأضاف أن الدعوة تلتقي بشكل أو بآخر مع السياسة ، ومن هنا يأتي النشاط ذو الطابع السياسي مثل تقديم المعونة للفلسطينيين الذين يعيشون تحت

توجهنا الى مدينة بروكوود جنوبي لندن ، حيث تقوم المقبرة الإسلامية . ومقبرة بروكوود هي في الأساس مقبرة لقتلى الجيشين الأميركي والكندي في الحربين العالميتين الأولى والثانية ، ولكن جزءا من المقبرة اقتطع ليكون مكانا يدفن فيه المسلمون . دخلنا البوابة التي لم تكن مقفلة على أي حال ، الى المقبرة التي شقتها طريق ترابية عريضة الى نصفين ، تركت مقبرة قتلى الحرب البريطانيين والأميركيين والكنديين معزولة عن مقابر المسلمين .

أتراك ، هنود ، باكستانيون ، وعرب من العراق ، واليمن ومصر ، وفلسطين ، وجدوا مكانا للراحة الأبدية في تلك البلاد .

القبور لها سمات الأحياء ، قبور بنيت فوقها القباب ، وقبور أحاطت بها جدران من الرخام ، كتبت عليه الآيات القرآنية ، ومعلومات عن صاحب القبر ، وقبور أخرى من الحجارة ، وقبور غيرها غطتها الزهور ، فيها نما العشب على بعض القبور ، بحيث لم نعد نعرف إن كنا نسير فوق التراب أم فوق أديم أجساد إخوتنا الميتين ، الذين لم تخل عليهم الأرض الغريبة بحفرة توارى فيها أجسادهم .

وعلى تلة ارتفعت بجانب الطريق المؤدي الى القسم الخاص بقتلى الحرب الأميركيين والكنديين ، انتصبت شاهدة حملت اسم الشهيد ناجي العلي ، رسام الكاريكاتير الفلسطيني ، وفي الطريق المقابل ، لفت نظري رسم لعلم أحمر وسيف ونجوم ، وعندما اقتربت منه قرأت على الشاهدة اسم زوجة الإمام يحيى حميد الدين ، إمام اليمن الأسبق .

عندما أذن الرحيل كانت مجموعات من الناس ، ارتدى معظمهم الملابس السوداء ، مازالوا ينظفون قبور أقاربهم ، ويضعون عليها الزهور ، ويسقون زهورا غيرها بالماء ، في لمسة وفاء إنسانية لا تشوبها شائبة .

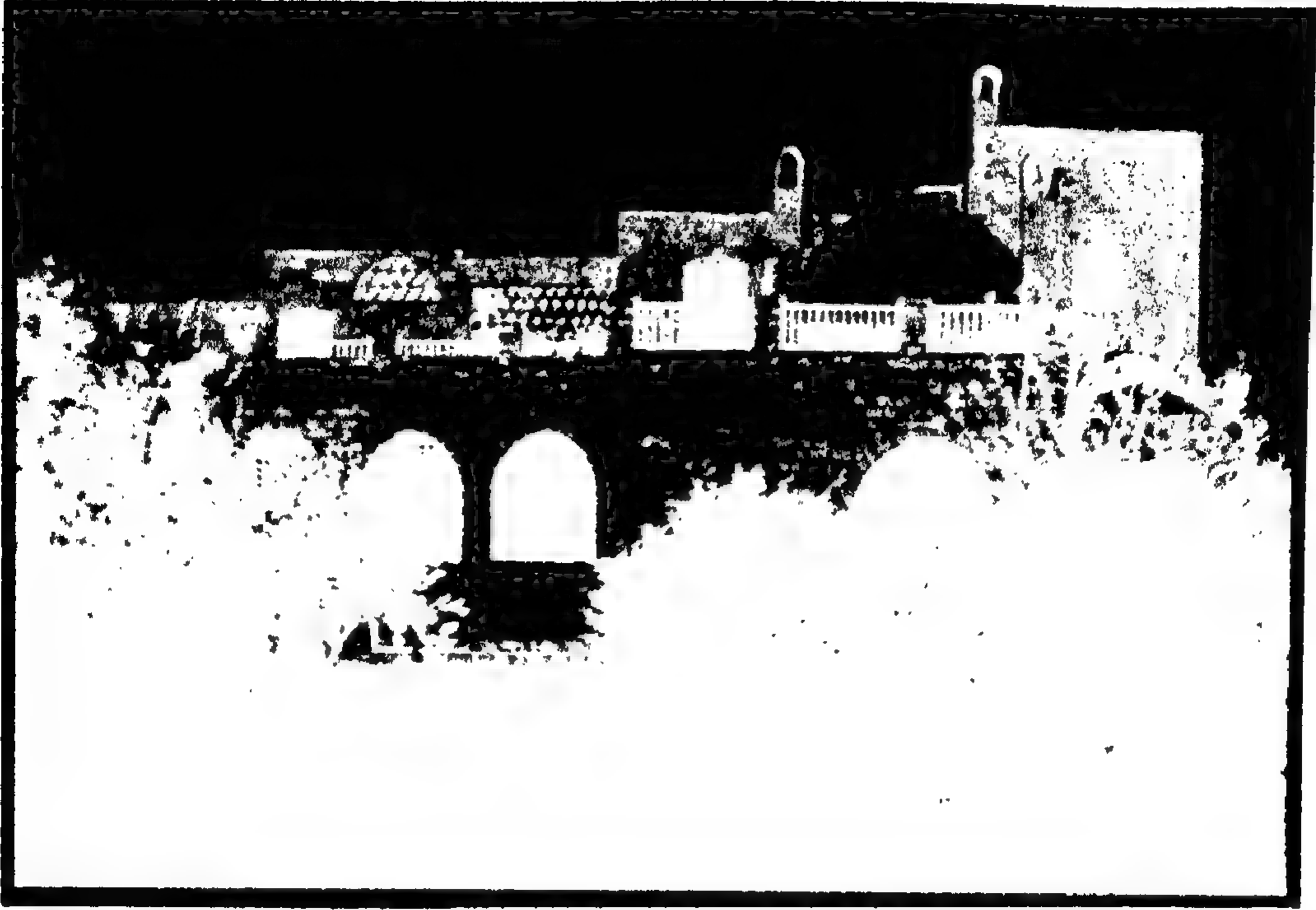
تركنا هذا المشهد الحزين وعدنا أدراجنا . □



○ السيد لياقت حسين
أمين مجلس المساجد ببرادفورد

تذكروا الميتين

أثناء حديثي مع أحد سائقي سيارات الأجرة في مدينة برادفورد ، قال السائق المسلم : إنني الآن في نهاية حياتي العملية ، فأنا أشرف على الستين . وعندما يحين موعد تقاعدي فلنني سأعود الى باكستان ثانية ، حيث سأقضي هناك شيخوختي ، وعندما أموت أدفن هناك . وفي تحقيق واسع عن المسلمين في بريطانيا نشرته صحيفة الديلي ميل البريطانية ، في فبراير الماضي ، قال المحرر : إن تكلفة نقل الجثمان الى باكستان تعادل حوالي ٣ آلاف جنيه استرليني ، وأضاف المحرر : إنه مع ذلك يطلب كثير من المسلمين البريطانيين أن يدفنوا في أرض أوطانهم الأصلية ، وهي فكرة يعارضها مسلمون آخرون ، فبالنسبة لهم ، مادام هؤلاء اختاروا بمحض إرادتهم الجمع بين الهوية البريطانية ، والدين الإسلامي أصبحت بريطانيا هي وطنهم الذي يولدون فيه ، وفيه يعيشون ويموتون ويدفنون .



○ الواجهة الجنوبية لمثل من أعمال حسر فتحى

العمارة للفقراء

دكتور عبد الرحيم ابراهيم أحمد*

بقلم : الدكتور عبد الرحيم ابراهيم أحمد*

إذا كان قيام أي تجمع بشري يرتبط بالأرض الخصبة والماء العذب والمناخ المعتدل ، فإن المأكل والمشرب والملبس والسكن ، ظلت عناصر أساسية وضرورة ملحة على مدار الساعة لاستمرار الإنسان وتكاثره وإنتاجه ، ومن هنا كانت النظرية التي يعرضها هذا المقال .

المسكن واحد من ضرورات الحياة ، وهو العامل الحاسم في تحديد مستوى المعيشة وكيفيةها . فلا عجب إذن أن تكون معظم أعمال المماريين والفنانين والمسؤولين عن الاسكان وجهودهم منصبة على الحلول المثالية ، بهدف الوصول إلى حل لمشكلة الاسكان ، وجعلها تتناسب مع الحالة الاجتماعية والاقتصادية للإنسان نفسه ، مع عدم إغفال ظروف البيئة .

بين الأمس واليوم

تعددت النظريات الهندسية والمعمارية من أجل بناء مسكن رخيص للإنسان ، رخيص في تكاليفه المادية سواء في الخامات أو في استخدام الأيدي العاملة . ويعيد عن التكاليف الباهظة في إقامة العمائر الضخمة وطرق إنشائها وتزويقها . ونحن هنا نتكلم عن المسكن الرخيص للفقير ، فالغني لن يزعجه أي ارتفاع في التكاليف .

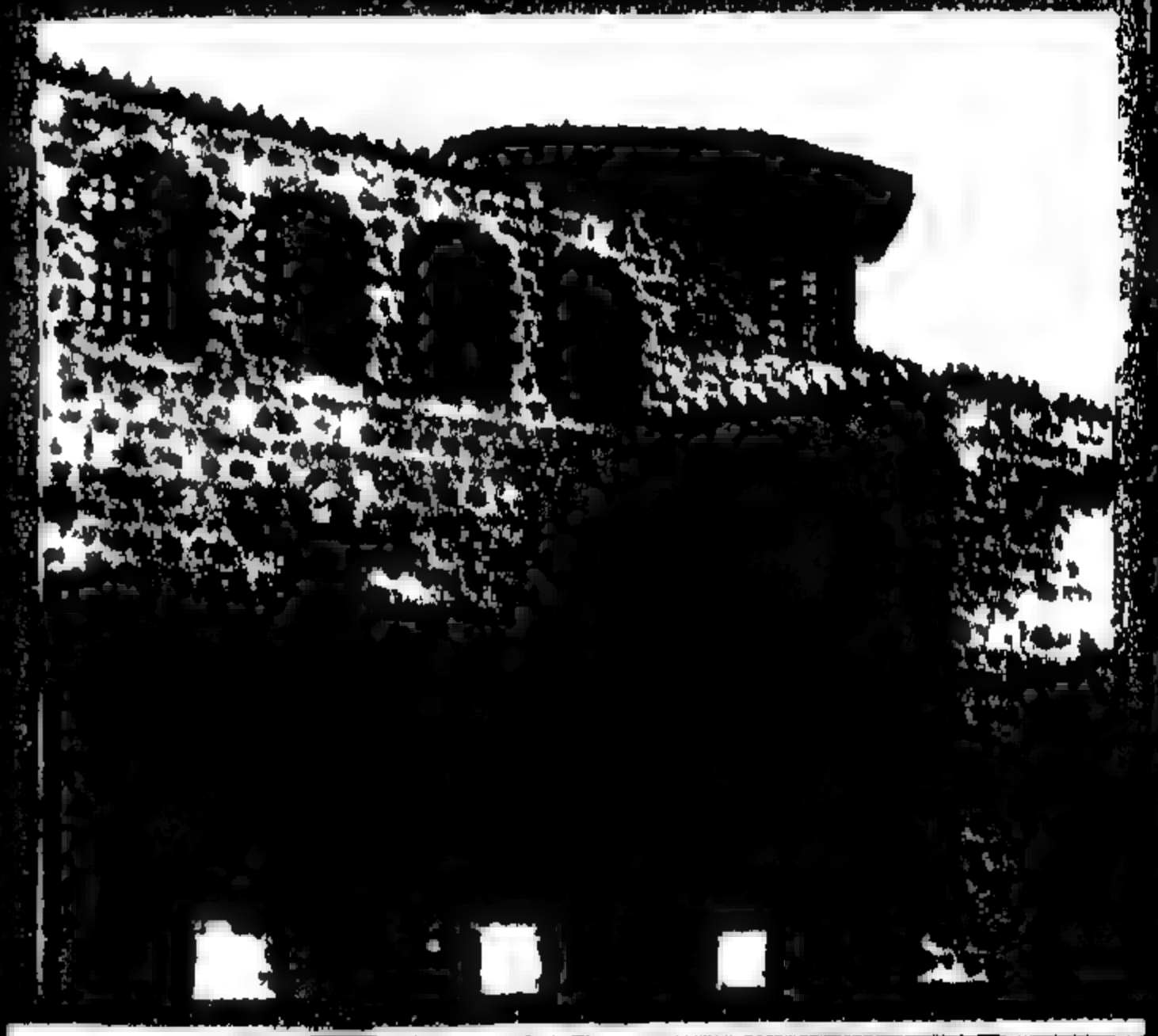
ومن خلال مقولة أن البيت يسكنه واحد وبينه عشرة ، فإن ما يشغل على الحكومات المختلفة في العصر الحديث هو كيفية إيواء الملايين من الأسر الفقيرة وخاصة في العالم الثالث .

ولعل أهم تجربة في هذا الشأن خرجت من فوق أرضنا العربية ، وبفكر عربي خالص ، وبتأثير من التراث العربي . وأعني بها تلك التجربة التي قدمها المهندس المعماري العالمي « حسن فتحي » .

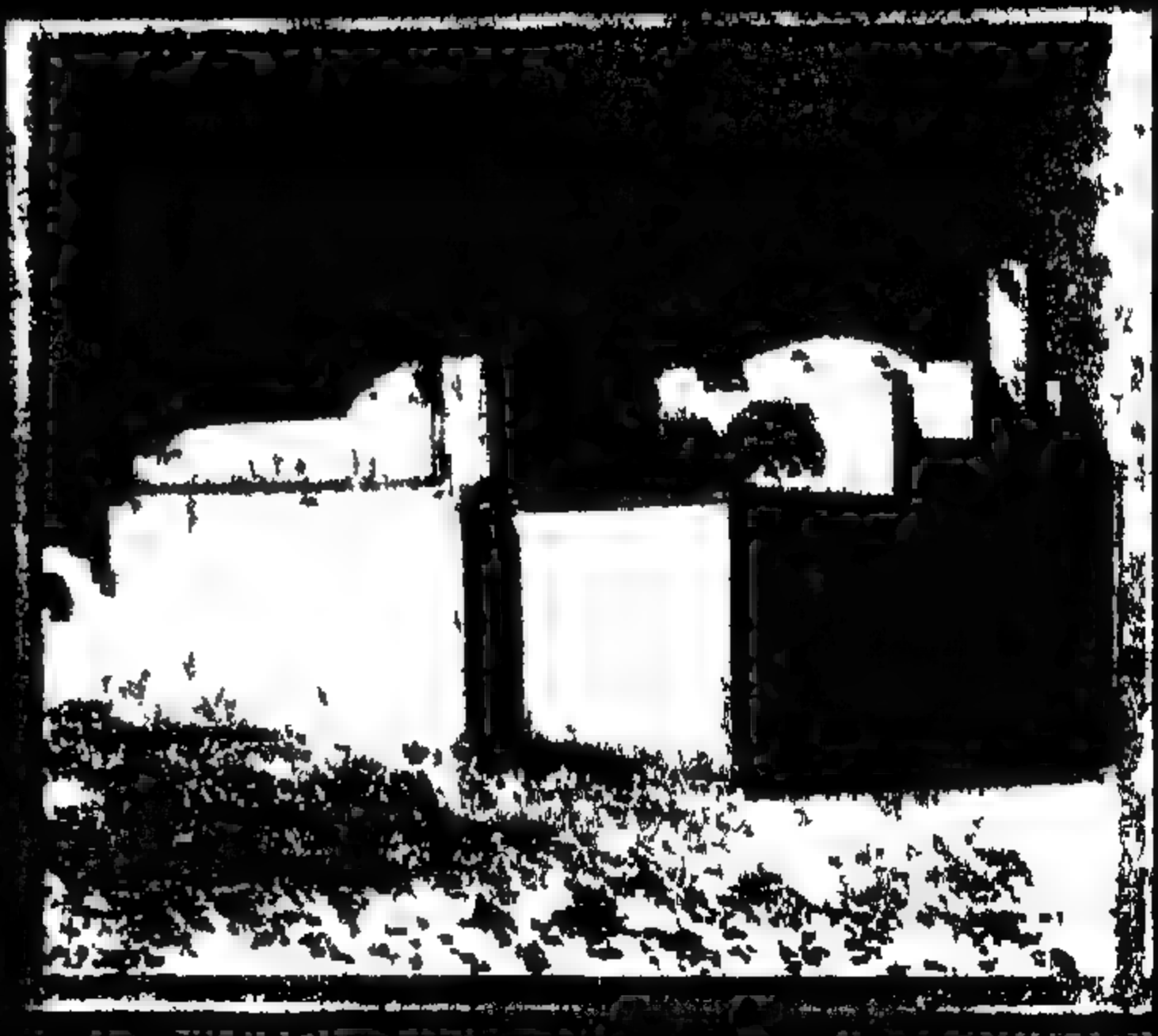
وما أحوجنا في الوطن العربي إلى دراسة نظرية ذلك المهندس المصري المولد ، ليس من أجل الاستفادة منها فقط ، بل من أجل المحافظة على التراث الحضاري كقيمة ثقافية ، فالشارع العربي اليوم يختلف تماما عن شارع الأمس ، إذ يمتلئ اليوم ضجيجا وصخبا وصراخا وغبارا وزحاما وتلوثا. ومع هذا فقد تغيرت عمارتنا بشكل كبير متأثرة بنظريات معمارية غربية عنا . فبالأمس كان الشارع العربي أقل ضجيجا وزحاما وتلوثا ، ومع



○ استراحة موقف الحافلة (الانوبس)



○ مطبخ من الحدائق لـ (حسن فتحي) أعماله



من النواحي « الفسيولوجية والسيكولوجية » . ومن هنا كانت العمارة التي تصلح في المدن تختلف عنها في الواحات ، إذ لكل بيئة عمارة تناسبها وذلك اعتماداً على العوامل نفسها السابق ذكرها « الجو والبيئة الطبيعية » ، فهي التي توجد الفروق الأساسية في تشكيل حياة الإنسان . وإذا ما أدرك المعمارليون هذا الفرق بين منطقة وأخرى ، فإن ذلك وبلا شك سوف يساعد على تنمية الشخصية في العمارة التي تعد من أهم أركان الثقافة .

ولا يقف الأمر عند المناخ الطبيعي وحده واتجاه الأشعة ، ومساقطها ، بل يعدوه إلى المنظر الطبيعي الذي يعد من العناصر المهمة في تحديد شكل العمارة التي كانت انعكاساً للبيئة ، مما دعا بعض المعمارين إلى إطلاق صفة الصدق في التكوينات المعمارية التي كانت نتيجة طبيعية لتفاعل الإنسان مع البيئة . وحيث إن البيئات تختلف الواحدة عن الأخرى فقد جاءت حصيلة هذه التفاعلات مختلفة من بلد إلى آخر ، مما جعل المعمارين يبحثون عن تصميمات تناسب كل بيئة تكون نابعة من وجدان تلك الجماعة دون ما تكلف ، حتى لو جاءت لنا بطرز معمارية متميزة محبة إلى نفوس أهلها ، والتي أصبحت سمة لهم ، وأصبح الطراز بمثابة الشعار لتلك الجماعات . على أن الشعور بالجمال في العمارة يعد أمراً نسبياً يختلف فيه الحكم من فرد إلى آخر ، ومع ذلك فإن الشيء الجميل يتطلب استيفاء عدة شروط حتى يكتسب هذه الصفة .

والمعنى الإجمالي عند « حسن فتحي » هو أن الجمال المعماري في المبنى ، إنما هو صفة تعبيرية تنتج التأثير بالشكل في الشعور ، بالتوافق بينه وبين القوى العاملة على تكوينه . ويمكن القول بأن الطبيعة لم تقصد خلق الجمال ، إنما الإنسان هو الذي يصف هذه الأشياء بتلك الصفة من واقع إحساسه بتوافق الشكل .

ذلك كان أسلافنا يفتحون غرف الدار عن صحن داخلي مكشوف، بعيداً عما كانوا يعدونه ضجيجاً وتلوثاً ، ناهيك عن الابتعاد عن نظرات العابرين والرغبة في ستر داخل البيت عن مشاغل البيئة . أهم من ذلك كله هو « العمارة للفقراء » الذين يمثلون الغالبية العظمى من سكان العالم الثالث . ويعد « حسن فتحي » أحد الرواد الكبار والقلائل في العالم الذي اقترح ونفذ ما يمكن الفقير من امتلاك مسكن صحي ملائم من خلال النظر إلى ظروف البيئة . وقد ذاعت نظريته وانتشرت ، وأخذ بها العديد من الدول من أجل حل مشكلة اسكان الفقراء . ومن خلال النظر إلى أفكاره يمكن أن نصنفها على النحو التالي :

أولاً : رفض الاستعارة

المقصود هنا ليس رفض الاستعارة فقط ، بل والتمسك بالعمارة التي تصوغها البيئة المحلية ، وهو يقصد بالاستعارة من جهة محددة هي أوروبا . ويرى أن احترام البيئة أمر مهم . ويجب أن تكون العمارة متناسبة معها من حيث الاستخدام والذوق العام . ولذا فمن الواجب دراسة البيئة قبل البدء في التعمير .

ويقصد بالبيئة تلك الظروف المحيطة التي تؤثر في النمو والحياة . والبيئة التي تهتمنا في هذا المجال يمكن تقسيمها إلى نوعين .

أ - البيئة من صنع الخالق العظيم ممثلة في الجبال والأودية والأنهار والبحيرات والمسالك والدروب . . الخ .

ب - البيئة الحضارية وهي التي يتدخل الإنسان في صنعها من حيث المنشآت والطرق الممهدة عبر البيئة التي من صنع الخالق سبحانه وتعالى ، وغير ذلك كثير .

وللبيئة دور مهم في عمليات التصميم ، إذ تجب مراعاة العوامل الجوية ومواد البناء المتوفرة ، ثم مراعاة خصائص الإنسان الذي سيعيش فيها

ثانيا : الاعتماد على الخامات المحلية

ينادي « حسن فتحي » بضرورة الاعتماد على الخامات والموارد من البيئة نفسها ، وفي تجربته في مصر كانت الحجارة والطين هما الأساس في تجربته ، وكذلك فإن عدم الإسراف يعود بفوائد كثيرة أهمها احترام الطبيعة من حيث الأحوال والأبعاد . وتتماشى مع المنظر المحيط بما فيه من منشآت ، بحيث تبدو العمارة في النهاية في ترابط عضوي يؤلف ثبنا واحدا ، لا اختلاف فيه ولا نشاز .

واستخدام المواد المحلية يحل بعض المشاكل الاقتصادية التي يعاني منها العالم الثالث على وجه العموم ، وبعض من وطننا العربي على وجه الخصوص ، إضافة إلى أن الروح الفنية الأصيلة سوف تفرض نفسها على العمل المعماري بدون شك « عندئذ » .

والتأمل لتلك النظرية عند « حسن فتحي » يجد أنها تتراوح بين زوايا ثلاث متساوية في مثلث واحد، عمادها الانسان ، والمعمار ، والفن . إذ لابد من المحافظة على توازنها كشرط أساسي لنجاح العمل العمراني ، الانسان بكل متطلباته الفطرية والنفسية والعصبية ، والمعمار بمتطلباته الإنشائية والهندسية والثقافية والحضارية ، والفن بكل متطلباته الجمالية والبصرية والتطبيقية .

ثالثا : التمسك بالبعد الحضاري

لابد من التمسك بالبعد الحضاري الذي يجمع بين التراث والمعاصرة والمستمد من الطابع الفني والقومي الذي خلفته العصور السابقة ، ولا شك أن مستحدثات العصر ليست هي كل شيء ، بل انها كثيرا ما تكون عاملا مساعدا على طمس جمال البيئة ، وخير الأمثلة الدالة على هذا الطمس هو استراحة الملك فاروق « آخر ملوك مصر » ، وفندق مينا هاوس « بمنطقة الهرم » حيث جاءت الإضافات عليها خالية من

اللمسات الجمالية والفنية ، الأمر الذي أدى إلى طمس كل معالم الجمال السابقة في العمارتين . ومثال آخر هو عمارة الجدران الزجاجية التي هي أحدث النظم المعمارية المعاصرة، والتي تهدف إلى انفتاح المبنى على المنظر الخارجي مما دفع بالفراغ المحدود بالجدران للتسرب إلى الخارج مصطحبا معه العمارة كلها ، ولا ننسى أن العمارة هي الفراغ المحصور بين الجدران وليس الجدران نفسها ، من هنا ، أصبحت العمارة كشخص وجد نفسه عاريا في وسط البيئة .

« حسن فتحي » المعماري المفكر

إن « حسن فتحي » المعماري صاحب نظريات أصيلة في فن العمارة الريفية والصحراوية، فجعلها أقرب إلى البساطة والتلقائية ، ولكنه أخضعها لتقاليد العمارة الإسلامية بوجه عام . أما عن صياغته المعمارية للمدينة ، فكانت تعتمد كليا على تقاليد وعظمة العمارة الإسلامية في الاستفادة من الخامات المحلية ، وفي تصميم السقوف على شكل قبو ، وبذلك امتزجت كل جهود الشد والانحناء والقص ، واقتصرت على جهود الضغط . والطوب الأخضر يتحملها بكل يسر ، وهي أساليب معمارية كانت مستخدمة في « النوبة » في مصر .

ولقد ثبت أن المواد الأولية المحلية هي أكثر المواد ملائمة للبناء من حيث التكاليف . وهذا بالضبط ما تحقق في قرية « القرنة » التي بناها بالبر الغربي لمدينة الأقصر بصعيد مصر . وقد جاءت القرية مؤكدة ذلك الطابع القومي في شخصيتها وبساطتها ، الأمر الذي نقل فكرتها ونظريتها وعمارتها من المحلية إلى العالمية . الأمر الذي دفع باسم المعماري « حسن فتحي » إلى العالمية باعتباره خبيرا في مشروعات الإسكان الريفي ، وتبنت « هيئة اليونسكو » أبحاثه وتم تنفيذ العديد منها في أمريكا وآسيا وأفريقيا . أما لماذا لم ينجح

مغامر ينشره بالعربية ، وقد ترجم هذا المؤلف لخمس لغات غير الانجليزية ، هذا بخلاف ٢٨ بحثا وكتبا آخرين .

ولم تكن « القرنة » هي التجربة الوحيدة . فلقد كان تصميم المباني الريفية عام ١٩٣٧ بالوجه البحري بمصر هو أول التصاميم ، ثم استخدم القباب فوق المباني الطينية في قرية « بهتيم » وفي الواحات المصرية وعلى السواحل . وكانت له تجربة فريدة أيضا في واحة باريس المصرية في الصحراء الغربية .

ولقد تنبّهت الدول الأخرى لنظرية العمارة للفقراء ، فاستعانت به في التخطيط والإشراف لإقامة عمائر الفقراء في بعض الأقطار العربية والافريقية والآسيوية ، بل في الولايات المتحدة الأمريكية نفسها ، إذ أقام بها قرية « دار السلام » في « نيومكسيكو » بتكاليف لم تتجاوز ثلث تكاليفها الحقيقية إضافة إلى المحافظة على الطراز .

المعارضة القوية

ولقد واجهت نظريته معارضة شديدة من أصحاب المصالح ، وهؤلاء الذين تتأثر أعمالهم مباشرة نتيجة الاستغناء عن الخامات المستوردة أو المقاولين وأصحاب الأعمال . كلهم تحالفوا ضده في وطنه مما أكسبهم نصرا مؤقتا . على الرغم من أنه كان يكسب الجولة الأولى دائما . فكانت المؤامرات والتحالفات تتقدم لتضغط ضده وتتصر في النهاية . ومن هنا انتقل بنظرية للغرب وللشرق ونجح هو ونظرية نجاحا باهرا .

إن العمارة للفقراء لن تنسى ذلك المناضل من أجل انتصارها ، والذي وهب نفسه لتلك النظرية في طول العالم وعرضه . وما زال - على الرغم من أن المرض والشيخوخة أقعده - يعطى لتلاميذه فكرة عن طرق ووسائل البناء للفقراء . □



○ المعماري الفنان حسن فتحي لحظة تأمل

مشروع قرية « القرنة » ، فتلك قصة أخرى ، إذ أن سكان « القرنة » كان لهم رأي آخر . . فإفشالها يعود إلى ذلك الارتباط بين حراس الآثار الفرعونية و « المافيا » العاملة في تهريبها - إذ أن سكان القرنة وجدوا أن بيوتهم تقوم فوق المقابر القديمة فأخذوا يكشفونها قبرا بعد آخر ويبيعون ما يعثرون عليه ، ولما جاءت مصلحة الآثار وكلفت « حسن فتحي » ببناء « القرنة » ، كان من الطبيعي أن يرفض السكان ترك الكثر الذي هو أسفل بيوتهم القديمة . ولقد بنى بيوت القرية من الحجر والطمي التي كانت أرخص المواد وأفضلها لسكنى المناطق الحارة ، أما عن التكاليف فهي لا تكاد تذكر إذا ما قيست بأسعار البناء في عام ١٩٤٦ تاريخ البدء في بناء القرنة أو عام ١٩٥٣ تاريخ الانتهاء منها .

نظرية اسكان الفقراء كتجربة سجلها في مؤلفه العلمي الكبير باسم « العمارة للفقراء » الذي نشره باللغة الإنجليزية لعدم وجود ناشر



٥. لطيفة الزيات • أمينة النقاش

• كان اشتغال النساء بالسياسة نادرا في زمكاني.

• غلبتُ الجانب العقلي في

حياتي سنين طويلة على الجانب الوجداني.

• أرى أنه ليست هنالك مشكلة

في أن تحب الفتاة المستنيرة نفسها نداء للرجل.

• شعار مساواة الرجل بالمرأة

يحتاج إلى مجهود النساء لإثبات الأهلية

مئات الآلاف من الفتيات اللاتي يعملن ويتعلمن ويكتبن في الصحف وينتشرن في دور القضاء وقاعات المحاكم ، بل ويحملن حقائب وزارية ، لا يتصورن كيف كان وضع المرأة في الوطن العربي منذ أكثر من نصف قرن ، حين كانت نسبة الأمية وسط النساء أربعة أضعاف نسبتها بين الرجال ، وكانت المرأة محرومة من العمل والتعلم والتفكير ، ومحظورة عليها اختيار أي شيء ابتداء من لون ملابسها حتى شخص زوجها . ومئات الآلاف من النساء لا يذكرن الرائدات اللواتي بدأن التمرد وبدأن الدق على جدران « الشرنقة » داعيات لنيل المرأة حقوقها الانسانية والطبيعية ، ووقف التمييز العنصري الرجولي ضدها .

وهذه محاولة للاقترب من العالم الخاص والعام لواحدة من رائدات الحركة الوطنية المصرية ، والحركة النسائية بوجه خاص هي الدكتورة لطيفة الزيات ، استاذ الأدب الانجليزي بكلية البنات جامعة عين شمس ، والناقدة ، والروائية والصحفية والمناضلة من أجل حرية الوطن وحرية المرأة .

الحوار الذي أجرته معها الزميلة أمينة النقاش محاولة لاستكشاف العوامل الذاتية والعامة التي دفعت بها الى هذا الطريق الشاق والصعب ، وللتعرف على الجهد الكبير الذي بذلته لكي تثبت أهليتها ، وبالتالي أهلية المرأة لأن تحصل على حقوقها .

مرادفاً للفتاة المثالية . وهكذا تولت والدتي مهمة ترويضني وصبي في القالب الاجتماعي المقبول والمرضي عنه بالنسبة للمرأة . وأخذت عملية الترويض شكلاً ملحوظاً في كل كبيرة وصغيرة من حياتي . فطريقتي في الجلوس لا تعجب والدي ، وطريقة كلامي لا تروقها ، وصمتي في حضور الضيوف لا يرضيها ، وكلامي معهم خروج عن السلوك المألوف ، وارتفاع صوتي « قلة أدب » وانخفاضه غير مرغوب فيه وهكذا .

واستهدفت عمليات الترويض - التي أعتقد أن كل فتاة عربية تمر بها في عمر الصبا - صبي في القالب المطلوب اجتماعياً ، ودفعي لاهتمامات محددة غير مسموح لي بتجاوزها :

الاهتمام بزييتي ، وإجادة العزف على البيانو ، والرسم في أحيان أخرى .

سألت الدكتورة لطيفة الزيات :
* في الظروف التي أحاطت بنشأتك ، هل كان هناك « شرنقة » أسرية . حولك ، أم اجتماعية ، أم الاثنتان معاً ؟

- بالطبع ، شأن في ذلك شأن أي فتاة مصرية أو عربية . فمنذ أن بلغت من العمر عشر سنوات ، بدأ الحجر على حركتي يظهر بشكل واضح ، وأخذ هذا الحجر شكل منعي من الحركة ، وكان الطريق الوحيد المسموح لي بقطعه هو الطريق من المنزل الى المدرسة وبالعكس . والشرنقة ليست تقييداً لحركة الدخول والخروج فحسب ، بل أشد وطأة من ذلك . فالشرنقة هي السعي الدؤوب لصب الفتاة في قالب معين هو القالب المرضي عنه والمرغوب فيه .

وبالنسبة لي فقد كنت طفلة شديدة الحيوية ، ومن المدهش أن هذه الحيوية ، كانت مصدر إزعاج دائم لوالدي الذي كان يرى في الهدوء والصمت والركة ،

الخروج من الشرقة

● وكيف خرجت من هذه « الشرقة » الى عتبات الدراسة ؟

- قد يدهشك القول أن الحظ لعب دوراً مهماً في هذه الزاوية من حياتي . فبعد حصولي على الابتدائية أراد والدي أن ألزم البيت ، ورفض فكرة دراساتي ، ولكن من حسن حظي أن شقيقي عبد الفتاح الزيات ومحمد عبد السلام الزيات - وكانا يكبرانني في السن - رفضا ذلك ، ولعبا دوراً في اقناع والدي . وكان محمد هو الذي سارع بنفسه الى تقديم أوراقتي في المدرسة الثانوية ، وكانت هي المرحلة التالية للابتدائية آنذاك ، وأنا أدين له بالكثير .

اختيار أم مصادفة

● لم يكن التعليم اذن قرارك بل قرار آخرين ؟

- بل هو قراري في الأساس ، وآزرنني في مواصلته آخرون لسبب بسيط هو أن المدرسة بالنسبة لي لم تكن مكاناً للتعليم فحسب ، بل مهرباً من الشرقة الأسرية التي تسعى دوماً لتقييد حركتي ، ومبدناً لانطلاقي التلقائي ، وبجلاً لكشف قدرتي في التعبير الحر عن نفسي .

● هل كانت دراستك للأدب في الجامعة اختياراً أم محض مصادفة ؟

- بل هي اختياري . والدليل على صحة ذلك أنني في الجامعة التحقت بقسم اللغة العربية بكلية الآداب ، وكان هدفي الواضح من الالتحاق بهذا القسم هو أن أتعلّم الكتابة الإبداعية ، ولما كان يغلب على الدراسة في هذا القسم آنذاك قواعد النحو والمعجمات اللغوية لم أجد فيه ضالتي . وفي العام الثاني من دراستي في قسم اللغة العربية حولت أوراقتي منه الى قسم الأدب الانجليزي ، ولقد دفعني إلى اتخاذ هذا القرار - فضلاً عن رغبتي في تعلم كيف أكتب ابداعاً - تشجيع د . لويس حوض الذي كان يدرس الأدب الانجليزي في السنة الأولى بالجامعة . فقد استبشر بي خيراً واقترح علي الانتقال إلى قسم اللغة الانجليزية ، حيث مجال الدراسات الأدبية أكثر اتساعاً . كنت فتاة خجولة الى حد كبير حين دخلت

الجامعة ، ولكن في السنة الثانية من دراستي حدث تغير كبير حيث بدأت ممارسة العمل السياسي الوطني .

● وما هو التغير الذي طرأ عليك ؟

- تغير لا يصدق . فقد انتقلت من فتاة خجولة - إذا دخلت قاعة مكتبة الجامعة - من أنظار روادها ، الى فتاة تخطب في الجماهير الحاشدة .

بالجامعة كانت المجال الذي فجر كل قدراتي ، ساعد على ذلك أن الفترة التي التحقت فيها بالجامعة كانت فترة من أعظم الفترات في تاريخ مصر ، بعد الحرب العالمية الثانية ، حيث كانت كل حركات التحرر الوطني في العالم تتطلع لنيل استقلالها ، وكانت الفاشية قد اندحرت ، وأصبح يسود العالم موج من التفاؤل والأمل بالحاضر والمستقبل .

● هل مجرد التحاقك بالجامعة هو الذي

أحدث هذا الانقلاب ؟

- بالطبع لا . فمن المؤكد أنني لو التحقت بالجامعة ، واكتفيت بكوني طالبة دون ممارسة العمل السياسي لبقيت كما كنت ، فتاة منغلقة على نفسها خجولة تحمل جسدها الممتلئ كما لو كانت تحمل وزرا ، وكان العمل السياسي الجماهيري هو الذي حررتني من مخاوفي ومن خجلي ومن حيائي ، وشكل نقلة هامة في حياتي ودفعني وغيّرتي وأعاد صناعتي ، وخلق مني إنسانة جديدة .

لا تمرد ولا استهواء

● ما هي الدوافع الحقيقية لقرار اشتغالك

بالعمل العام ، هل كانت تمرداً أم رغبة في

كسر المألوف ؟

- لا هذا ولا ذاك، يؤكد ذلك تتبع الظروف التي نشأت فيها . فقد ولدت عام ١٩٢٤ في أعقاب اندلاع ثورة عام ١٩١٩ ، وكبرت والناس من حولي يحتفلون بذكرى قائد الثورة سعد زغلول ، ومارست لعبة « نط الحبل » وأنا أسمع الصبية تغني :

« يا مصر ما تخافيشي ، احنا ولاد الكشافة ، وأبونا سعد زغلول وأمنا صفصف هانم » مشيرين بذلك الى السيدة صفية زغلول زوجة الزعيم سعد زغلول ، التي شاركتته كفاحه ، وكانت تتزعم بدورها حركة الاحتجاج على الاحتلال البريطاني

محنة الاختيار

• ما هي أنواع العقوبات التي تحملتها مقابل تحطيمك لجدار الشرقة ، وكيف تغلبت عليها ؟

- كثيرة ومتنوعة ، أسرية واجتماعية ، ففي الفترة التي كنت أنزعج فيها حركة الطلاب في الجامعة ، لم أكن قادرة على الخروج من المنزل كما أشاء ، وكنت ما أزال ملزمة بالعودة للمنزل في مواعيد محددة ، على الرغم من أن العمل السياسي كان يقتضي مني حرية واسعة في الحركة ، فلم أتمكن من نيلها كاملة على الرغم من تغير ظروف الأسرية .

فقد مات والدي وعمره ١٢ عاماً ، وكان الوجه الآخر للأساة فقدان لوالدي ، أن أشقائي الذين تولوا مسئولية تربيته بعد موته كانوا أكثر استنارة منه ، فلم يبقوا في وجه نموي الانساني .

هذا في محيط الأسرة ، أما في محيط المجتمع فقد هوجمت كثيراً أثناء ممارستي للعمل على الرغم من شدة تزمي ومحافظتي في العلاقات الاجتماعية . وأثر هذا الهجوم الضاري والشرس على معنوياتي بشكل سلبي . ولكني بعد تأمل ساءلت نفسي : هل أنا جادة في خوض ميدان العمل السياسي أم غير جادة ؟ فإذا كانت الأولى فعلي أن أهب نفسي للعمل الوطني ، وأحشد قواي لصد الهجوم المعادي من أي ناحية . وإذا كانت الثانية فليس أمامي سوى أن ألزم المنزل ولا أغادره إلا للدراسة . ولقد اخترت الحالة الأولى على الرغم من المشاق التي تبعها ، وساعدني على ذلك أن المناخ العام الذي شهد توهج الحركة الوطنية المصرية كان ملائماً .

ولو أنني استجبت لتلك الضغوط لكان يمكن لحكايتي أن تتحول الى حكاية تقليدية لفتاة مصرية هادئة ، أما وقد انخرطت في العمل الوطني والسياسي ، فقد أخذت الجماهير بيدي ومنحتني وضعاً خاصاً حررتني من كثير من النواقص التي تكبل حركة المرأة .

الشمس !

• ما هي التضحيات التي قدمتها مقابل قرارك بالتححر ؟

- تضحيات عديدة ، أقلها السجن والاعتقال ،

لحصر . وفي محيط أسرتي رأيت في صباي شقيقي محمد يقبض عليه أكثر من مرة لاشتراكه في المظاهرات الطلابية ، ولاهتمامه بالاشتغال بالعمل السياسي . وكانت الفترة التي دخلت فيها الجامعة في عام ١٩٤٢ فترة مد ثوري من الطراز الأول . كل هذه العوامل مجتمعة ساهمت في دفعي إلى الاشتغال بالعمل السياسي من باب الاهتمام بقضايا الوطن ، وكنا في تلك السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية ، نعيش فترة مد وطني ومشاعر وطنية فوارة ، تنتشر في جميع أنحاء الوطن وبين مختلف فئاته ، فلم تكن الوطنية في هذا العصر غريبة أو شاذة ، فكل الذين يحيطون بي أو أحتك بهم أو أتامل معهم كان يملؤهم الحماس للوطن والاهتمام بقضاياها .

• ألم يكن اشتغال النساء بالسياسة نادراً في ذلك الزمن ؟

- نعم كان نادراً ، وعلى الرغم من ذلك استوعبت الحركة الوطنية في تلك الفترة جهود كثير من النساء ، والقاعدة في ذلك معروفة ، ففي أوقات الانحسار الوطني التي تخيم على الأمة والوطن ، يمتليء الجو بظواهر من التعصب وضيق الأفق يكون من بينها التعصب ضد المرأة . وعكس هذه القاعدة صحيح ، فحين يسود المد الوطني والجماهيري والنضالي ، يتحرك المستنقع ويتحول إلى مجرى رائق وتسقط عنه كثير من الشوائب والتعصبات . وسط هذا المد الشعبي بدأت عملي في السياسة .

ولم أنتخب عضواً في اللجنة التنفيذية العليا للطلبة والعمال فقط ، بل انتخبت في فترة لاحقة سكرتيراً عاماً للجنة التنفيذية مع عضوين آخرين هما فؤاد محمي الدين رئيس وزراء مصر الأسبق ، وهبد الرؤوف أبو علم أحد قادة الحركة النقابية العمالية . وكانت اللجنة الوطنية للطلبة والعمال لجنة جهوية تشكلت عام ١٩٤٦ من ممثلين لطلاب الجامعات من مختلف الاتجاهات السياسية الوطنية ، وممثلين لنقابات ، وكانت بمثابة قيادة جديدة للحركة الوطنية في مصر في أعقاب الحرب العالمية الثانية ونظمت مناسبتين هامتين في التاريخ العربي والعالمي ، أولاهما مظاهرة ٢١ فبراير ١٩٤٦ لجلاء الانجليز عن مصر ، وأصبح اليوم فيما بعد يوماً عالمياً للطلاب وثانيتها يوم ٤ مارس وكان يوم الحداد العام على الشهداء .

ويضاف الى ذلك أنني غلبت لسنوات طويلة في حياتي الجانب العقلي على الجانب الوجداني ، وأهدرت سنين عديدة وأنا أكبل نفسي وجدانياً ، فكان من الطبيعي بعد ذلك أن يأتي وقت في حياتي أغلُب فيه الجانب الوجداني كاملاً على حساب الجانب العقلاني ، فأتى الاهتمام العام وأنصرف بكليتي لكوني امرأة .

● هل كان الخطأ في الحالة الأولى أم في الثانية ؟

- في الحالتين . فمن وجهة نظري لا بد أن يكون هناك توازن مستمر بين الجانب العقلاني والوجداني للمرأة ، لأن ترجيح كفة إحداهما على الأخرى يفسح المجال لأخطاء كثيرة للانسان بشكل عام ، رجلاً كان أم امرأة .

● هل تعتقدين أن المرأة حيث هي امرأة مأساة ؟

- لا شك أن أعباء كثيرة تقع على عاتق المرأة في الحياة ، حيث يطلب منها القيام بأدوار عدة لا تطلب من الرجال ، فعليها أن تكون أمّاً وزوجة ناجحة في إدارة بيتها ، وامرأة فاضلة تغفر كل الأخطاء ، ونتيجة للظروف التي تنشأ فيها النساء في مجتمعنا فإن قيوداً غير مرئية تفرض عليهن ، أخطرها أن يبقى الرجل هو البند الأول في حياة المرأة ، في حين تكون هي البند الثاني في حياة الرجل . والنتيجة حين تنكسر المرأة عاطفياً تنكسر كلياً ، بينما إذا تعرض الرجل لنكسات عاطفية يستطيع أن يستكمل مشواره على اعتبار أن العمل هو القيمة الأولى في حياته .

وإذا كان التراث الطويل من التنشئة الخاطئة للمرأة هو المسئول عن ذلك ، فلا شك أن المرأة نفسها تتحمل جزءاً من المسئولية من تلك الأوضاع .

● هذا عن الجانب العام ، فماذا عن الجانب الشخصي ؟

- أنا شخصياً لا أعتقد أن وجودي كامرأة يعد مأساة فأنا متصالحة تماماً مع حقيقة أنني امرأة ، ولم أقاس كثيراً من تلك الحقيقة إلا في الحدود التي ذكرتها ، بل إنني أحب كوني امرأة . وليس لدي هذا الشعور الدائم المقلق والموجود لدى الكثيرات اللواتي يبدين وكأنهن يردن إثبات شيء ما : فليس لدي

حاجة لمثل تلك المشاعر .
ففي أعماقي أشعر أن عقلي لا يقل عن عقل أي رجل ، وأن تفكيري لا يقل اتزاناً عن تفكيره ، كما أن قدراتي العقلية لا تقل عن قدرات كثير من الرجال وربما تفوق بعضهم . وأعتقد أن هذا يرجع لعمل السياسي الجماهيري في الجامعة الذي منحني الاحساس بالندية مع أقراني من الرجال .

● هل أفهم من هذا أنك ترين أن المرأة لكي تحقق وجودها لابد أن تزاوِل العمل السياسي ؟

- لا ليس كذلك . فالأساس أن تفعل المرأة شيئاً خارج ذاتها وخارج جدران منزلها ، وأن يكون لها دور في مجتمعتها أوسع من دورها في نطاق الأسرة ، حتى لو عن طريق الاهتمام بالجمعيات الخيرية . بل إن الاهتمام بقضايا الوطن حتى لو لم يتبعه أي فعل ، هو دور ولون من ألوان التحقق أيضاً . وتلك كانت الفكرة الرئيسية لروايتي « الباب المفتوح » والقائمة علي أن الانسان لا يعثر على ذاته الحقيقية إلا إذا فقدها أولاً في شيء أكبر من تلك الذات وهو الوطن .

لست عدوة للرجال

● كيف ترين الأجيال الجديدة من الفتيات التي تسعى لكسر القيود حول حركتها . . . هل تشجعينها أم ترثين لحالها ؟

- الحقيقة أنني أؤمن أنه ليس هناك جهد إلا وله ثماره . فكل جيل ينهض ويتقدم على ما حققه الجيل الذي سبقه . والآن حين أنظر حولي أرى أنه ليست هناك مشكلة أن نجد الفتاة المستنيرة نفسها ندّاً للرجل ، وأن تعتقد أنها في أعماقها كذلك . ولم يكن هذا في جيلي شائعاً ، ولكنه أصبح كذلك الآن بحكم الحركة والمقاومة التي خاضتها أجيال سابقة ، والتضحيات التي قدمتها على هذا الطريق أجيال الأمس فلقد أتاحت لامرأة اليوم أن تتمتع بتدنية للرجال لم تكن تتمتع بها من قبل .

● هل تعتقدين أن شعار مساواة الرجل بالمرأة ، يحتاج إلى جهد من النساء لإثبات الأهلية أكثر من مجرد طرحه كشعار ؟

- لا شك في ذلك . فالمرأة لكي تثبت أنها جديرة

المواطنين ، ومعاناتهم الدائمة من حالات الغلاء المتصاعدة ، وتدني قيمة القمط واحتقارها ، والإحلاء من الثراء والاقتناء باعتبارهما القيمة الوحيدة المعترف بها ، بعد أن تراجعت النظرة الى العمل باعتباره قيمة انسانية راقية . وفي جيل كان الشائع بين الفتيات أن الزواج لا بد أن يكون قائماً على الحب ، وفي هذا الجيل أصبحت الثروة والقدرة المالية هي الشرط الأول للزواج ، فمعظم الفتيات يحملن بزواج ثري يتفق عليهن دون حاجة إلى عملهن .

الخروج عن المألوف

• لماذا اقتصر انتاجك الابداعي على رواية « الباب المفتوح » والمجموعة القصصية « الشيخوخة » وقصص أخرى ؟

- لأنني ببساطة لست كاتبة محترفة ، وعندما يكون لدي شيء جديد أريد أن أوصله للقاريء آنذاك أكتب . فالكتابة بالنسبة لي هي عملية تواصل ومحاولة للوصول الى الآخرين ، وكسر العزلة والشعور بالانتماء . فعين يستجيب القراء لما أكتب أشعر أنني انتميت من جديد ، ولم أعد وحدي .

• هل كانت روايتك « الباب المفتوح » ، كما كانت رحلتك في الحياة ، خروجاً على المألوف ؟

- نعم كانت كذلك . فقد وصفها النقاد بأنها أول رواية طويلة تكتب في مصر ، كما وصفوها بأنها من أدب الواقعية الاشتراكية . وكانت خروجاً على المألوف لأنها لم تكن مجرد رواية نسائية تقليدية تصرخ فيها المرأة مطالبة بحريتها ، بل تربط بين ما هو خاص وما هو عام ، بين قضايا الفرد والمجتمع .

• وأين ليل بطله « الباب المفتوح » من الدكتوراة لطيفة الزيات ؟

- ليل ليست أنا ، بل إنني تعمدت أن أجعل منها كل فتاة عادية ، وعبرها نقلت الرسالة التي احتوتها الرواية ، وهي أن الفناء في الوطن هو أرقى أنواع التحقق الانساني . □

بالمساواة يجب أن تعمل بقدر ما يعمل الرجل ، وأن تسمى للتحقيق بمقدار ما يسمى هو ، وأن تخلص لعملها بقدر ما يخلص هو لعمله .

ولكن هذا لا ينفي - بالنسبة لي - أنني أجد قضية حرية المرأة قضية مجتمعية في المقام الأول ، ولن تحل مشاكل المرأة إلا في سياق حل مشاكل المجتمع ككل . أمة لا يتمتع فيها الرجال بالحرية من الغربة بمكان أن ترتب أسبقية حرية المرأة على حرية الرجل .

• ما مدى مسئولية المرأة عن هذا الانبعاث الرهيب لدعاوى عودتها للمنزل وحرمانها من العمل ؟

- هي مسئولة في حالة استجابتها لتلك الدعاوى ، فلا يهمني أن يصرخ أحد في هذا الاتجاه أو ذاك مطالباً بعودتي للمنزل ، طالما أرفض هذه العودة ، وطالما لم يصل هو الى الحكم ليحبرني على ذلك . والمشكلة هنا تكمن في استجابة المرأة لهذه الدعوات ، ومن المؤسف أن يكون لاستجابة النساء جذور اقتصادية هامة تتمثل في أزمة المواصلات وقلة دور الحضنة وارتفاع أسعارها . مما يجعل استجابة المرأة لتترك العمل ممكنة .

وعلى العموم فالضرر الذي يترتب على عودة المرأة العاملة للمنزل هو ضرر محصور في النساء العاملات والفلاحات وصغار الموظفات ، ليس اختياراً أو ترفاً ولكنه احتياج اقتصادي حقيقي . ليس هذا فحسب ، بل إن الظروف الاقتصادية القاسية لترفع الى ساحة العمل بعض نساء الطبقة الوسطى ، ممن لم يكن من المتصور أن يعملن ليضمن دخلاً إضافياً للأسرة .

• وما هو تفسيرك لبروز هذه الظاهرة ؟

- الانبعاث الرجعي لأفكار عودة المرأة للمنزل مرتبط بتصاعد الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، فإذا ما حلت تلك الأزمات اختفت هذه الأفكار . وفي مصر ارتبطت الظروف المناوئة لعمل المرأة باقرار سياسة الانفتاح الاقتصادي التي كان من بين نتائجها إحداث فوارق شاسعة في الدخول بين



التجليات (٣ أجزاء)

من تأليف جمال الغيطاني

بقلم : أبو المعاطي أبو النجا

كثيرة جدا هي القضايا والتساؤلات التي يثيرها كتاب « التجليات »
للروائي جمال الغيطاني !
من أهمها :

إلى أي جنس أدبي ينتمي هذا الكتاب ؟ هل هو سيرة ذاتية ، أم
رواية ، أم هو كتاب فيه من خصائص السيرة الذاتية والرواية في وقت معا ؟
لماذا أثر الكاتب صيغة « التجليات » ، ليكون كل نجل منها بمثابة
الوحدة المعيارية التي يتشكل من تكويناتها المتنوعة بناء هذا الكتاب ؟
أكان هذا الاختيار مجرد جزء من بحث الكاتب الدائب عن أساليب
فنية ، تستلهم تراثنا الروحي والفكري والفني ، وتؤكد على خصوصيتنا
الثقافية ؟

أم أن « التجليات » كانت هي الصيغة الأقرب والأصدق للتجربة
الروحية والفكرية الأساسية لبطل السيرة الذاتية في توقيه الحارق إلى الفكاك
من أسر النسبي والاقتراب من المطلق ! في سفره الدائم من الجزئيات إلى
الكليات ، يطلب « لحظة تبقى ولا تفتى » ومن أعماقه تنطلق تلك
الصرخة : « ما من يقين باق » !

هل كانت « التجليات » هي الصيغة الفريدة من خلال « الأسفار » والمواقف والرؤى والمقامات والأحوال ، ، لجمع شتات ذلك النثر البالغ الدقة والرهافة من تفاصيل الحياة اليومية ، ومن أحداث التاريخ الكبرى ، ومن دفتر أحوال الواقع والخيال ، مثل (ظهور عبدالناصر بعد موته في ميدان الدقي ، ومشاركته مع الأب قبل مئات الأعوام في موقعة كربلاء إلى جوار سيد الشهداء ، ومثل نظرة غروبية في عين الأم ، وتنهيدة خافتة تنفست من صدر أب مثقل بما لا يمكن البوح به) ، بحيث تكتسب هذه التفاصيل من تجمعها في هذه السياقات الجديدة عبر « الأسفار والأحوال والمقامات » دلالات أكثر غنى ، وتخلق تجانسا وجمالا فنيا ، لم تكن تملكه وهي مجرد شذرات في فضاء الذاكرة ، تائهة في أبعاد الزمان والمكان ، يستحيل نظمها في تتابع زمني أو مكاني ؟

هل كانت التجليات هي أداة الكاتب التي لا أداة سواها ، ليتيح لقارئه أن يرى كيف أن معاناة أب بسيط ، قادم من أعماق الصعيد ، في حياته اليومية في مدينة القاهرة في عصرنا هذا ، وتضحياته لينقذ أبناءه من الجحيم الذي يحترق فيه كل يوم ، هي الوجه الآخر المألوف والواقعي والجزئي لمعاناة شخصيات عظيمة مضمخة بعق التاريخ البعيد والقريب ، تحتل مكانة سامقة في سلم البطولة والتضحية ، كشخصية سيد الشهداء الإمام الحسين ؟ فنرى في إطار واحد صورة المثال والواقع كوجهين لعملة واحدة !

هل كانت التجليات ، وهي الطريق الذي اختاره البطل للبحث في نشأته الأولى والثانية ، ليعرف ما لم يكن يعرف ؟ هل كانت هذه المعرفة وسيل تحصيلها ليكتب سيرته الذاتية هي سبيله الذي لا سبيل سواه ، ليعرف طريق السفر من النسبي للمطلق ، من المحدود إلى اللا محدود ، فيقع في المحذور ، ويمتدز دليله في السفر « ابن

عربي » عنقه ، وتنقسم ذاته حين يصطدم بالحدود القصوى لقدرته على أن يعرف ، فيعود جريحا ومشحنا ، لينجح بعد عودته إلى العالم الأرضي في أن يعقد صلحا داخل ذاته بين المحدود واللا محدود ، تسترد ذاته من خلاله وحدتها بقبول التناقض والتعايش معه في نهاية الجزء الثالث من « التجليات » ، ويكون بذلك قد ألغى في عمله بعض الحدود الفاصلة بين السيرة الذاتية التي تركز غالبا على مسيرة حياة إنسان ، وبين الرواية التي تعنى غالبا بما يحدث من تطور أو تغير في حياة إنسان ، عبر بيئة اجتماعية وثقافية في زمان ومكان محددين ؟

وإذا كان « التجلي » هو الوحدة المعيارية في هذا الكتاب ، فكيف صمم الكاتب « تجليات » الجزء الأول والثاني والثالث ، بما يحقق التجانس داخل الجزء الواحد ، ثم التجانس بين كل الأجزاء ؟ وكيف لعب تصميم البناء في هذه الرواية دوره في تحقيق الوظائف الفنية والفكرية للتجليات كما ألمحنا إلى بعضها في هذه المجموعة من التساؤلات التي بدأنا بها هذا المقال ؟

بين السيرة والرواية

إذا كان الكاتب قد آثر أن يخلص من حيرة تصنيف كتابه ، فاكتمى بأن يسميه كتاب « التجليات » ، فقد لا يملك من يكتب عن التجليات مثل هذا الترف ، والأصعب أنه لا يملك بالمقابل تصنيفا سهلا وجاهزا ، فالكتاب فيه من خصائص السيرة الذاتية أهمها ، فيه تلك المتابعة الأمنية من خلال رؤية الراوي لجوانب من حياة بطل السيرة ، تبدأ رحلتها حتى قبل ميلاده ، وتمضي معه إلى ما يبدو أنه يعيشه في الجزء الثالث من مرحلة تصالح مع ذاته ، ولكن إذا كانت حياة الكاتب تمثل المجرى الرئيسي في تلك المسيرة ، وإذا كانت أزمته الروحية التي قادت رحلته من النسبي إلى المطلق ، تمثل القوة

هذا الامتداد طولا وعرضا وعمقا يحسم الموقف لصالح «أن الكتاب رواية»، ولا أظن المسألة يمكن أن تحسم بهذا اليسر (فكما المأخوذ) قد يلاحظ القارئ أن هذه التفجرات في الجهات الأربع الأصلية، وأن هذا البحث المضني وراء شذرات دقيقة، ولحظات شديدة الرهافة، في حياة الأبوين، هو تعبير عن عمق الأزمة الروحية والنفسية لدى بطل السيرة وهو الراوي، فنحن إذن مهما بعدنا عن حياة الراوي، نجد أنفسنا في قلبها وفي تردداتها، ولعلنا لا نذهب بعيدا حين نقول: إن الكتاب يجمع على نحو فريد بين خصائص السيرة الذاتية والرواية!!

التجليات .. لماذا؟

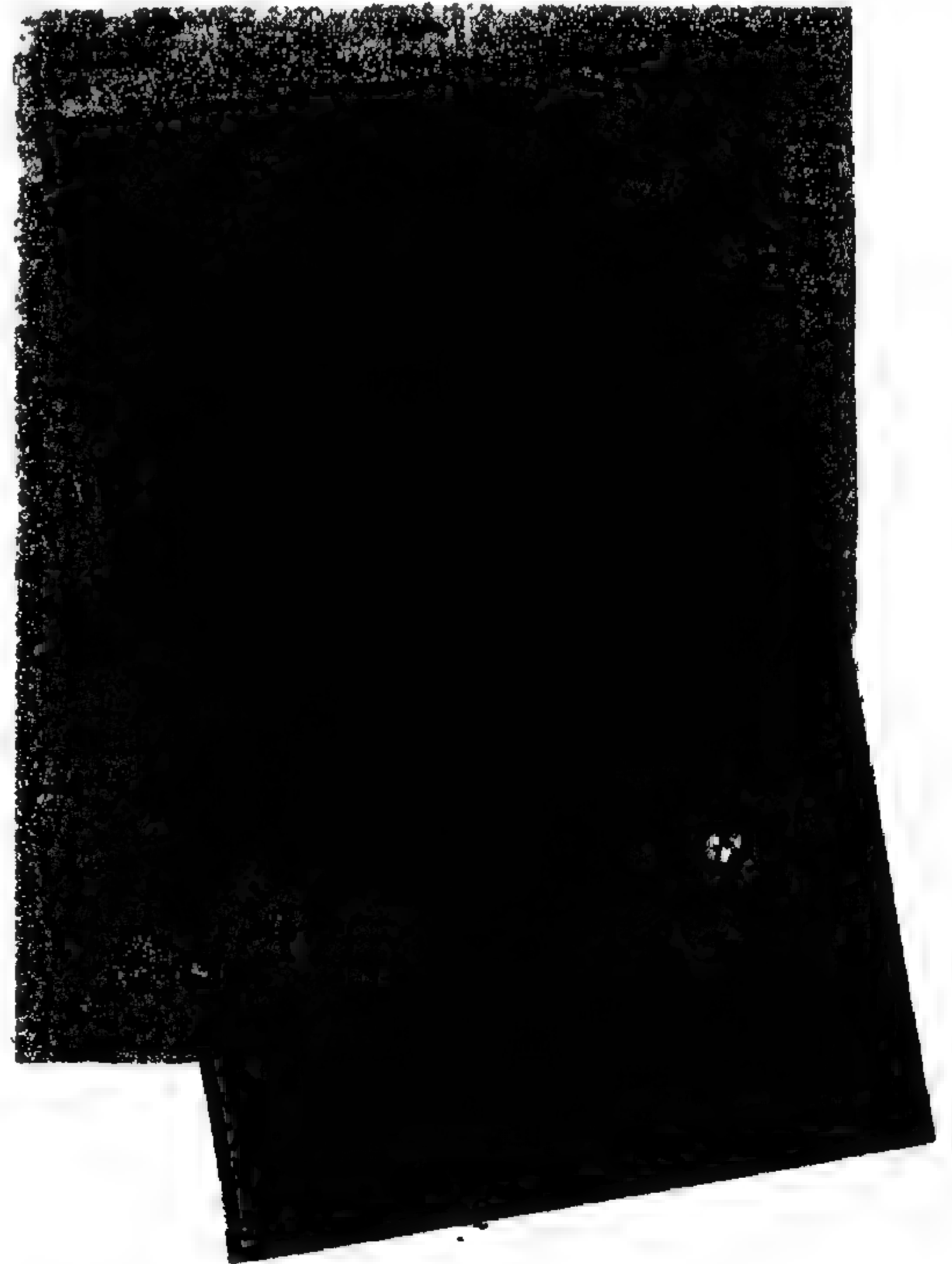
لن ندرك مغزى اختيار الكاتب صيغة «التجليات» لبناء هذا الكتاب، إلا إذا توقفنا لحظات أمام طبيعة الأزمة النفسية والروحية لبطل هذه السيرة الذاتية!

لقد تفجرت هذه الأزمة إثر موت الأب، عاد الراوي من سفر له بالخارج، فعلم أن أباه قد مات أثناء غيابه، وأدرك على نحو مفاجيء أنه لن يراه بعد اليوم، منذ هذه اللحظة تتفجر أزمة الراوي، فهو لن يكون بمقدوره أبدا أن يعيد الزمن إلى الوراء، ليقول لأبيه ما كان ما يريد قوله، ليفعل من أجل أبيه ما كان يجب ويجب أن يفعله، وليرى في عيني أبيه في لحظاته الأخيرة كيف كان يشعر بما بدأ الابن يدركه الآن، إنه خطيئته الكبرى وتقصيره العظيم في حق أبيه!!

يقول له أحد أصدقائه الروحيين «ابن إياس» والراوي في عمق أزمته: «تجل فإن النائم يرى ما لا يراه اليقظان».

وهكذا تصبح «التجليات»، وهي طريقة المتصوفة المسلمين للمعرفة التي تتجاوز قدرة

الدافعة لتيار هذا النهر من المنبع إلى المصب، فإن الحركة الهادرة لهذه الأزمة هي التي أعطت لهذا العمل إيقاع الرواية وشكلها، وهي التي جعلت من بحث الكاتب عن أبيه بحثا عن الجذور مهما أوغلت بعيدا، فالأب الفعلي في الرواية يستدعي ويمتزج بكل الآباء الروحيين للراوي، ابتداء من «سيد الشهداء الإمام الحسين»، إلى «الإمام محيي الدين بن عربي»، إلى «جمال عبدالناصر». والام الفعلية في الرواية تستدعي وتمتزج برئيسة الديوان الطاهرة النقية السيدة زينب، وهذه الأزمة هي التي تجعل نهر حياة الكاتب يبحث عن منابعه وفروعه في السماء والأرض، في الماضي والحاضر والمستقبل، ثم يتفجر شرقا وغربا وشمالا وجنوبا في كل الجهات، فنعيش معه رحلات المنبع ورحلات المصب، وإذا بكل ذلك الذي نعيشه من تفاصيل يدور في فلك هذه الأزمة الروحية، يغذيها ويتغذى بها، هنا نقرب أكثر فأكثر من صيغة الرواية، فتيار النهر لهذه الحياة يجرف في مسيرته التربة الاجتماعية والثقافية والسياسية. وقد يرى البعض أن مثل



الحواس وقدرة العقل البشري المحدود بحدودها ، تصبح هذه التجليات طريقة البطل « الراوي » لمغالبة أزمته النفسية ، لاستعادة الأب الذي يتهدد النسيان البشري ملامحه في ذاكرة الابن ، وربما يتهدد تاريخه أيضا ، ولكننا مع بداية رحلة البحث عن الأب ، نجد أن الأزمة النفسية التي ظهرت في صورة شعور عميق بالذنب ، ورغبة في استعادة وجه الأب الذي يتهدده النسيان ، تكشف عن أبعادها الروحية والوجودية في موقف الإنسان أمام لغز الزمن والتغير...!

في بداية التجليات تقول له رئيسة الديوان الطاهرة :

- ماذا يحرك ؟

- تبدل الأحوال !

- ثم ماذا ؟

- تحيرني الأشياء في تفرقها وتجمعها ، في اختلافها واتفاقها ، الطاعة والعصيان ، الحياة والموت ، الوصول والفوت ، البداية والنهاية ، الظاهر والباطن !.

وهكذا تصبح رحلة البحث عن ملامح الأب التي توشك أن تضيق ، البحث عن جوانب مجهولة أو ظاهرة من حياته ، هي التي تضع أيدينا على سر ذلك الشعور العميق بالذنب الذي تبدأ منه الرحلة ، إن هذه الرحلة تكشف عن عمق المعاناة التي عاشها هذا الأب ، لكي يصل ابنه إلى ما وصل إليه ، وقصة هذه المعاناة كما عاشها الأب ، وكما عاشها الابن في طفولته ، هي التي تقود رحلة البطل خلال تجلياته إلى استدعاء معاناة كل الآباء الروحيين له ، معاناة سيد الشهداء الإمام الحسين في كربلاء ، ومعاناة جمال عبدالناصر بعد أن يتم القبض عليه إثر ظهوره المفاجيء في ميدان الدقي بعد أعوام من وفاته ، ومعاناة رفاق طريقة ابراهيم الرفاعي ومازن أبو غزالة !! ومع سقوط حدود الزمان والمكان ، حيث

تتمزج تفاصيل المعاناة في الماضي البعيد والقريب ، بتفاصيل في الحاضر ، عبر صيغة التجليات ، يكتشف الراوي ونكتشف معه أن المعاناة واحدة ، وأن الشجاعة التي يحتاجها العدل لكي يظهر واحدة ، وأن ثمن العدل فادح في كل العصور ، ويكتشف الراوي ونكتشف معه أن قانون الزمن ، قانون التحول والتغير ، ينال طلاب العدل وصناع الظلم جميعا ، وتصبح الرغبة في إيقاف الزمن ، لتدارك قصور أو تقصير بشري رغبة في أن ندرك لغز التغير في الزمن !

لغز الوجود ، وهكذا تسفر الأزمة النفسية في بداية التجليات عن أزمة روحية ووجودية كبيرة ، وتصبح رحلات « الأسفار والرؤى والمواقف والمقامات والأحوال » هي طريقة الراوي ليكتنه أسرار الطريق ، من الجزئي إلى الكلي ، ومن النسبي إلى المطلق ، يقول الراوي « علي إدراك ما بين الظل والأصل ، التثبت بما يفلت وينأى دائما ، وتعجز القدرة الإنسانية عن إدراكه أو اللحاق به ».

وعبر رحلة التجليات يكتشف الراوي ونكتشف معه أن المطلق يتجلى في الجزئي ، بقدر ما يكون الجزئي طريقنا إلى المطلق . يقول الراوي للدليله (ص ٢٢١ من الجزء الثالث) : « أصلي أدرك جوهر الخفي الذي لا يرى ، من يبدلنا دون أن ندري ، أدرك أصلي (يقصد ذاته في مرحلة من التجليات) أنه محيط بنا ، متغلغل فينا تغلغل طعم الثمرة في الثمرة ، فإذا توجه النظر فإليه فإن تم السمع فمنه ... ».

في (ص ٢٨٢) يقول الدليل للراوي وهو يتركه :

« منذ الآن إنما أنت دليل ذاتك ، فمنذ أن تمت المصالحة مع ذاتك لم يعد بك من حاجة إلى دليل ... ».

وهكذا تصبح عشرات التفاصيل التي تقدم

صور ولحظات وأحداث يختارها من نشأة الأب في قرية « جهينة » في الصعيد ، وكيف سافر إلى القاهرة هرباً بحياته من محاولات عمه أن يقتله بعد أن قتل أمه ليرث قطعة أرض ويضع نخلات كانت لها .

ومن معاناة هذا الأب في مدينة القاهرة وتقلبه - وهو الذي لا يعرف كيف يقرأ عنواناً - بين مهن قاسية ، حمال ، خباز ، سقاء .. الخ . وبين صور ولحظات وأحداث من خروج سيد الشهداء الإمام الحسين من مكة إلى كربلاء تلبية لنداء الحق ونداء أنصاره ثم حصاره فيها من جيش يزيد .

وصور ولحظات مما حدث لعبد الناصر بعد ظهوره في ميدان الدقي ، والقاء القبض عليه ، ومحاكمته ، وصور مما حدث للراوي في عصر عبدالناصر من اعتقال وتحقيق وسجن .. !

إن صيغة التجليات هي وحدها التي كانت تسمح لهذا المزيج الحي من الصور والأحداث أن تتدفق في كل موقف بما يناسب وحدة هذا الموقف ، ففي موقف « الظمأ » نجد الأب الذي كان يعمل سقاء في مدينة القاهرة بملا قربته من نهر بعيد ، ليخترق بها الحصار المضروب حول سيد الشهداء في كربلاء ، ليقدّم للمحاصرين الظمأ جرعة ماء ، إن صيغة التجليات هي وحدها التي تجعل القارئ يشعر بأن معاناة إنسان بسيط في حياته اليومية ، وما يقع عليه من ظلم قد لا نراه من طول ما ألفناه ، هذه المعاناة هي التي كانت تقود رحلة سيد الشهداء إلى كربلاء !

كما أن صيغة التجليات هي التي تجعل الراوي خلال تجليه في هذا الموقف يقول متحدثاً عن الظمأ وهو في رحلة نموه الذاتي من النسبي إلى المطلق :

« إن الظمأ نوعان ، نوع حسي ونوع معنوي ، وإن هذا الأخير غير متناه ، فقد يكون إلى الزمن الذي ليس في المتناول ، أو إلى رائحة

لنا جوانب من مسيرة حياة الراوي بكل أبعادها تجسيدا مستمرا لحيرته الإنسانية مع التحول والتبدل ، وتعبيراً عن مراحل حوار العميق ، وهو النسبي مع المطلق !!

التجليات كتقنية

قد يلاحظ القارئ أن بناء هذه السيرة الروائية يقوم على حبل مجدول من تقاطع مستمر لرحلتين ، رحلة يمكن أن نقول إنها رحلة تاريخية هي الجزء الذي تعرضت له السيرة من حياة الراوي ، والكاتب لا يقدم هذا الجزء وفق تسلسله الزمني أو المكاني ، ولكنه يلتقط من نثار أحداثه ومواقفه وصوره وكلماته ، ما يناسب كل وحدة من وحدات التجليات : الأسفار والمواقف والرؤى والمقامات والحالات ...).

والرحلة الثانية رحلة معرفية - إذا صح التعبير - تعتمد الحدس والواقع والخيال جميعاً ، وهي تنطلق من الجزئي إلى الكلي ، ومن النسبي في اتجاه المطلق ، وتتخذ من نثار الأحداث والمواقف والصور والكلمات والروائح والأصوات كما تجمعت في كل وحدة من وحدات التجليات (الأسفار والمقامات والحالات) .. الخ .

تتخذ منها نقطة انطلاقها من النسبي إلى المطلق ... !

ومن خلال تقاطع الرحلتين يصبح التاريخ أداة للمعرفة ، كما يصبح هذا النوع من المعرفة مضيئاً لتاريخ إنسان وتاريخ مجتمع ، والآن كيف قامت التجليات بدورها ووظائفها من خلال هذا البناء ؟؟

التجليات : وحدات جديدة .. دلالات متجددة :

في الجزء الأول من التجليات ، وعبر مواقف « التأهب » و « الظمأ » و « الحنين » ، و « الندم » ، و « الشدة » .. الخ ، يمزج الكاتب عبر كل تجل من « تجليات » الراوي بين



بك ، وهو الموظف الكبير الذي حنا على والد الراوي ، وأجرى رزقه في وظيفة حكومية أنقذته من قسوة العمل اليومي الذي يجيء يوما ويغيب أياما ، إن علاقة الأب بهذا الموظف تستمر إلى آخر يوم من أيام حياة الأب ، وهي علاقة من نوع فريد ومعقد ، وقد تعدد تجلياتها للراوي في الكثير من المقامات والأحوال ، ولكنها في كل مرة كانت تتجلى من زاوية جديدة ، فتعطي معنى مختلفا عن شخصية الأب أو شخصية الابن أو شخصية خلف بك نفسه أو عن ظروف المجتمع ، ولكنه يتفق مع وحدة المقام أو الرؤيا أو السفر ، وينطبق المنهج نفسه على حادثة القبض على الراوي ، وتحقيق الضابط منير معه ثم سجنه ، يتكرر تجلي هذه الخبرة دون أن تتكرر دلالتها ، فهي في كل مرة تلقي أضواءها على جوانب جديدة ، مرات على جوانب من

عبرت حواسنا في زمن قصي ، وقد يكون الظما لمعرفة الحقيقة ولكنه الغامض ...

كما أن صيغة التجليات هي وحدها التي كانت تسمح للقارئ في موقف « الندم » أن يعيش بعمق ندم الراوي ، لأنه لم يذهب لزيارة أبيه في مقر عمله في آخر مرة كان يمكنه أن يزوره فيها هناك ، حين تمتزج هذه الخبرة بندم أنصار الإمام الحسين بعد تخاذلهم عن نصرته في كربلاء ... تصبح الخبرة الشخصية طريقنا لمعيشة الخبرة العامة بعمق أكثر ، وتتوهج الخبرة العامة بحرارة الشخصي !

وفي موقف « التنقل والترحال » نلتقي بالضابط « منير » الذي كان يحقق مع الراوي في مرحلة من حياته ، وأمان أمه إهانة لم يستطع ردها ولم يستطع نسيانها ، نلتقي به وهو يحقق مع عبدالناصر بعد ظهوره في ميدان الدقي ، ونلتقي به أيضا وهو يمارس دوره الخسيس نفسه في الكوفة ، فينصح بتغيير أمير الكوفة النعمان ، وتولي ابن زياد مكانه ، ثم يسعى لتقديم المزيد من خدماته ليزيد بن معاوية .

إن صيغة التجليات هي التي تجعلنا هنا نرى مع الراوي كيف يولد الخوف في كل العصور ، وكيف يولد الخذلان والتشتت ، وكيف أن للخديعة الملامح نفسها مهما تبدلت أقنعتها في الزمان والمكان ١٩

وهكذا من مثل هذه التجليات تصبح الرحلة من الجزئي إلى الكلي ، ومن النسبي إلى المطلق ، مفتوحة أمام الراوي وأمام القارئ في وقت واحد !!

حادثة واحدة ، وزوايا متعددة

سوف يلاحظ القارئ أن الحادثة الواحدة ، أو الشخصية الواحدة ، قد يتعدد ظهورها في تجليات مختلفة عبر الأسفار أو الرؤى أو المواقف أو المقامات أو الأحوال ، مثل شخصية خلف

ويكون هذا الحدث بمثابة إنذار له بأنه ضل طريقه في بحثه عن المطلق ، إن انفصال رأسه عن جسده كان رمزا لوقوعه في أسر اغتراب الوعي عن الواقع ... !

في الجزء الثاني من التجليات يعيش الراوي من خلال تجلياته تجربة اغترابه عن وطنه ، وعيشه مع زوجته وابنه في المدن الأوربية ، غربة الوعي تمزج بغربة الواقع ، غريب يلتقي بغريب ، فلا عجب حين يرى في علاقته « بلور » في المدينة الأوربية وجه لها حبا لذاته ، فهي مثله غريبة وتبحث عن يشفي جراح غربتها ... !

ولا عجب حين يرى في مقامات هذا الجزء غربة أمه حين تركت قرية « جهينة » لتعيش مع أبيه في غربة لا منجاة لها منها سوى اللوآذ بزوجها وأولادها ، ولكنه من خلال مقامات « الاغتراب » و « القرى » و « العذاب » ، يزداد اقترابا من الواقع ومن المجتمع ، وكأنه يبحث عن الكلي وعن المطلق في الجزئي وفوق أرض الواقع ويصحب دليله الإمام الأكبر ابن عربي هذه المرة

في الجزء الثالث يعود إلى مدينة فاس في المغرب ، وكان قد بدأ منها رحلة تجلياته ، ويكون دليله في هذه المرة « جمال عبدالناصر » ، بما يعنيه ذلك من اقتراب إلى الوطن وإلى أرض الواقع ، وكان على كل منا أن يبحث عن المطلق فيما حوله وفيمن حوله ، إنه يرى في تجلياته هذه المرة أمه في مرحلة أخرى من حياته ، في مرحلة كانت هي فيها قد بدأت تعالج جروح غربتها ، وتتلاءم مع واقعها في مدينة القاهرة ، وفي هذا الجزء تتجلى له الجهات الأربع من حول السطح الذي كان يعيش في حجرة منه مع أبيه وأمه ، تقترب التجليات هنا من قلب المجتمع ، تبحث عن المطلق في النسبي ، وتلتزم ذات الراوي ، ويودعه دليله قائلا : « من الآن أنت دليل ذاتك ، لم تعد بك من حاجة إلى دليل ... » □

شخصية الراوي ، ومرة على الأم ، وعلى الأب ، وعلى المجتمع ، فحين يذهب الأب لطلب مساعدة من شخصية كبيرة كان ابنه على صلة بها ليعمل على إخراجه من السجن ، يجد أن الشخصية الكبيرة نفسها قد تم القبض عليها في الوقت نفسه !

إن اختلاف زاوية النظر للحادثة الواحدة هو ما يبرر تكرارها في تجليات مختلفة ، وهو في الوقت نفسه تأكيد لأهمية وحدة الرؤية في المقامات أو الأحوال ، حيث تصبح هذه الوحدة هي طريق الراوي والقارئ للانتقال من الجزئي إلى الكلي ومن النسبي إلى المطلق .

من النسبي إلى المطلق وبالعكس

قد يكون من المناسب أن نكتفي بالإشارات السابقة للتعرف على الطريقة التي قدم بها الكاتب الرحلة التاريخية للراوي من خلال التجليات ، ولعله قد حان الوقت لنقترب من طريقته في تقديم لمحات عن الرحلة المعرفية من الجزئي إلى الكلي أو من النسبي إلى المطلق من خلال التجليات كذلك ، وفي الواقع أن منحى هذه الرحلة المعرفية وإيقاعاتها هي التي تشكل الرابطة الحيوية بين الأجزاء الثلاثة للتجليات ... !

في الجزء الأول الذي يكون سيد الشهداء الإمام الحسين فيه هو دليل الراوي في تجلياته ، يصل الراوي إلى أقصى ما يمكن أن تصل إليه قدرته في طريق البحث عن المطلق ، يكاد يتلمس معاني وحدة الوجود ووحدة الكائنات في تجلي « السفر إلى البدايات والنهايات » . « في منازل الرؤى ومنازل الأصوات » ويصطدم بسقف القدرة الإنسانية في موقف الندم فيعاقبه الإمام الأكبر ابن عربي بجز عنقه على إصراره على أن يعيد الزمن إلى الوراء

أفكار القرون

(في فكرنا العربي قضايا وموضوعات تعيش بعد أصحابها ، من هذه القضايا والأفكار تختار العربي في كل عدد موضوعاً يصل بين الماضي والحاضر ، وبين الأمس والغد) .

هل الشقاق طبع في العرب ؟*

بقلم : ساطع الحصري ١٨٨٠ - ١٩٦٨

■ إننا نتفعل ، ونتألم ، ونغضب ، عندما نقرأ أخبار الاختلافات التي حدثت في تاريخ العرب ، ولا سيما عندما نتتبع نتائج هذه الاختلافات ، ونطلع على كيفية تضلُّول سلطة الخلافة ، وتشتها بين سلطات السلاطين وملوك الطوائف العديدين .

إننا نتفعل ونتألم من هذه الأخبار والحوادث التاريخية ، لأننا نقيس أحوال القرون الماضية بمقاييس الأزمنة الحاضرة ، ولا نكلف أنفسنا عناء البحث في التاريخ العام بحثاً شاملاً ، لكي نعرف ما إذا كانت تلك الأحوال من الأمور التي تشذ فيها الأمة العربية عن سائر الأمم ، أو كانت من الأمور الطبيعية التي تتساوى فيها جميع الأمم في بعض الأطوار من تاريخها .

فلنبداً أولاً بقضية الاختلافات الدينية . ولنتعرض ما حدث منها في أوروبا طوال القرون الوسطى وخلال النصف الأول من القرون الأخيرة . نجد أنها لم تكن قط أقل تنوعاً ولا أخف عمقاً مما حدث في الوطن العربي خلال الأزمنة المذكورة ، إن لم تكن أكثر تنوعاً وأشدَّ عمقاً منها .

أحصوا المذاهب المختلفة التي نشأت في الغرب منذ ظهور المسيحية في مختلف البلاد الأوروبية خلال القرون المذكورة ، استعرضوا الخلافات الدينية والمذهبية التي حدثت بين الدول وبين الكنائس من جهة ، وبين الكنائس المختلفة من جهة أخرى ، استقصوا أخبار الحروب الأهلية والدولية التي نجمت عن هذه الاختلافات الدينية في مختلف أقسام البلاد الأوروبية ، حتى في فرنسا التي تظهر الآن أكثر تباعداً عن الاهتمام بالأمور الدينية من جميع بلاد العالم ، قلبوا صحائف التاريخ التي سجلت أعمال محاكم التفتيش من جهة ، وحياة مؤسسي المذاهب الدينية من جهة أخرى ، فإنكم تضطرون إلى التسليم بأن الاختلافات الدينية التي حدثت في البلاد الأوروبية كانت - بوجه عام - أوسع نطاقاً ، وأكثر تنوعاً ، وأشدَّ عمقاً من التي حدثت في الوطن العربي .

أما الاختلافات السياسية ، فأمرها يحتاج إلى بحث أشمل ، وتفكير أعمق : فيجب علينا أن نلاحظ قبل كل شيء : أن العرب انتشروا - بعد الهجرة النبوية - بسرعة خارقة ، في بقاع واسعة جداً من القارات الثلاث المعلومة قديماً ، ففتحوا خلال قرن واحد ، بلاداً أوسع بكثير مما فتحه الرومان خلال ثمانية قرون .

* من رده على سؤال للاستاذ الكبير أحمد حسن الزيات ، نشر في مجلة الرسالة سنة ١٩٤٩ .

تصوروا الاتساع الهائل الذي وصلت إليه الدولة العربية في أوائل القرن الثامن للميلاد . تتبعوا حدود تلك الامبراطورية التي كانت تمتد من سواحل بحر المحيط الأطلسي إلى شواطئ نهر السند وسهول كشمير ، ومن سفوح همالايا إلى جبال البرنس والألب ، ومن باب المندب إلى جبال القافقاس ، وتذكروا في الوقت نفسه بساطة وسائل المناقلة والمواصلات ووسائل الحروب والسيطرة التي كانت معلومة ومستعملة في تلك العصور .

وقولوا لي : أية سلطنة من السلطنات التي يذكرها التاريخ القديم والوسيط استطاعت أن تسيطر على مثل هذه البقاع المترامية الأطراف ، مدة أطول من التي سيطر عليها العرب ، دون أن تتعرض إلى اختلافات وانقسامات ؟

وإذا انتقلنا إلى الدول المعاصرة لنا ، وتبعنا أحوالها الماضية - طوال القرون الوسطى وخلال النصف الأول من القرون الأخيرة - وصلنا إلى نتائج مماثلة لما ذكرناه آنفاً .

ولنأخذ فرنسا مثلاً ، فقد كان من المعلوم أنها أسبق الدول الأوربية إلى الوحدة السياسية الكاملة ، والتماسك القومي المتين ، ولكننا إذا استعرضنا أحوالها خلال القرون التي ذكرناها آنفاً وجدناها بعيدة عن الوحدة كل البعد ، ومسرحة لشقى أنواع الخلافات والحروب .

وألمانيا كانت منقسمة إلى أكثر من ثلاثمائة دولة ودويلة حتى أوائل القرن الماضي ، وكانت لا تزال منقسمة إلى تسع وثلاثين دولة قبل ثمانين عاماً فقط ! إن اتحاد هذه الدول لم يتم إلا بعد جهود كبيرة وتضحيات عظيمة ، وهذه الجهود قد اجتازت مرات عديدة أطوار فشل أليمة .

إننا ننظر إلى تواريخ الأمم الأخرى عن بعد ، نظرة إجمالية ، فنذكر خطوطها الأساسية العامة ، دون أن نتعمق في تفاصيلها الفرعية . ولكننا ننظر إلى تاريخ العرب من قرب ، نظرة تفصيلية ، فنطلع على كثير من تفاصيله ، دون أن نحيط علماً بخطوطه الأساسية .

إن تواريخ الدول الأوربية تبدو لنا جبلاً مرتفعة شامخة ، لأننا ننظر إليها بنظر المؤلفين الأوربيين ، ومن الخارج ومن البعد . فإذا توغلنا فيها ، نرى عندئذ أنها مؤلفة من وهاد ووديان على الرغم من منظرها الخارجي العام .

وأما تواريخ الأقطار العربية ، فتبدو لنا مجموعة مرتفعات ومنخفضات مشوشة ومعقدة ، لأننا ننظر إليها بنظر الاخباريين القدماء ، ومن داخلها . فلنغير موقفنا منها ، ولننظر إليها من بعد - نظرة تسمو على التفرعات - نرى عندئذ أنها أيضاً مرتفعة شامخة ، على الرغم مما فيها من وهاد ووديان .

ونرجع إلى السؤال الأصلي : هل الشقاق طبع في العرب ؟

هذا ما حدث ، وما يحدث ، وما سيحدث في كل من الأمم ، وفي جميع أدوار التاريخ . لا ريب في أن حالتنا الحاضرة سيئة للغاية ، والنكبات التي منينا بها أخيراً كانت في منتهى الفظاظة ، كما أن الاخطار التي تهدد مستقبلنا عظيمة جداً .

غير أنه يجب علينا أن نعلم العلم اليقين أن أسباب ذلك لا تعود إلى طبائع أمتنا ، ولا إلى ماضينا البعيد ، بل إنما تعود إلى أخطائنا نحن ، وإلى أحوال ماضينا القريب . إننا لن أحاول في هذا المقام أن أحلل وأسرد الأسباب التي أدت إلى نكباتنا الأخيرة واستوجبت فشلنا الأليم ، ولن أبحث عن الأشخاص الذين يجب أن يعتبروا مسؤولين عن هذا الفشل وتلك النكبات . ومع هذا سأقول بلا تردد : إن أهم الأسباب - في نظري - هو بقاؤنا بعيدين عن تفهم وتمثل روح العصر الذي نعيش فيه ، وتقصيرنا في التسليح بسلح العلم الحقيقي .

غير أنني أرى أن هناك سبباً آخر ربما كان أبعد أثراً وأشد خطراً من كل ذلك . هو ضعف إيماننا بقضايانا القومية ، وعدم إقدامنا على معالجة تلك القضايا بعزم وحزم .

إن الأمم الحية الوثابة تتمتع بالنكبات ، فتندفع إلى العمل وتواصل الكفاح بحرارة أشد وعزم أمتن ، كما أنها تغضب من الفشل وتستفيد من دروسه ، فتعيد الكرة لتضمن النجاح ولو بعد حين . □

قصة قصيرة

السائق الاحتياطي

بقلم : الدكتور محمد المخرنجي

أكون في « هلوسة » ، أن يكون ما أراه مجرد تجسيد بصري خادع لهواجسي ، ولما انجابت لحظة المفاجأة ولحظة الشك ، وتبينت الفكاهة الجنونية في ما يحدث أمامي ، انفجرت ضاحكا . قهقهت كما لم أقهقه أبدا ، وأنا أضرب جبهتي براحتي ضاحكا من نفسي أيضا . وكانت قهقهتي هذه هي التي قادتني إلى الرجل أو قادته إلي . دعاني بإشارة أمرة مرحة إلى الجلوس في المكان الخالي بجواره ، ولم يكن هناك بد من طاعته ، على الرغم من إدراكي الأخذ في الاستئذان والتحدد بأنه ليس إلا مجنونا هاربا أو خارجا من مصحة للأمراض العقلية ، يمارس جنونه في انطلاق وإن كان ذلك بهدوء شديد ورقة يوشكان أن يكونا لطفًا بالغا وأناقة الكترونية . فقد كان يلعب دور السائق من خلف ظهر السائق الحقيقي ، وبعجلة قيادة يعلم الله من أين جلبها ، يحملها مرتكزة على إحدى ركبتيه ، وتكاد تبدو - لمن لا يتمعن فيها - كأنها عجلة قيادة مكررة داخل الحافلة ، تدور بنفس القدر ، وفي الوقت نفسه الذي تدور فيه عجلة القيادة الحقيقية .

وكان يعلق بجيب قميصه (ميكروفونا) صغيرا ، ينتزعه عند الوقفات (ليذيع) أسماء محطات الوصول عند فتح الأبواب ، وأسماء

وقع عليه بصري فور صعودي إلى الحافلة  الكبيرة رقم ٢٦ ، فاندهمت . تصورته إنسانا آليا « روبوتا » وضعوه في المقعد خلف السائق ، وراء عجلة قيادة ثانية ، ليقوم بدور سائق احتياطي إذا لزم الأمر ، إذا أصابت السائق الحقيقي - على سبيل المثال - سكتة قلبية أو دماغية مفاجئة ، أو اختلت ردود الأفعال البشرية لدى السائق البشري ، نتيجة سهو أو توتر . تصورت ذلك ، وغذى تصوري سابق انشغالي بغرابة ما أقرؤه عن الحاسوبات من الأجيال القادمة ، تلك العقول الالكترونية القادرة على التصرف الذاتي الحر ، وعلى الابتكار ، وعززت هيشه الفريدة تصوري ذلك ، فقد كان رشيقا كتمائيل عرض الملابس في الواجهات الزجاجية ، وعيناه الملونتان صافيتان صفاء يوشك أن يكون زجاجيا خلف زجاج نظارته الطبية الصقيلة ، بينما ملابسه شبه الرسمية منشأة ومكوية بعناية ، والقبعة جديدة تماما فوق رأسه المنتصب . جلسته مشدودة ، وشاربه دقيق أصفر كأنه مرسوم ، وابتسامته خفيفة ثابتة ، وأصابعه طويلة نحيفة بيضاء طولها ملفت للنظر ، وكذلك نحافتها ، وبياضها . وقد تسمرت أمامه دقيقتين أو أكثر دون حراك ، ثم مرت بي لحظة من شك ، خفت خلالها أن

المحطات المنتظرة بعيد إغلاقها ، ويفعل ذلك بدقة لا متناهية ، وتزامن مذهل ، حتى انه لا يدع أي مجال للشك لدى الناظر في أن الصوت الذي تذيعه سماعات الحافلة الداخلية ليس إلا صوته . ثم التفت نحوي مفاجئا ليأني بسرعة إدراكه لكوني أجنبيا : « مرحبا بك في مدينتنا كيف » ، وأردف يسألني بصوته الأخرن الهاديء : « من أي البلاد ضيفنا العزيز ؟ » .

كدت أعود إلى القهقهة عندما التقط « ميكروفونه » الصغير وراح (يذيع) : « حضرات الركاب المحترمين ، معنا ضيف عربي عزيز من مصر ، مصر بلد الأهرام وأبي الهول والتماسيح والبرتقال والشمس . باسمكم وباسم إدارة الحافلات الكبيرة في مدينة كيف أرحب به » . كبحت جماح رغبتني في الضحك ، وكان صوته لا يتعدى حدود سمعه وسمعي وسمع أقرب الركاب إلينا ، إذ كان « ميكروفونه » ذا سلك مقطوع لا يتصل بأي شيء ، ولم يكن من النوع اللاسلكي على أي حال . لم أضحك مخافة إخراجهم عن هدوئهم ، ثم إني بدأت أدرك توتر كوي الشخص الوحيد الذي وقع في مصيدته ، وقد صرت بذلك موضع نظرات كل الركاب الآخرين ، وبطرات الدائق الذي كان يتابع الموقف عبر مرآته هدهده ، قد يكون مبعثه وجود هذا الحاجز الزجاجي السميكة وراء ظهره ، إضافة إلى السياج المعدني المحيط بمكانه . بعد ذلك وجدت نفسي أضيف إلى مصيدتي مأزقا أوقعت نفسي فيه دون انتباه ، أوقعت نفسي فيه وأنا أحاول تخفيف توتري بالمزاح ، فعندما سألتني : « أي الأماكن يحب ضيفنا العزيز أن نمر بها في حولتنا ؟ » قلت : « السيرك » .

لقد كان خط الحافلة الكبيرة رقم ٢٦ يمر شارع شيرباكوف ، ولا ينعطف أبدا إلى طريق « بابيدا » ، حيث يوجد السيرك ، فمحطته الأخيرة تنتهي قبيل ناصية « بابيدا » ، حيث يدور

ويرجع أدراجهم عائدا إلى « شيرباكوفنا » ، ومع ذلك أوما لي سائقي المضيف موافقا بهدوء الواصلين . وأخبرني أنه لأجل خاطري وخاطر « مصر » بلد الأهرام وأبي الهول والتماسيح والبرتقال والشمس ، سيحول مسار الحافلة إلى طريق « بابيدا » ، لكن « بعد إيصال دفعة الركاب الموجودين معنا إلى أهدافهم حتى المحطة الأخيرة ، تبعا لما تقتضيه تذاكرهم ، وحققهم الذي يحميه القانون » .

وانسحب كل ما كان لدي من رغبة في الضحك ، وأخذتني هواجس الاحتمالات الخطرة التي ستترتب على إحباط رغبته في (إكرامي) ، وما قد يبدو له بأنه إهانة شديدة وإهدار لثقتة بنفسه .

وصلت الحافلة إلى محطتها الأخيرة ، ونزل كل الركاب مشيعين (مضيفي) وليأني بنظرات ممسكة للضحك ، وعندما هممت بالنهوض في محاولة للنزول أعادتني إلى مكاني غمزة من يده لركبتي ، وكان السائق أمامنا يلتفت ويرى ويسمع مبتسما ، بينما صاحبي (يذيع) عبر « ميكروفونه » المنقطع النظير : « الحافلة ستوجه إلى طريق « بابيدا » ، وعلى حضرات الركاب المتجهين ناحية « شيرباكوف » أخذ الحافلة التالية المتوقع وصولها بعد دقيقتين من الآن » . وجعل يكرر تنبيهه هذا ، لكن صوته كان يضيع في جلبة صعود الركاب الجدد ، وبين ديب أقدامهم المتسارعة نحو المقاعد الخالية . ولذهولي بعدما أغلقت الأبواب لاحظت الارتجاجة التي شملت جسم الحافلة كله ، وسمعت زجرة (الكابح) غير المألوفة في وقت يتعين عنده الانطلاق .

أخذ الأمر يتكرر ، ويتصاعد معه استهجان الركاب الجدد ، إذ تبدو الحافلة كأنها تنطلق ، لكنها سرعان ما تتوقف مرتجة ، وتسمع زجرة الكابح ، فهل يعقل أن السائق كان يعمل باتجاهين متضادين ، المضي قدما وإعاقه هذا المضي في اللحظة نفسها ؟ لم يكن ذلك منطقيا ،





مستند في العربية

قضية

هندسة الشخصية الإنسانية أوتقنية السلوك البشري

بقلم : اسماعيل الملحم*

مع تعقد حركة المجتمعات وتطورها ، بدأت ظاهرة استخدام العلوم للتنبؤ بالسلوك الجماعي للبشر ، ومحاولات التحكم فيه ، وضبط ردود أفعال الأفراد . وأصبحت هناك مؤسسات علمية كاملة تدرس وتبحث وتقترح ، كيف يصبح المواطنون وديعين مسالين هادئين ، لا يثيرون اعتراضا ، ولا يبدون تدمرا ، وقد دخل السلوك البشري إلى المختبر وأصبح الصراع مع كيفية التحكم فيه إلى آخر مدى ممكن .

هندستها وفق نماذج محددة سلفا . وأخذت مثل هذه الاتجاهات تقلق علماء الأخلاق الذين يخشون من المخاطر التي قد تنجم عن التدخل في سلوك الكائن البشري ، وعمليات تشكيل سلوكه . فبالإضافة إلى المخاطر التي يحذر منها المشتغلون والمهتمون بقضايا الإنسان والمجتمع جرّاء تقدم التقنية وطفائها ، فإن الخوف يستبد

■ التقدم الذي أحرزته العلوم الإنسانية عامة ، وعلم النفس خاصة ، أخذ يطرح على الإنسانية مشروعات تقنية جديدة ، تتصل بسلوك الفرد البشري أو الجماعة البشرية بصورة مباشرة .

وبات من المألوف أن نقرأ أو نسمع عن طريقة أو طرائق في تكوين الشخصية الإنسانية ، أو

* كاتب وباحث تربوي من القطر العربي السوري

بهم من التدخلات المباشرة في سلوك الانسان ، وخاصة بعد تقدم ماصار يعرف في الدراسات النفسية بعلم « التعلّم » ، وما أنتجه هذا العلم من نظريات ، أخذت طريقها للتطبيق في المجال التربوي ، ومجال الإعلام ، ووسائل الاتصال المختلفة الأخرى .

تدخل للسيطرة

وتشتد هذه المخاوف وتتعاظم صيحات التنبيه والإنذار ، نتيجة تبني بعض الدول والمؤسسات في مشاريعها الرسمية لهذه المقاربات ، لتنفيذ سياساتها ، وتحقيق أهدافها في برجة السلوك البشري ، بحيث يصبح أداة من الأدوات التي تسمح لها بإحكام سيطرتها وهيمنتها ، وزيادة استغلالها لمقدرات الأفراد والشعوب من جهة ، وإحكام سيطرتها ونفوذها بحيث تسلس لها القيادة ، ولا تجد الأصوات الأخرى لها أنصارا في كبح سلطتها ، أو التقليل من سطوتها من جهة أخرى .

هذا مع العلم ، أن محاولات التأثير على سلوك الناس ، وهندسة تحركاتهم وتفاعلاتهم قديمة قدم الاستغلال وشهوة التسلط وممارسة القهر على الآخرين في هذا الكون ، فحيث تطمع السلطة إلى استمرار منهجها وزيادة سيطرتها تحاول أن تبتكر الوسائل والأساليب التي في ظنها تساهم في جعل أفراد المجتمع الواحد نسخا متشابهة للنموذج محدد تريده . هذا ما كان يتمناه (نابليون بونابرت) من النظام التربوي الفرنسي في أيامه ، وما كانت تطمح إليه التربية الإمبراطورية في العصور القديمة ، وما عملت جاهدة على تحقيقه الأنظمة الفاشية والنازية في العصر الحديث .

ولكن هذه الاتجاهات باتت أخطر في العصر الحاضر ، لما أضحت البشرية تمتلك من وسائل تقنية متقدمة ، وتطور علمي مذهل . إذ أن دعوات تشكيل السلوك وهندسة الشخصية

الإنسانية ، أخذت تجد لها مقدمات تشجعها على تحقيق دعاويها في المقاربات العلمية التي توصلت إليها العلوم الإنسانية المختلفة . ويقف دعاة المدرسة السلوكية في علم النفس في المقدمة في هذا المجال ، لشدة تفلؤهم في الدور الذي تلعبه عناصر البيئة المادية والاجتماعية في تكوين الشخصية ، ونفيهم إلى حد بعيد لدور العوامل الوراثية . فما تزال الكتب المدرسية تردد مقولة (واطسن ، عالم النفس الأمريكي الشهير) في كتابه (السلوكية) ، الصادر عام ١٩٣٠ التي قال فيها :

« لو وضع تحت تصرفي اثنا عشر وليدا يتمتعون بصحة جيدة وبنية سليمة ، وطلب مني أن أعلمهم بالطريقة التي أعتقد أنها المثل للتعلّم ، فلنأقادر بطريقي هذه ، بحيث يصبح أي من هؤلاء الأطفال مختصا في المجال الذي أختاره له . كأن يكون طبيبا أو محاميا أو فنانا أو ... ، بغض النظر عن مواهبه ، أو ميوله ، أو قدراته ، أو مهنة أبيه ، أو أي من أسلافه ، أو الجنس الذي ينتمي إليه » .

ويعتقد واطسن ومن أتى بعده من مدرسته ، أو ممن تأثروا بها بأن السلوك الإنساني ما هو إلا ردود أفعال ، أو استجابات لمنبهات أو مثيرات البيئة ، التي لا يقتصر تأثيرها على الدفع فقط ، وإنما هي تختار وتصطفي ، ودورها الاصطفائي هذا ذو أثر فعال في تشكيل سلوك الفرد وحفظه . فالرغبة في تغيير سلوك شخص ما ، أو تعديله ، لا تحتاج سوى تغيير ظروفه البيئية . ويكون هذا الأمر ميسورا كلما ملكنا فهم العلاقة بين السلوك والبيئة بشكل أفضل .

دور البيئة في تحديد السلوك

فالإنسان-كما يقول (جيلبرت سلدز)-ابن الظروف : « فلو غيرنا بيئات ثلاثين طفلا من أبناء قبيلة (الهوتوتوت) - وهم شعب يعيش في

جنوب افريقيا - وثلاثين طفلا من أبناء
ارستقراطي انكلترا ، فسيصبح الارستقراطيون
(هوتنتوت) من كل النواحي العملية ، كما
سيصير هوتنتوت محافظين صغارا .

ومع تقدم الأبحاث السلوكية ، أخذ يتردد
كثيرا الحديث عن تقنية سلوكية . ويعد
(ف . ب . سكر) رائد هذه التسمية ، كما أن
أصحاب نظريات أخرى في التعلم من أمثال
(أ . ر. جثري) و (ي . ل . ثورندايك) من
خبرائها . ففي مقدمة كتابه (ما وراء الحرية
والكرامة) ، يقول (سكر) :

« ما نحتاجه تقنية للسلوك ، إذ لا يكفي أن
ندعو إلى استخدام التقنية مع تفهم أعمق
للقضايا الإنسانية . فتقنية الفيزياء وعلم الحياة لا
صلة لها بقضايا إنسانية ، مثل انهيار النظم
التعليمية ، أو سحق الجيل الصاعد ، وما شابه
ذلك . »

ولم يبخل (سكر) ، المرة تلو المرة - عبر
تجاربه المستمرة - في تقديم الأسس التي يقوم
عليها ضبط السلوك وتشكيله ، مشيرا إلى أهمية
ذلك في قدرتنا على حل مشكلاتنا كافة ، راسما
بذلك الطريق التي يرى أنها الأصلح للتحكم
بالسلوك البشري الذي لا تقتصر آثاره على
الإنسان كفرد فحسب ، وإنما على الجماعات
البشرية أيضا . واضعا نصب عينيه قيام تقنية
للسلوك الإنساني تحكم كل تطورات الحياة
بجميع جوانبها . وفي تمهيد لأهداف هذه
التقنية يقول :

« إذا ما استطعنا ضبط نحو سكان العالم بالدقة
نفسها التي نضبط بها مسار سفينة الفضاء ، أو
تحسين الزراعة ، فإنه سيصبح ممكنا حل
مشكلاتنا بسرعة . » وإن قيام علم النفس يقتصر
على دراسة السلوك الخارجي للكائن الحي -
كما يقول واطسن - ذلك السلوك الذي يمكن
إخضاعه للملاحظة والملاحظة والقياس وذلك
كفيل به ليكون علما موضوعيا محمدا .

أما السلوك الذي هو موضوع هذا العلم ،
فينظر إليه على أنه نوع من المخرجات التي يستتر
خلفها العديد من العوامل ، ومن بينها العامل
الاجتماعي دائما .

ويتحدد السلوك بالعامل الاجتماعي ، إذ
يقوم الوسط الاجتماعي باستمرار ، بنوع من
التحكم في استجابات (ردود أفعال) الفرد إزاء
المنبهات الخارجية المختلفة .

وما على علم السلوك - في هذا المجال - إلا أن
يأخذ بالمسار الذي انتهجته العلوم الطبيعية ،
بحيث يلتفت مباشرة إلى العلاقة ما بين السلوك
والبيئة ، دون إضاعة للجهد والزمن ، في البحث
عن الحالات الذهنية الوسيطة ، أو السابقة
للسلوك أو المرافقة له ، لأن هذه الحالات
لا تتعدى كونها حالات مزعومة .

فكل مناحي السلوك ، وفقا لذلك ، يجري
تفسيرها من خلال العلاقة المعروفة (مشير
واستجابة) دون النظر إلى الحالات الوسيطة
بينها . وعلى هذا الأساس ، يرى السلوكيون ،
أن النبوغ - مثلا - ما هو إلا نتاج بيئة اجتماعية
سابقة . حتى أولئك الذين يبرزون باعتبارهم
ثوريين ، هم كلهم تقريبا نتاج تقليدي للنظم
التي يطيحون بها . فهم - مثلا - يتكلمون
اللغة ، ويستخدمون المنطق والعلم ، ويتقيدون
بكثير من المبادئ القانونية والأخلاقية ،
ويستخدمون المهارات العملية والمعرفة التي
أعطاهما لهم المجتمع . حتى أن ما يبدو في
سلوكهم أنه استثنائي، مهما كان مشيرا في ذلك ،
علينا أن نبجث عن أسبابه في تاريخهم المزاجي
الغريب الخاص ، أما أن تعزى إسهاماتهم
المبدعة فقط إلى شخصياتهم التي تصنع
المعجزات ، باعتبارهم رجالا مستغلين ، فهذا
بالطبع ليس تفسيرا صحيحا على الإطلاق . بكل
هذا الموضوع يفسر (سكر) السلوك
الابداعي .

فمع وصف الظاهرة والتشديد على الرغبة في

● تنمية الشخصية الإنسانية

ونتيجة تغير في المناخ ، أو حينما تستهلك الموارد الطبيعية ، أو تتحول إلى استعمالات أخرى ، أو عندما تصبح غير قابلة للاستعمال .

وتتغير البيئة الاجتماعية وذلك بتغير حجم الجماعة ، أو باتصالها بجماعات أخرى ، أو بانقطاعها عن جماعة كانت على علاقة معها ، أو عندما تصاب المؤسسات للتحكم بالقوة أو بالضعف .

ولكن السلوك لا يتشكل نتيجة علاقة المثير بالاستجابة ، بل من خلال عمليات التدعيم أو التعزيز . أي ما يعقب الاستجابة (أو الأداء) ، مما يؤدي إلى زيادة احتمال صدور الاستجابة أو نقصانه . إذ أن الأحداث المجزية بعد الاستجابة تؤدي إذا أحكم تربيها إلى زيادة احتمال صدور الاستجابة . وهو ما يسمى (التدعيم أو التعزيز) ، وللتدعيم الذي يلعب دوراً رئيساً في تشكيل السلوك: قوانينه التي تتحكم بالسلوك ، وتضبطه ، وذلك من خلال قانون (اقتران زمني بين الاستجابة والتدعيم) . ولذلك شروط محدودة ، منها أن يحصل التدعيم في دائرة انتباه الفرد ، وأن يكون هذا الأخير في حاجة إليه . فالسيطرة السلوكية تتم بواسطة الكبح المفروض بظروف التدعيم والتقوية ، أو بواسطة العقاب الذي يحث على الاقلاع عن سلوك ما ، ويتخذ العقاب شكل اللوم أو التوبيخ . ولكن لذلك حدوداً لأن السلوك المعاقب قد يتكرر عندما تزول الطوارئ العقابية ، مع الإشارة إلى أن التدعيم السلي الذي يأخذ شكل العقاب ، قد ينجح في جعل المتعلم يقطع عن سلوك ما ، ولكنه قد يدفعه إلى سلوك ذي طابع عدواني أو عصبي تدميري .

وقد أرجع (جون لوك) منذ أكثر من قرنين كراهية الكتب والمطالعة عند بعض الناس إلى تلك العقوبات التي كانوا يتعرضون لها . فالكتب التي كانوا يخطئون في قراءتها هي سبب الضرب ، فعزفوا عن حبها ، وعمموا ذلك على سائر

ذلك ، فإن السلوكيين يتخلون من ذلك خطوة للنتبؤ بالسلوك ، ليس هذا فحسب ، وإنما يبحثون عن إمكانية ضبط السلوك وإخضاعه لعملية التحكم .

التحكم في سلوك شخص ما أو ضبطه مرتبط بتغير الظروف . وهذا يتطلب فهماً دقيقاً للعلاقة بين السلوك - موضوع البحث - وبين البيئة . على هذا الأساس يؤكد (سكر) ، أن التعلم وزيادة الطاقة على العمل والانتاج لا يكونان بتفخ روح الافتخار والكرامة ، وإنما باكتشاف الخطأ في ظروف التعلم أو التدريب . وهذا يعني أيضاً معرفة بالبيئة وقوانينها كمقدمة ضرورية لأي فعل يهدف إلى ضبط السلوك والتحكم به ، فالتغيرات في المثيرات يترتب عليها تغيرات في الاستجابة .

دور الثقافة كنتاج اجتماعي

والثقافة بحكم أنها تتضمن طرائق العيش في مجتمع ما ، وتنشئة الأطفال ، وأساليب جمع الطعام ونتاج ما يتعلق به عن طريق الزراعة والصناعة ، ونوع المساكن ، واللباس ، والألعاب ، وكيفية التعامل بين أفراد المجتمع ، وأساليب حكمهم ، وإنما تفسر بتأمل الظروف التي أنتجتها بحيث شكلت عادات أو أنماطاً سلوكية لها خصوصياتها وثباتها النسبي .

ويسمى السلوكيون الأنماط السلوكية ، والظروف والطوارئ الاجتماعية التي تولد فيها (أفكار الثقافة) . أما التدعيمات - التعزيزات - التي تظهر فيها هذه الطوارئ والظروف ، فتسمى (قيم الثقافة) . وعلاقة الثقافة مع البيئة علاقة تكيفية ، فهي تخضع باستمرار لعملية اصطفاء . وفحص الممارسات الثقافية لجماعة ما ، يعود تاريخه إلى حوادث عرضية . ثم إن أي ثقافة من الثقافات لا تكون دائماً في حالة توازن دائمة ، لأن الظروف في تغير مستمر . تتغير البيئة المادية نتيجة انتقال الناس من مكان لآخر ،

الكتب . وهذا يفسر أيضا - حسب رأي جون لوك - إعراض بعض الناس أو عدم استطاعتهم الشرب من الأكواب الجميلة والنظيفة لأسباب مشابهة ، إذ أن ارتباط بعض الأفكار بالأشياء تجعل هذه الأشياء منفرة .

وهذا العقاب قد يدفع بالمعاقب إلى تغيير البيئة إلى بيئة لا يعاقب فيها السلوك نفسه . أو أنه قد يلجأ في سبيل تغيير احتمالات حدوث السلوك الذي استحق العقاب إلى التحكم بإحداث تغيرات فيزيولوجية ، كتناول المهدئات ، أو قمع هذا السلوك بتدعيم قوي إيجابي لأي سلوك آخر قد يحل محله .

أما بالنسبة للتدعيم الإيجابي الذي يتخذ شكل المكافآت ، فإنه حدث ذو تأثير قوي في ضبط السلوك . ويكون بمكافأة الاستجابات التي تقترب في البداية من الاستجابة النهائية المرغوب فيها . ويكون التدعيم في البدء قويا ، بتدعيم أي ميل في الاتجاه الصحيح ، بعد ذلك لا تدعم سوى الاستجابات المعدلة في ذلك الاتجاه .

وقد أوضح (سكر) أهمية التدعيم في إنعاش حياة الناس ، أن إهماله يؤدي للعذاب في قوله :

« إن المعاقبين في العذاب في جحيم دانت ، هم أولئك الذين عاشوا دون أن يتلقوا أي لوم ودون مديح » .

ويتراوح التدعيم الإيجابي عادة بين كلمات الاستحسان والتشجيع وكيل المديح ، وبين المكافأة المادية . وقد يلعب أي حدث آخر دور المدعم بما في ذلك الاشباع المعرفي والانجاز .

ومن الملاحظات التي تؤكد ما أبحاث

التعلم ، أن الاستجابة المدعمة إيجابيا يكون تكرارها أكثر حدوثا من تلك الاستجابات التي لا تتلقى التدعيم المناسب لها مما يؤدي بها الأمر لما يُعرف في كتب علم النفس بالانطفاء . ولكن بعض الاستجابات التي تثبت إلى حد ما ، في سلوك الفرد نتيجة للتدعيم قد تختفي نتيجة عدم الممارسة .

فطريقة تقديم التدعيم ينبغي لها أن تجري وفق منهج محدد ، لتكون فعاليتها أشد في تشكيل السلوك أو ضبطه والتحكم به .

وكما قلنا في البداية ، يرى السلوكيون أن غالبية سلوك الراشدين هو سلوك متعلم . لذلك فإن تقنية السلوك البشري يجب أن تجري وفق منهج مرسوم ، لا أن تترك للمصادفات .

وهكذا فقد ساهمت نظريات ضبط السلوك والتحكم به في تطوير عمليات التعلم والعلاج النفسي ، وفي بعض حالات العلاج الجسماني . ولكنها - كأي مقاربة علمية - سيف ذو حدين ، بالإضافة إلى مساهمتها في تحسين ظروف التكيف البشري ، فإنها قد تكون لها آثارها التدميرية عندما تبتعد أفعال المستخدمين لها ، وأهدافهم عن قيم أخلاقية أرسى دعائمها نضالات البشرية المستمرة منذ أقدم العصور . وفي هذا المجال تندرج الطرائق المتطورة التي ينفجها البعض في عمليات غسل الدماغ ، ودفع المجتمعات - بخاصة المتخلفة منها - إلى مبارحة القيم والأهداف التي تشكل أساس تماسكها ووجودها ، وترويج عادات المجتمع الاستهلاكي وقيمه بدلا منها . □

● قال الشعبي : كنت جالسا عند شريح القاضي ، إذ دخلت امرأة تشتكي زوجها وهو غائب ، وتبكي بكاء شديدا ، فقلت : ما أراها إلا مظلومة ، قال وما علمك ؟ قلت : لبيكاتها . قال : فإن إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاء ييكون وهم ظالمون !!

ييكون
وهم ظالمون

العلاج بالضوء

بقلم : الدكتور وليد السباعي

مع الانجازات العلمية المبهرة في ميدان العلاج ، واكتشاف الدواء وتصنيعه ، يزداد الاتجاه للعلاج بالأعشاب ، والطب الطبيعي ، واستخدام عناصر الطبيعة التي كان يستخدمها الأقدمون في مقاومة الأمراض وعلاجها ، ومنها الضوء الذي تبين أن له فوائد علاجية كثيرة رخيصة .

مدينة الشمس التي استغلها هيوقراط (٣٤٠ - ٣٧٧ ق . م) لعلاج سرعة الشام الجروح وجير الكسور ، وتخفيف الألم . وفي القرون الوسطى منعت الكنيسة الناس من تعريض أجسامهم للشمس فكثرت مرض الخرج . وفي عام ١٨٠٠ اكتشف هرنسل الأشعة تحت الحمراء ، وبعده بعام اكتشف ريتز

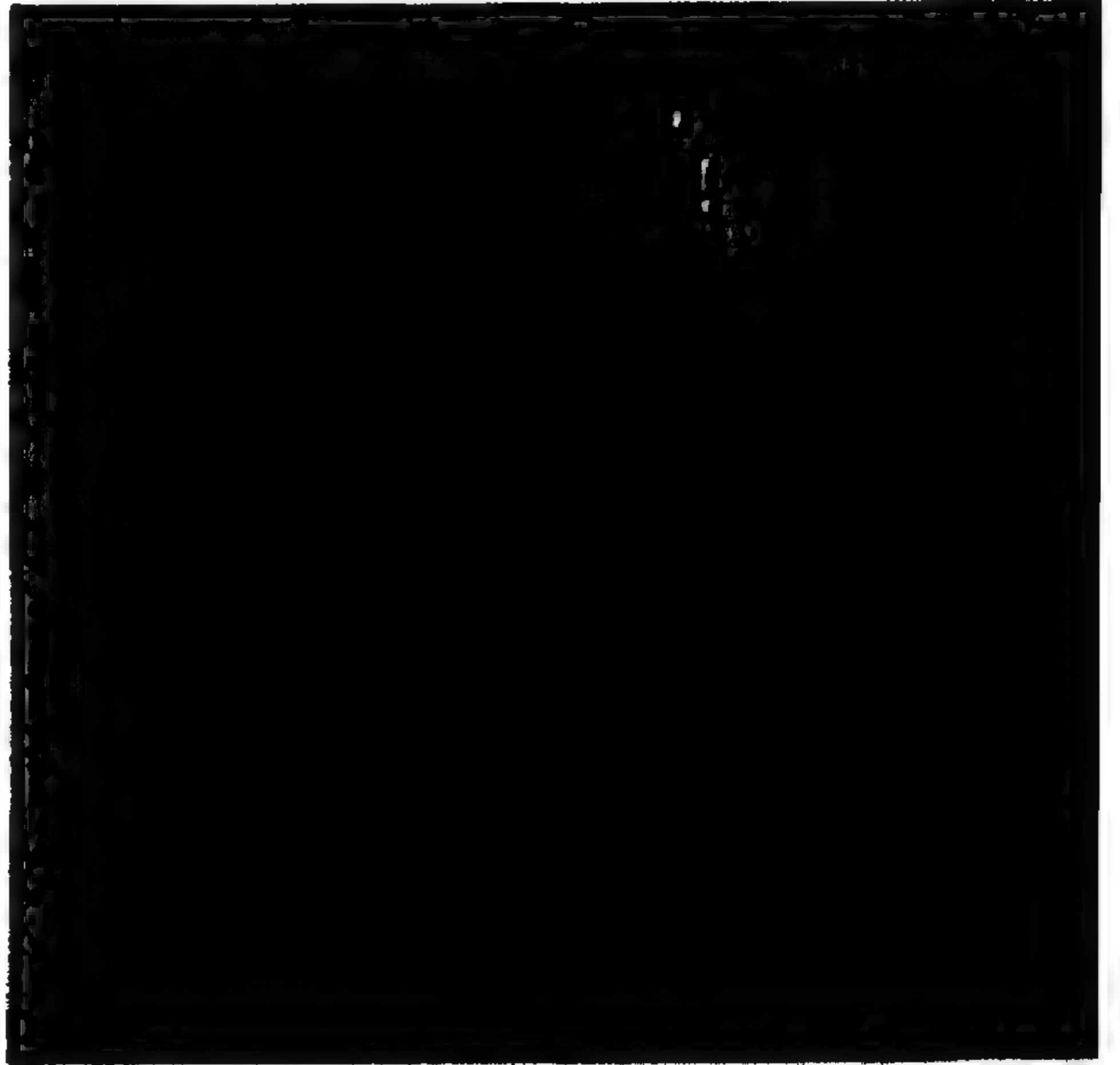
بعد ضوء الشمس من أقدم العوامل الفيزيائية في العلاج الطبيعي ، فقد عرفت تأثيره كثير من الشعوب القديمة ، كالأشوريين والمصريين القدماء ، وهم أول من استعمل حمامات الشمس والطين ، ثم اليونانيين والرومانيين . أما أكبر مدرسة لذلك فقد كانت في مدينة هليوبوليس ، أو

الأشعة فوق البنفسجية . وهكذا مروراً بقانون نيوتن ، وقانون ماكسويل ، ثم نظرية بلانك التي أكملها العالم اينشتاين عام ١٩٥٠ تكامل النظرية حول تحول المادة إلى طاقة وبالعكس .

الفوتون والموجة الكهرومغناطيسية :

وحدة الاشعاع الكهرومغناطيسي هي الفوتون الذي يتكون أثناء اصطدامات اللرات أو الجزيئات بعضها ببعض ، فيحدث تغير في مسار الالكترونات ، فتتحول الطاقة الحركية للالكترونات إلى فوتونات ، وعند التصادم يخرج الفوتون من مصدر الضوء بسرعة (٣٠٠,٠٠٠) كم في الثانية ، في الفراغ .

وللفوتونات خلال تفاعلها في الوسط الخارجي خواص الموجة الكهرومغناطيسية . والضوء طاقة تنتشر على شكل موجة كهرومغناطيسية ، وكلما قصر طول الموجة كانت ذبذبتها أكبر وبالعكس ، وتختلف بعض الأمواج الكهرومغناطيسية عن بعضها بالذبذبة وطول الموجة والصفات والتأثير ، ونحصل بترتيبها على الطيف الكهرومغناطيسي ، أي سلسلة إشعاعات الطاقة الضوئية حسب الذبذبة وطول الموجة .



منابع صناعية للأشعة فوق البنفسجية

وسوف نتناول هنا العلاج بالأشعاعات فوق البنفسجية والمرئية وتحت الحمراء ، وهي الأمواج الكهرومغناطيسية ذات الأطوال التي تتراوح بين (١٥٠) نانومتراً وحتى (٣٠٠) نانومتراً .

وأقوى مصدر طبيعي لكل أنواع الطاقة الضوئية هو الشمس وما عداها فإن كل جسم يحس للدرجة الاحرار يمكنه إرسال ضوء ، وذلك منذ اللحظة التي تصل فيها درجة حرارته (٢٧٣) درجة مئوية . وفي درجة (٣٠٠ - ٥٠٠) مئوية نراه يشع إشعاعاً أحمر ، وفي (١٠٠٠) مئوية يصدر إشعاعاً أصفر ، وفي أكثر من (١٢٠٠) مئوية يصدر إشعاعاً أبيض ، وفي كل درجة حرارة تصدر إشعاعات بأطوال مختلفة :

أولاً : تحت الحمراء الطويلة ، ثم الأقصر . وعند الاشعاع الأحمر تصدر الأشعة المرئية ، وتحت الحمراء . وعند الاشعاع الأبيض تحت الحمراء والمرئية وفوق البنفسجية . ونظراً لصعوبة تحديد الجرعة الشمسية وقوتها ، واختلاف أحوال الطقس فإننا عادة نستخدم منابع صناعية ضوئية فنحصل على الأشعة تحت الحمراء حينما نحميها للدرجة الاحرار ، فإذا ما سخنت إلى أكثر من (٣٠٠٠) درجة مئوية حصلنا على فوق البنفسجية .

والموجات الكهرومغناطيسية تخضع للقوانين الفيزيائية المعروفة نفسها : كالانحراف ، والانعكاس والامتصاص والفلترة ، وأن الجزء النشط بيولوجياً هو الجزء الذي يمتصه الجسم فقط ، وهذا يعتمد على طول الموجة ، والذبذبة ، والزاوية التي يقع فيها الضوء على الجسم ، ومدة التأثير ، وشدة ، والامتصاص والتفاذية ، ووضع الجسم ، والحساسية الخاصة لكل جسم . وبهذا فلكل أشعة تأثير مختلف « بيولوجياً » ، « فيزيولوجياً » عن الأخرى . فالأشعة فوق البنفسجية تحترق الجلد مسافة عدة أجزاء من المليمتر ، والمرئية تدخل عدة مليمترات ، وتحت الحمراء عدة سنتيمترات .

الأشعة المرئية :

اكتشف العالم نيوتن أنه بمرور أشعة الشمس خلال الزجاج تتحلل إلى حزم من أشعة ضوئية مختلفة ، لكل منها طولها وخواصها ، وبهذا فالأشعة

لاستعمال موصلات دقيقة لاستعمالها داخل الأنف أو الحلق أو الأذن أو الأجزاء المفرغة والنسائية .
وبتأثيرها يتحول فيتامين D إلى فيتامين D3 وهو ما يثبت الكلس في العظام ، أي تقوية تكلس العظم .
وتحسن زمن التخثر ، وتقلل تهيج العضلات وتحسن قابلية غشاء الخلية لامتناس الأشعة ، وتحويل الكولوايد ، وتكثر الهيموجلوبين وهو أهم عناصر المقاومة في الجسم ، وتزيد نشاطه ، وتفتح الشهية ، وتحسن النوم ، وتقلل التوتر والقلق .

هذه التأثيرات تحدث بسبب تغير أماكن اللرات ، وتغير التعادل الكهربائي للذرة ، وتحويل الإلكترونات إلى مدار آخر .

التأثير والاستخدام

احمرار الجلد ، واكتساب اللون البرونزي ، واكثر قدرة التجدد للخلية ، والاسراع في تشكيل النسيج الناقلة ، والقضاء على البكتيريا ، ولذلك تستخدم في حالات الجراحة ، والمختبرات ، وفي التعقيم ، بما في ذلك تعقيم الحليب .
وفي كل مكان يمكن أن تتكاثر فيه البكتيريا : كصالات الانتظار ، والمستشفيات والمستوصفات ، وصالات الولادة ، ومصحات السل ، والصيدليات ، وفي الصناعات الغذائية ، والكيمائية والصيدلانية . الخ .

وتأثيرها الانعكاسي يتم عن طريق المنعكسات الجلدية والعضوية ، وخلال مناطق « هيد » في الجلد ، وتصل للأعضاء الداخلية ، فتلاحظ هبوط الضغط الشرياني (١٠ - ٣٠) مليمتراً زئبقياً ، وتحسين الدورة الدموية في الأعضاء واكثر إفرازات المعدة .
أما تأثيرها العام فهو : إكثار نسبة الهيموجلوبين ، وعدد الكريات الحمراء والبيضاء ، وتغير PH نحو الأساسي ، وتغير نسبة أنزيمات الدم والكولسترول والكالسيوم والفوسفور ، وكثرة ترسب الكالسيوم في العظام ، وكثرة إفراز حمض البول وطرحه . الخ .

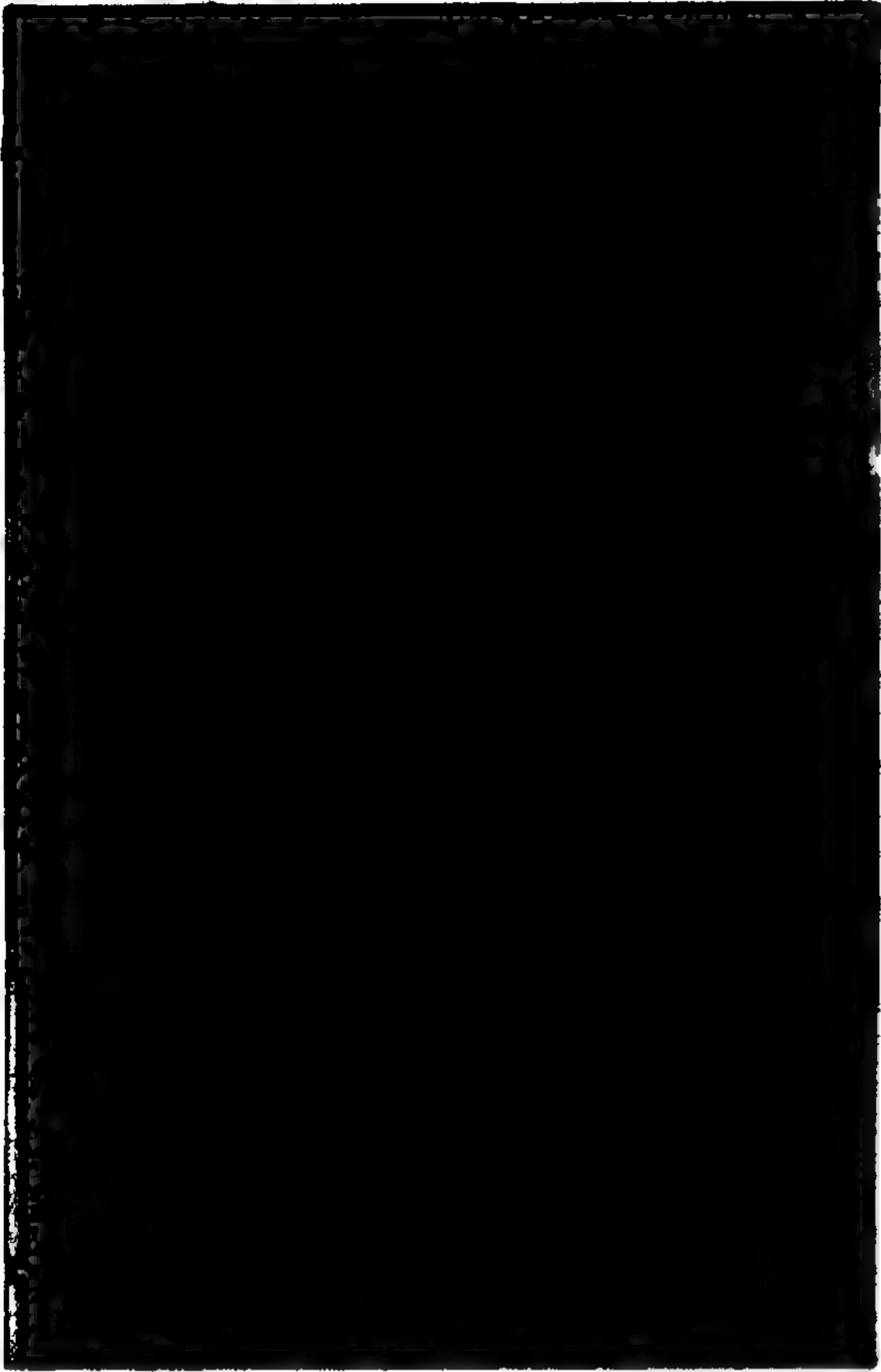
وتستخدم الأشعة المرئية في علاج القروح والجروح التي لا تتدمل ، والأمراض الجلدية : كحب الشباب ، واكزيما داء المنطقة ، والدمامل ، وبسور يازا (أكثر من ٣٠ مرضياً جلدياً) ،

المرئية من الضوء ، تتألف من سبعة ألوان أساسية مؤلفة تكون الضوء الذي نراه ، وهي البنفسجي ، والأزرق الغامق ، والأزرق ، والأخضر ، والأصفر ، والبرتقالي ، والأحمر . ونسمي هذه الألوان طيف الشمس الذي يبلغ طوله الموجي من (٩٠ - ٧٧٠ نانومتراً) ، وخارج هذه الأطوال فإن العين البشرية لا تميز الأشعة التي لها إشعاع قوي جداً ، وثبت وجودها بالتجارب فقط .

ولا استمرار الحياة على كوكب الأرض كان من الضروري جداً وجود الأشعة المرئية وغير المرئية ، فالمرئية ضرورية للنمو وعمليات التمثيل الخلوي للنباتات ، ولا يخفى على أحد أهمية أشعة الشمس للإنسان والحيوان والنبات ، وهناك العديد من الأمراض التي تحدث بسبب نقص التعرض للشمس ، كالخروج ، وازدياد القابلية للإصابة ببعض الأمراض السارية . الخ .

الجزء المرئي من الأشعة يخترق الجسم من ١ - ١٠ ملم . ولكل نوع من الطيف تأثيره الخاص به ، فالأصفر والبرتقالي لهما تأثير مهيج للأعصاب ، بينما للأزرق والبنفسجي تأثير مهدئ . والأخضر يكثر عمليات البناء ، بينما الأصفر والبنفسجي يكثران عمليات الهدم الخلوي ، أما الأزرق والأحمر فيساعدان على تقليل الألم ، والبنفسجي منفرداً يقلل النض ، بينما البنفسجي والأزرق يساعدان على التئام الجروح ومهدئة الألم . وبالحرارة الواصلة لأعماق النسيج ترتفع القدرة المناعية للجسم ، وتتسارع العمليات الحيوية فيه ، وتحسن الدورة الدموية ، ويكثر نشاط غدد التفرق ، وهذا الأعراض الجلدية التي تحدث نتيجة الحصبة والجذري ، أما الأزرق فيستعمل في الطب النفسي والعصبي ، خصوصاً عند آلام الأعصاب . الخ ، إضافة لاستعمالاته في طب العيون للتشخيص .

أما الأشعة فوق البنفسجية فهي أشعة باردة غير مرئية تشيطة كيميائياً وفعالة ، لها أشكال ثلاثة (A.B.C) أهمها « B » وتأثيرها يحمر الجلد ، ثم يكتسب لونا برونزياً ، ولها تأثير قوي على البكتيريا ، ونحصل عليها من الشمس أو من مصادر صناعية ، بلمبات من زجاج الكوارتز والأرغوان أو بخار الزئبق . وأحياناً نضطر



منابع صناعية للأشعة تحت الحمراء

الجلد ، ومنه عن طريق السوائل تدخل الى الأعصاب ، فيحمر الجلد بسبب توسع الأوعية الدموية . وتحسن مسيرة الدم ، واللمفا ، وتنشط الهضم والأبيض الخلوي ، وتسرع تجديد الأنسجة المتضررة والأنسجة الضامة . وترخي العضلات والجلد ، وتساعد على تغذية الجسم بالأكسجين والمواد الغذائية ، وتصريف المواد الضارة بسرعة ، وامتصاص الورم ، وتقليل الألم ، وإكثار إفرازات الكلى ، ولها تضاد مع الأشعة فوق البنفسجية ، فهي تحطم فيتامين D، وتزيل أعراض الحروق التي تسببها هذه الأشعة .

وتستعمل لعلاج أمراض الروماتيزم ، وأوجاع الأعصاب ، وبعد الإصابات الرياضية أو إصابات العمل ، والتمهيد قبل العلاج الحركي والتدليك والتشريد الدوائي ، والتهاب الجيوب بعد إفراجها (مع فلتر) ، والرشح ، والتهابات الجلد

والروماتيزم الاستمالي وخارج المفصلي : اللومباغو ، وأوجاع العضلات ، وارتروز المفاصل والظهر ، وفبرو زيت ، والتقرس ، والأمراض العصبية : آلام الأعصاب ، والعصب الوركي ، وما بين الأضلاع ، والتهاب الأعصاب ، والأمراض النسائية : قلة فرز الحليب عند الأم ، وعدم انتظام الدورة الشهرية ، والتهاب المبيض المزمن (تقلل الورم والألم) ، والربو القصبي ، والخراج ، وتخلخل العظام ، وبطء النمو ، والتعظم ، وخروج الأسنان ، وللجسم المنهك بعد مرض صعب ، وفقر الدم ، والتسمم بأول أكسيد الكربون ، والسل خارج الرئة (سل العظام والغدد والمفاصل والأعضاء التناسلية) .

وتستخدم أيضا في تشخيص الأمراض الفطرية للجلد والشعر والأسنان (السن الميت يعطي لونا غامقا والحي لونا أبيض والمنخور قرميديا) ، ولفحص الدورة الدموية في الأطراف ، وتشخيص السرطان ، وفي الكيمياء الحيوية ، والتشريح المرضي ، وعلم الجراثيم .

ويجب الاحتراس الشديد من استعمالها وقتا طويلا ، وبشدة عالية حتى لا تحدث حروقا جلدية ، كما أنها إذا استمرت أكثر يتفحم الجلد ويموت .

ويمنع استعمالها في حالات الحرارة ، وبعض الأمراض السارية ، وقصور القلب ، وتصلب الشرايين ، وفرط التوتر الشرياني ، والنزيف ، وسل الرئة النشط ، وسرطان الجلد ، والحساسية بالأشعة ، وبعض الأمراض الجلدية ، وفرط إفراز العرق ، وأخذ فيتامين D بكميات كبيرة ، والتعرض لأشعة (x) ، والتهاب الكلى المزمن ، وبعد تناول الأنسولين والادوية ، ومضادات الحيوية ، ومركبات السلفا ، وأملاح الذهب والفضة ، ومدرات البول .

الأشعة تحت الحمراء :

أشعة غير مرئية حرارية ، نحصل عليها من الشمس أو من المنابع الاصطناعية ، تنفذ خلال الزجاج .

ومن مؤثراتها الفيزيولوجية أنها تؤثر على سطح

● العلاج بالضوء

من الساعة ١٠ صباحاً إلى ٤ مساءً . ويجب ألا تتشمس بعد تناول الطعام مباشرة ، وإنما بعده بساعتين على الأقل ، ويجب تغطية الرأس ، ودهن الجسم بمادة واقية . ووضع نظارات شمسية ، والحرص الشديد على الأطفال . وإذا لاحظت قلة شهية أو ارتفاعاً في الحرارة أو قلقاً ليلياً ، أوقف التعرض للشمس كما يجب عدم تعريض من تقل أعمارهم عن سنة للشمس مباشرة .

ونبدأ بالتعرض مدة خمس دقائق ، ثم نزيد كل يوم حتى نصل إلى أقل من ٣ ساعات ، وبعد ذلك نذهب للسباحة ثم نستلقي في الظل ، ويجب الاحتراس الشديد من الحروق الجلدية أو الإصابة بضربة الشمس التي تؤدي إلى الوفاة .

ومن تأثيرات العلاج بالشمس فزيولوجياً ، زيادة قدرة الجسم العامة وتقويتها ، وزيادة النشاط وتحسين النوم والشهية وتقليل التعب ، وزيادة القدرة الدفاعية للجسم ضد الأمراض ، ومرونة الجلد ، واكتسابه لونا برونزياً ، وزيادة صلابته وتقويته ، وتقوية العضلات وزيادة كفاءتها ، وتحسين تبادل الغازات ، وتقوية التنفس وتنشيط إنتاج الهيموغلوبين ، وعدد الكريات ، وتعديل العلاقة بين الكالسيوم والفوسفور ، والمساعدة في الشفاء الجروح ، وتقليل الألم .

ويستفاد من التعرض للشمس والرمل والهواء الحار وممارسة السباحة والرياضة على شاطئ البحر أو البحيرة في علاج الحصر ، وقلة التعظم ، والتخلخل العظمي ، وبعد الأمراض الصعبة ، وفقر الدم ، والجروح والقروح والدمامل ، وسل العظام والغدد ، وكل أنواع السل خارج الرئة ، والروماتيزم بأنواعه المفصلية وغير المفصلية خصوصاً الاستمالي منه . ويمنع استعمالها في حالات الأشعة فوق البنفسجية نفسها . □

والحروق ، ومعدنة الألم ، خصوصاً آلام الوجه الشديدة .

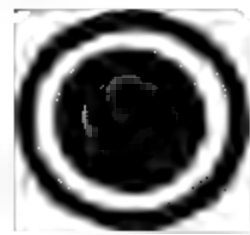
أما في التشخيص فتستعمل في كشف التهابات الأعضاء ، خصوصاً الجهاز الحركي ، ومراكز التحريك ، وأمراض الأوعية الدموية ، والدوالي ، والجلطة ، والنزيف والكتل الورمية والسرطانات . ولها استعمالات كثيرة جداً ، في مركبات الفضاء ، والتصوير الأرضي من الفضاء ، والأجهزة الاستراتيجية ، وجهاز التحكم عن بعد ، وفي التلفاز .

ويمنع استعمالها في حالات الالتهاب القبيحي المفتوح ، وسرطان الجلد ، وارتفاع الحرارة ، وقصور القلب ، وتصلب الشرايين ، وارتفاع الضغط ، والنزيف والسل الرئوي النشط ، والجلطة ، ومرض بازيدو ، والتعب الشديد العام والانحلال .

العلاج بالشمس :

بما أن طبقة (يونوسفر) الجوية تمتص كل ما هو ضار بالإنسان والحياة كالأشعة الكونية الضارة وغيرها ، فإن ما يصل إلينا نافع دون شك ، بشرط أن تكون جراحاته مدروسة ، أما الجراحات الكبيرة ، والتعرض الطويل لأشعة الشمس فهو ضار جداً ، وأحياناً مميت . ويختلف تأثيرها حسب الفصل والوقت واليوم ، ونظافة الهواء ، ورطوبة ، والغيم ، والارتفاع عن سطح البحر ، ومدة التعرض . . . الخ . وبما أنه لا يمكن التحكم بالجرعة ينصح بالتعرض لأشعة الشمس بالتدريج ومراعاة الغرض الذي نتعرض من أجله للشمس ، وهل هو علاجي أم لمجرد الصحة العامة .

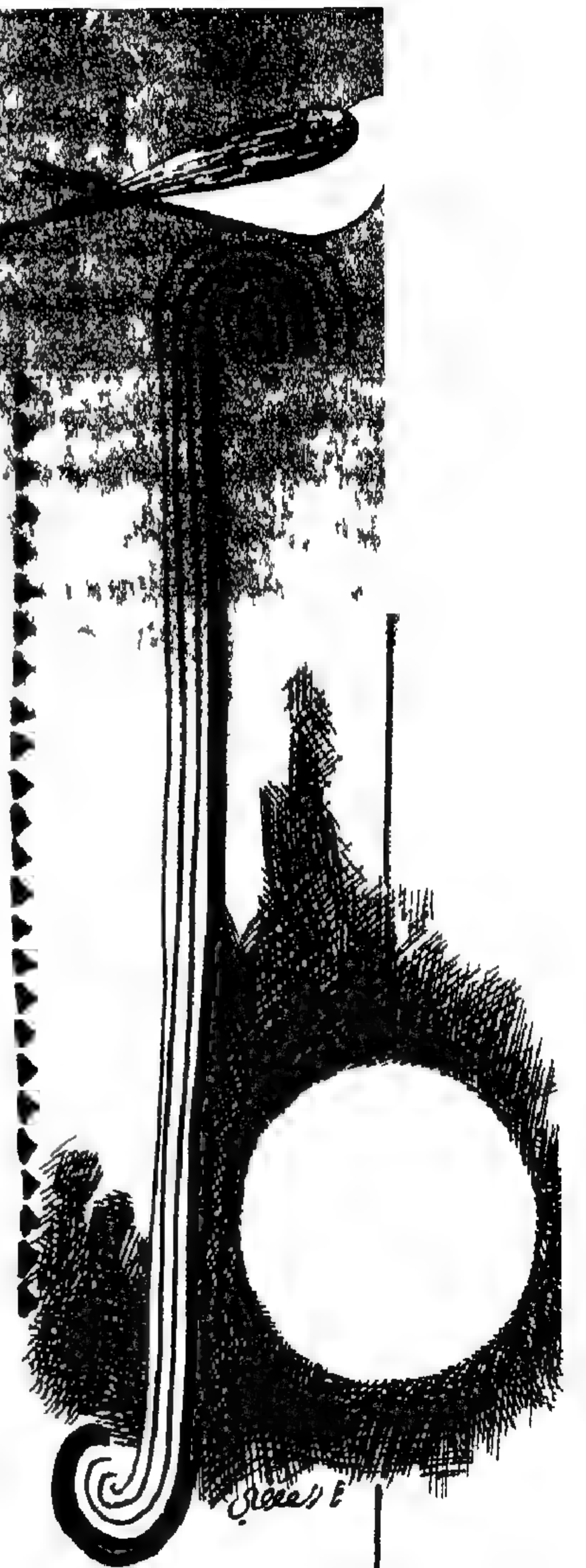
وأفضل الأوقات لاستخدامها علاجياً من ٧ صباحاً والسادسة مساءً ، وفي غير أيام الصيف

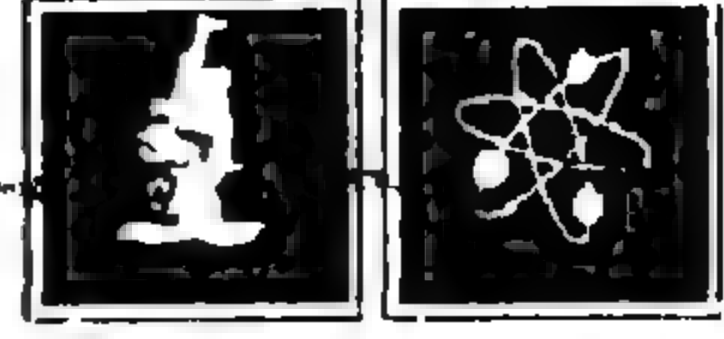


● بكى أحد الصالحين يوماً ، فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : أبكي على من ظلمني إذا وقف غداً بين يدي الله تعالى ولم تكن له حجة .

ما يبكيك

سَمِعْتُ بِسَرٍّ بِشَرْوَقِي، نَسُودَةً بِجَبُو
 سَمِعْتُ بِسَرٍّ بِسَرٍّ كَيْفَا مَكْرُوتْ
 الطَّرَافُ بِسَرٍّ مِنْ فَوْقِهِ بِقَبْهُو
 نَسُودَةً بِسَرٍّ بِسَرٍّ أَوْيَمَةً
 قَدْ شَكَّلَتْهَا بِسَرٍّ يَفْزُو لَهَا الْقَلْبُ
 بِسَرٍّ بِسَرٍّ بِسَرٍّ بِسَرٍّ
 مِنْ كُلِّ أَهْنَةٍ بِسَرٍّ بِسَرٍّ بِسَرٍّ
 بِسَرٍّ بِسَرٍّ بِسَرٍّ بِسَرٍّ فِي دَقَّةٍ
 كَأَنَّهُ الْحَلْمُ مَبْهُورٌ بِهِ اللَّبُ
 أَسْنَدْتُ رَأْسِي عَلَى الْعُشْبِ الطَّرِيقِ لَكِي
 أَصْنِي لِيَا فِي عَرُوقِ الْأَرْضِ بِنَصْبٍ
 فَحَاصِرْتَنِي مُدَى الْأَشْوَاكِ جَاعَةً
 وَأَبْقَيْتَنِي فِي دَمِي نِيرَانَهَا الشُّهْبُ
 صَرَخْتُ : يَا نَبِيعُ ، قَلْبِي جَمْرَةٌ خَفَقَتْ
 فَهَلْ يَرُقُّ لَهَا إِشْرَاقُكَ الْمَذْبُ ؟
 فَجَاوَبْتَنِي مِيَاءُ النَّبِيعِ هَامِسَةً
 انْهَضْ عَنِ الْعُشْبِ بِطَفْقَةٍ جَمْرَكَ الْحُبُّ
 وَطُفْتُ بِسَرٍّ بِسَرٍّ فِي أَفْقٍ لَهُ لَفَةٌ
 تَسْمُو بِهَا النَّفْسُ لَا شَوْكَ وَلَا كَرْبُ
 وَاشْرَبْتُ مِنَ الصَّفْوِ إِذْ يَأْتِيكَ مُؤْتَلِقًا
 وَالْحُسْنُ فِي وَجْهِهِ بِخُلُوبِهِ الْقَرُّ
 وَاسْتَنْهَضَ الرُّوحَ بِالْأَمَالِ تَطْلُقُهَا
 وَأَنْشُرَ جَنَاحَيْكَ ، إِنَّ الْمُرْتَقَى صَغْبُ





اعداد : يوسف زعلابي

العضلات

الكهربائية

البديلة

يولد الطفل أحياناً مفقراً إلى طرف واحد من أطرافه أو أكثر ، والذراع هو العضو الذي يفتقر إليه أولئك الأطفال التعساء ، وقد درح الطب على معالجة هذه الحالات بالخطاف الذي يذكرنا بالقراصنة . وقد وجدوا في هذا الخطاف سلاحاً فتاكاً يمكنهم من التغلب على خصومهم في معارك الأيدي التي طالما خاضوها في البر والبحر . ولعلنا لا نذكر في مخيلتنا قرصاناً إلا ونذكر يده الحديدية الخطافة ذات الرأس الحاد المقوس ، فضلاً عن ساقه الخشبية . على أن الطب تقدم كثيراً في أمريكا وفي غيرها ، حيث لم يعد الخطاف يليق بالمستوى الرفيع الذي أحرزته الخدمات الطبية في السنوات الأخيرة . فهو لا يغني عن اليد في أعمالها كلها أو أكثرها . وسيء إلى الطفل نفسياً أكثر مما ينفعه ، وحسبك الكآبة التي يولدها في نفسه تبعاً لسخرية الساس من خطافه ، وتذكر الاحصاءات أن طفلاً واحداً من كل ٢٥٠٠ طفل يولد ناقص الأطراف في الولايات المتحدة الأمريكية .

من هنا حظي الابتكار الجديد بأقصى الترحيب ، حقاً لقد استغرق تطوير الأذرع والعضلات الكهربائية (myoelectric arms) سنوات عديدة ، ولعل في النتيجة النهائية ما قد يبرر الجهود التي بذلت في سبيلها ، وتجدر الإشارة هنا إلى أفلام « السينما » و « الفيديو » التي راحت قبل بضع سنين والتي دارت أحداثها حول القوة الخارقة التي تمتع بها البطل (ستيف أوستن أو غيره) بفضل الذراع الكهربائية .

تعتمد الذراع ذات العضلة الكهربائية على بطارية صغيرة ، وأقطاب كهربائية صغيرة (electrodes) ، ومن شأن هذه الأقطاب - التي تلامس نصف الذراع الذي جاء به الطفل من بطن أمه، بل قل العضلة العاملة فيه أن تقويمها ١٠٠٠ مرة ، وترسلها إلى نصف الذراع الآخر ذي العضلة الكهربائية ، وذلك بواسطة البطارية التي تعمل بدورها على تشغيل محرك صغير معد لفتح الطرف الكهربائي وإغلاقه ، ولا يخفى أن الإشارات التي تلتقطها الأقطاب يبدأ توليدها في المخ ، فهو يرسل إلى عضلة الذراع الطبيعية ما يشرها ، فتقلص العضلة وتفرز مادة كيميائية قادرة على توليد الكهرباء .



وتتميز هذه الأذرع الكهربائية بأنها تثبت على المرفق بواسطة تجويف أو محجر Socket ملائم تماماً ، ودون حاجة إلى الأشرطة أو الكابلات التي لا غنى عنها لتركيب الخطاف ، والتي غالباً ما تسبب تقوساً في العمود الفقري تبعاً لاضطرار الطفل إلى الالتواء بظهره وكثفيه كلما أراد استعمال خطافه .

على أن الذراع الكهربائية ليست بلا سلبيات ، فهي بحاجة إلى استبدالها بأخرى أكبر حجماً لتلائم الطفل الذي ينمو ويكبر ، ويستحسن أن يجري هذا الاستبدال مرة كل (١٠) شهور ، ولو ذكرنا أن قيمة الذراع الواحدة تتراوح بين ١٠ - ١٥ ألف دولار ، لتجلت لنا مشكلة هذه الذراع التي قد لا يقوى على حلها إلا القلة من الناس ، وهذا في الوقت الحاضر فحسب ، إذ أنهم ماضون في الولايات المتحدة في إنشاء مصرف للأطراف الجديدة يسمح باستبدال الصغير منها بأكبر وتكلفة قليلة .

وتجدر الإشارة إلى أن الذراع الكهربائية الجديدة بحاجة إلى ما يكسوها ، ولو نظرت إلى يدها لبدت لك أشبه بيد الهيكل العظمي ، لذلك كان القفاز البلاستيكي الذي طوروه من أجلها بمثابة الجزء الذي لا يتجزأ منها .

ويكسو القفاز اليد ويغطي نحو $\frac{2}{3}$ الذراع الكهربائي ، وهو ذو أظافر وبراجم ، ويتميز - إذا كان قفاز كبار - بما يشبه الأوردة والطبقات الجلدية ، وهو رخيص الثمن نسبياً (٤٧ دولاراً للقفاز الواحد) .

بقي أن نذكر أن الذراع الكهربائية سهلة الفك والتركيب ، إذ المفروض بها أن تفك قبل النوم ، ثم تتركب عند اليقظة ، ولولا سهولة فكها وتركيبها لما أقبل الناس عليها ، حتى في الحالات التي لا يكاد يبلغ عمر الطفل فيها سنة أو دون ذلك .



● ارتخاء جفون العين آفة مزعجة ولا ريب ، وهو إما وراثي أو مكتسب . والوراثي منه يصيب في الغالب كلتا العينين في آن واحد ، وهو مرتبط بما قد تتعرض له نواة العصب البصري الثالث من نمو غير سوي ، ويكثر هذا الارتخاء الوراثي في الشعوب التي تعيش في منأى عن الغير - كاليابان - وفي الجماعات التي تحرص على زواج الأقارب .

أما الارتخاء المكتسب فغالباً ما يصيب عيناً واحدة دون الأخرى ، وقد يصيب الكبار ، فيكون سببه - في الغالب - قصوراً في امدادات الدم ، أو جلطة صغيرة في منطقة نواة العصب البصري الثالث التي ذكرنا . وقد يصيب الصغار ، وعندئذ يكون السبب أحد احتمالات كثيرة ، نذكر منها ضيق الأوعية ، والعصب البصري الذي قد يتعرض لتلف بسبب حادث أو مرض .

وقد يكون الارتخاء حاداً ، بحيث يتعذر على المرء النظر ما لم يرف رأسه

ارتخاء

الجفون

ليس وقفاً

على أهل

اليابان

● الحديد في العلم والطب .

ويميل به إلى الوراثة ، وفي تلك الحالة لا سبيل إلى التخلص من الآفة بغير العملية الجراحية ، وهي عملية عادية غير خطيرة .
على أن الارتقاء غير الحاد يمكن التخلص منه باستعمال القطرة المستحضرة من مادة الدموع كما يقول بعض الأطباء . نذكر هذا كله في إطار الأخبار التي ترددت مؤخراً عن « هيرو هيتو » امبراطور اليابان الراحل ، فقد تميزت تعابير وجهه أكثر ما تميزت بجفونه المرتخية ، وبعينيه اللتين بدتا نصف مغلقتين بسبب ذلك الارتقاء ، والظاهر أن تلك التعابير كانت نتيجة محاولات الامبراطور المتواصلة لرفع جفنيه المرتخيتين بقدر ما كانت نتيجة الارتقاء الذي فطر عليه جفناه العلويان ، هذا على الأقل ما أكدته التدقيق الذي أجروه مؤخراً في الآفة التي عانى منها الامبراطور ويعاني منها أكثر رعاياه ، إن لم نقل جميعهم .

■ ■ ■ ■

ثبت للعلماء والباحثين في أمريكا أن ثمة مادة واحدة فقط تفسر حالات الحساسية جميعاً ، وأن لا حاجة بعد اليوم للبحث عن المصادر أو المواد المختلفة التي يقترن بها التحسس من أجل تحديد العلاج الناجع الذي يحتاج إليه المريض .

والمادة المذكورة لا تعدو كونها « المتقبل » Receptor الذي يوجد على سطح الخلية ، والذي تلتحم به الأجسام المضادة ، في أكثر حالات التحسس ، لا سيما في المرحلة الأولى من تلك الحالات ، وهي المرحلة الحاسمة دون ريب .

لا عجب إذن أن انصببت جهود العلماء في البحث عن عقار يعطل عمل المتقبل ، فيبطل ردود فعل التحسس كلها وخاصة في بدايتها ، عوضاً عن الأدوية الكثيرة التي تحاول القضاء على تحسس المرء المقترن بمادة معينة ، وذلك بإفقاده تحسسه لتلك المادة ، أي أنهم يسعون إلى العثور على عقار فعال واحد لحالات الحساسية كافة ، بدلاً من المستحضرات العديدة التي تتعامل والمواد التي تقترن بها تلك الحالات وهي كثيرة أيضاً . □



أمراض

الحساسية

والاقترب

من الكشف

عن سرها

● القلم أنف الضمير ، إذا رغب أعلن أسرارهِ وأبان آثارهِ .

(سهل بن هارون)

● سئل أعرابي : ما القلم ؟ فقال : لا أدري . فقيل له : توهمه ،

ففكر ، ثم قال : « هو عود ، قلم من جانبيه ، كتقليم الأظفور » ،

فسمى قلماً .

قالوا في القلم

سَلَامَةُ الْبَشَرِيَّةِ فِي سَلَامَةِ الْبَيْئَةِ



تجري أعمال ترميم البيئة في أمريكا على نحو منقطع النظير ، والمقصود هنا إبطال أثر التنمية الزراعية والصناعية ، والرجوع بعقارب الساعة إلى الوراء ، أو إن شئت إبطال التقدم والعودة إلى التخلّف . إنه الإنقلاب في المثل العليا الذي أحدثه الوعي البيئي ، والذي أدى إلى معارضة المشاريع الإنشائية ، كاستصلاح الأراضي ، وتجفيف المستنقعات من أجل الزراعة ، والتحطّيب من أجل شق الطرق وتعييدها ، كل هذه المفاهيم التي كانت مثلاً علياً في الستينيات أصبحت معاول هدم ودمار في الوقت الحاضر ، وذلك وفق ما تمليه مفاهيم ومصلحة البيئة ، وهي مصلحة البشرية العليا التي نضحي في سبيلها بسائر المصالح الأخرى ، بما في ذلك المصالح القومية والسياسية ومصلحة النمو والازدهار الاقتصادي أيضاً .

على أن الذي يتولى أعمال ترميم البيئة هذه ليس وكالة البيئة الحكومية ، ولا هيئات حماية البيئة الأهلية ، كهيئة أصدقاء الأرض مثلاً ، أو هيئة السلام الأخضر ، وكلها هيئات طوعية خيرية تعمل ما تعمل دون أجر وبلا مقابل ، فالذي يمارس أعمال ترميم البيئة في الولايات المتحدة إنما هي شركات تسعى إلى جني الأرباح ، وتشبه في ذلك شركات البناء والتعمير أو المقاولين ، ولكنها تشبه أيضاً الهيئات العلمية والجامعات والمختبرات بقدر ما تنطلق بأعمالها تلك على أسس علمية وتجارب وأبحاث ، وبقدر ما تعتمد في ذلك كله على علماء ، إن لم نقل على كبار العلماء والمختصين في القارة الأمريكية كلها .

وحسبنا الإشارة هنا إلى بعض الأعمال الترميمية التي قامت بها وما زالت تقوم شركات - تجارية - علمية ، إن جاز لنا التعبير .

المستنقعات والأراضي البص : لقد فقدت 'ولايات المتحدة منذ استقلالها ٥٠٪ من أراضي البص فيها (Wetlands) ، وهي تفقد نصف مليون فدان من هذه الأراضي سنوياً . فمن أجل الزراعة ، ويقصد الاستصلاح الزراعي أقبل المستعمرون الأوائل على التحطّيب ، وقطع أشجار الأرز التي كانت منتشرة قبل مجيئهم من أوروبا إلى العالم الجديد .

وهكذا فقدت المستنقعات والأراضي المبتلة مزاياها ، فغطاها البوص الذي بلغ في ارتفاعه أحياناً ١٥ قدماً . وأدى ذلك إلى تشريد الأحياء البرية لا سيما البط البري .

هل من تعارض

بين حماية

البيئة

والتنمية؟



وجاءت سنة ١٩٨٥ وإذا بإحدى شركات الترميم البيئي تبشر أعمال العودة بعقارب الساعة إلى السراء ، وذلك في « نيوجرسي » على وجه التحديد ، ويأشرف أحد علماء الكيمياء المختصين واسمه « جاربيش » (Garbisch) ، فمضت في حفر الآقنية لضمان وصول المياه العذبة إلى المنطقة ، وقد حرمتها منها سدود حيوان القدس ، ولضمان وصول ماء المحيط المالح ، مرة بين الحين والحين أثناء المد ، ومضت أيضا في إقامة المرتفعات التي تتطلبها أعشاش البط البري ، ثم مضت في زراعة حشيش المستنقعات (سبارتينا) على نطاق واسع ، والأعشاب المعروفة باسم (Pickerelweed) وكذلك بطاطس البط ، ونجحت الشركة حتى الآن في إعادة تكوين حوالي ٢٠٠ مستنقع ، وفي إعادة البط والعصافير إلى مواطنها في المنطقة .

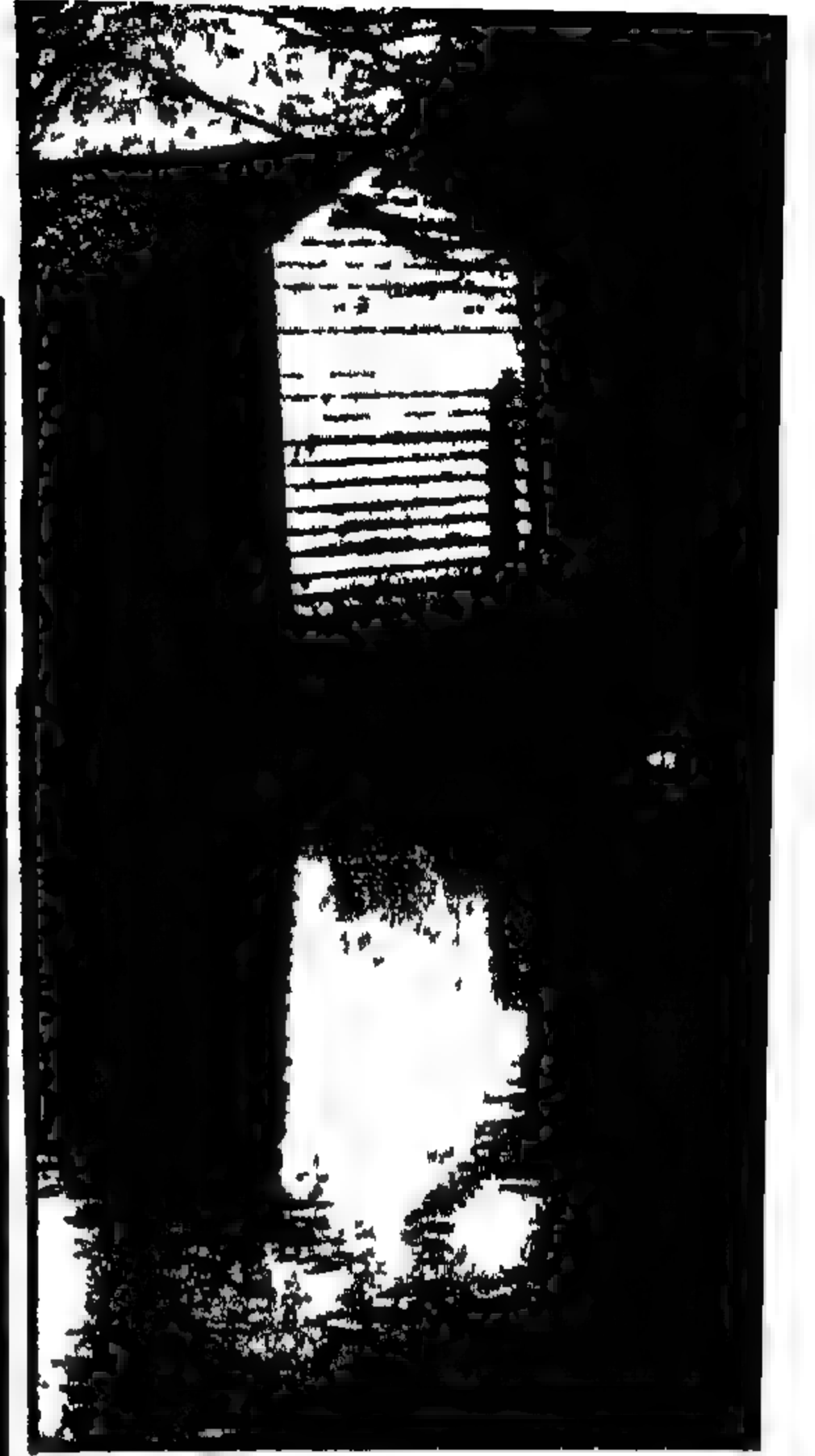
ويمكن القول بأن الشركة قد أنجزت حتى نهاية ١٩٨٨ حوالي ٥٠٪ من أعمال الترميم التي التزمت بها مقابل ٤ ملايين دولار .
الغابات الاستوائية : مازالت الغابات الاستوائية في العالم الجديد ماضية في التحول إلى مراعي أو سافانا ، أو تربة تالفة ، بسبب التعرية ، ويصدق هذا - بخاصة - على المناطق الشمالية الغربية في كوستاريكا ، حيث باشرت إحدى شركات الترميم أعمال إعادة الغابات وكائناتها البرية إلى ما كانت عليه ، ويتولى الإشراف على هذه الأعمال العالم جانزن Janzen عالم البيولوجيا من جامعة بنسلفانيا ، وهو يقول إن أعماله الطموحة تلك : « ستحقق في غضون مائة عام ما قد لا تستطيع الطبيعة تحقيقه في ٥٠٠ عام » .

■ ■ ■ ■

● مازال الثوم والبصل يحظيان باهتمام الأطباء والعلماء في كل مكان . فقد نشرت مجلة المعهد الوطني للسرطان في الصين دراسة شملت ١٧٠٠ رجل صيني ، وأجريت الدراسة بقصد الكشف عن مخاطر سرطان المعدة في منطقة « ساندونج » حيث نسبة الوفيات - بسبب سرطان المعدة - مرتفعة .

أما النتيجة التي تمخضت عنها الدراسة فهي أن تناول الثوم والبصل يتناسب تناسباً عكسياً والإصابة بسرطان المعدة ، ناهيك بالموت بسبب هذا الورم الخبيث .

وتجدر الإشارة إلى أن ممثلين عن معهد السرطان الوطني الأمريكي قد انتشروا في مراكز السرطان في « بكين » وغيرها من مدن الصين . وأجروا مقابلات واستجوابات مع ٦٨٥ مريضاً من المصابين بسرطان المعدة ، و ١١٣١ رجلاً معافى من تلك الأورام ، وثبت لهم أن الذين يتناولون المزيد من الثوم والبصل في منأى عن الإصابة بسرطان المعدة ، فهم أقل عرضة للإصابة بنسبة لا تقل عن ٤٠٪ . □



علاج

سرطان

المعدة

في الثوم

والبصل

الخبير البادية الأردنية !



استطلاع : سليمان مظهر
تصوير : سليمان حيدر



عندما تزور بادية الأردن ، فما من سبيل أمامك إلا السير على خطين متوازيين . فالتاريخ بأحداثه وآثاره ومعالمه يسير متوازيا مع البداوة بإنسانها وخيامها ومراعيها ، لا تستطيع أن تفصل أيا من الخطين عن الآخر . فهما يمتدان جنبا الى جنب حيناً ، ويلتقيان في اختلاط غريب حيناً آخر ، منذ عاش البدوي الأصيل على هذه الأرض قبل خمسة آلاف سنة . واستقبل العديد من العصور والحكام على مدى التاريخ .

التاريخ يتغير وتتوالى أحداثه ، وتتدرج معها آثاره ومعالمه ، ولكن الأرض تظل هي نفس الأرض ، والبادية هي نفس البادية ، والانسان هو نفس الانسان .

ذهول الى البدوي الشيخ ، ثم انقض عليه ليأخذ الكاميرا من بين يديه وهو يصيح في زملائه :
- أهكذا تخافون على كاميراتي التي تركتها في عهدتكم ، وتدعون هذا البدوي يعبث بها فيفسدها ؟ .

ومع حيرة رجال البعثة المذهولين من تصرف زميلهم ، سلط الشيخ عدسة الكاميرا على وجه المصور الياباني وهو يقول في بساطة :

- لا تنزعج ، إنها آلة تصويري ، والصور التي التقطتها لكم بهذه الكاميرا الحديثة ستكون أفضل من كل ما صورته أنت بكاميراتك . . .

وتلثم المصور بعد أن سقطت عيناه على أجهزته فوجدها كاملة كما تركها ، ولم يجد أمامه إلا أن يعتذر للشيخ وهو يقول :

- لم أتصور قط أن البدو قد تطوروا إلى هذا الحد ، فاعذرني يا شيخ جليل على جهلي !

بالكاميرا التليفزيونية نفسها راح شيخ العشيرة البدوي جليل الزوايدة يصورنا نحن أعضاء بعثة « العربي » وحولنا عدد من أحفاده وأبنائه الثلاثين الذين أنجبهم من زوجاته الثلاث وأخذ ينقل العدسة بيتنا وبين أشجار مزرعته « بالديسى » غير بعيد من سيارته المرسيديس وعربة « البيك أب » المليئة بأكياس حصاد الزيتون المعد للنقل الى المعصرة . !

ولمحا الشيخ ونحن ننقل بصرنا من بيته الحجري المستلق وسط الأشجار الخضراء ، والذي لا يختلف كثيرا عن أي فيلا عصرية ، الى « بيت الشعر »

حين يكون هدفنا هو استطلاع ما يجري في بادية الأردن ، وما يشهده إنسانها من تحولات ، فإن علينا أول الأمر أن نعرف على تلك الأرض ، التي يعرفها الناس باسم البادية . فهذا الاقليم الصحراوي الذي يشكل امتدادا للصحراء العربية ، يشتمل على أكثر من ثلثي مساحة الأردن . ويضم صحراء مرصعة بالأحجار السوداء في أجزائه الشمالية والشمالية الشرقية ، تمثل الامتداد الواسع للحمم البركانية والبازلت من جبل الدروز في سوريا ، مع جبال وتلال في الأجزاء الجنوبية ، تنتشر فيها الصخور الرملية والجرانيت ، وكل ذلك يشرف على مساحات سهلية منبسطة تتخللها أودية تصب جميعا في الداخل ، حيث منخفضات واسعة تطل عليها تلال ترتفع قليلا عما يجاورها .

في هذا الاقليم الصحراوي نخترق أنحاء البادية الأردنية في الشمال والوسط والجنوب ، لتعرف على الأرض ، والانسان ، والتاريخ .

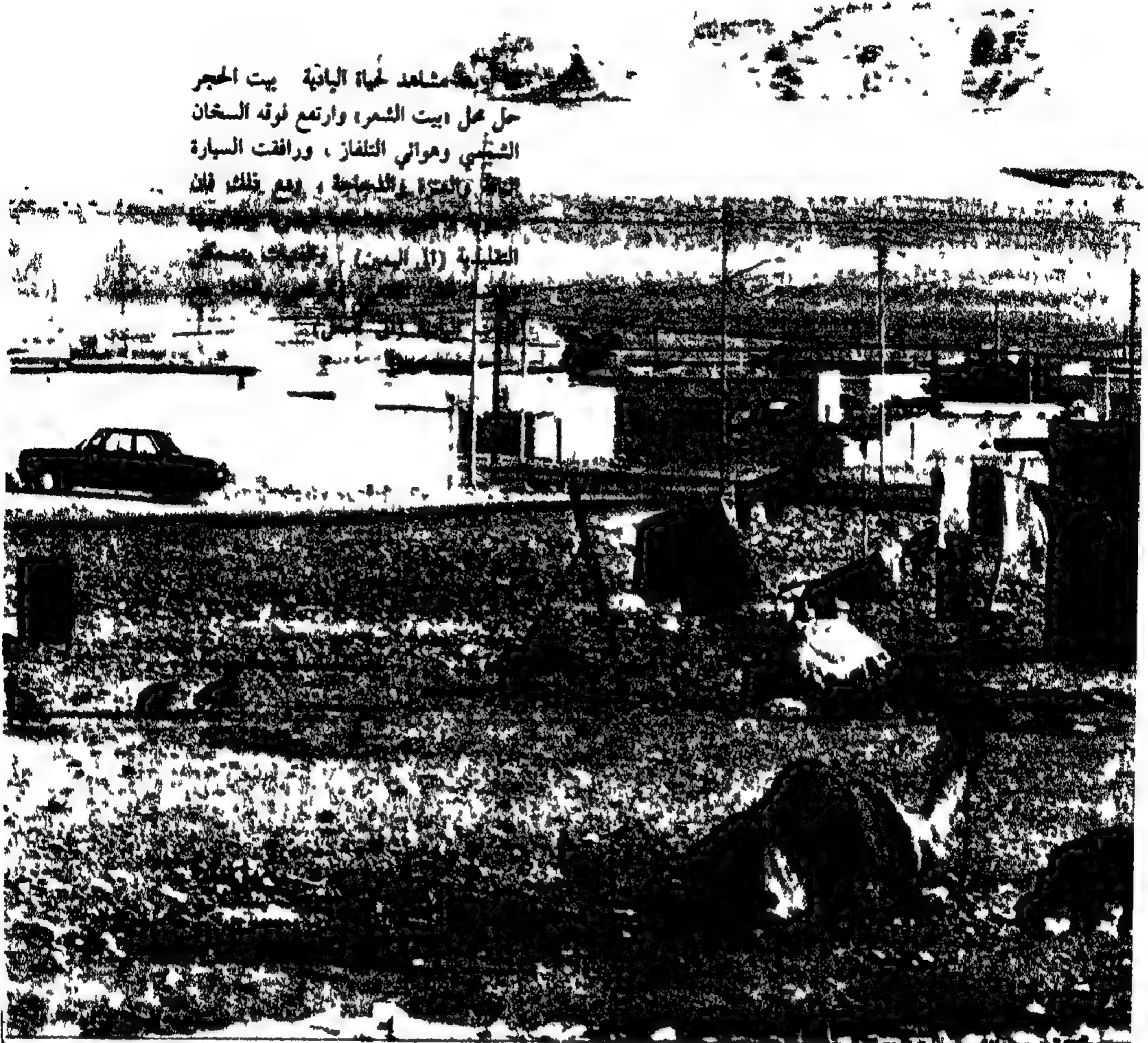
« الفيديو » في بيت الشعر

وقف الرجل حاملا كاميرا الفيديو ، وراح يسلط عدستها في ثبات على أعضاء بعثة التليفزيون اليابانية ، الذين افترشوا الطنافس القطنية واستندوا على جدران البيت الحجرية ، وهم يحتسون الشاي المخلوط بالميرامية والزهورات البرية ، بينما كان مصور البعثة يقوم بالتقاط صور مررعة الزيتون والتين والفاكهة الممتدة على مساحة خضراء لا يكاد يشملها البصر وعاد المصور ، ووقف يحملق في



بيت الحجر
حل محل بيت الشعراء وارتفع فوقه السخان
الشمسي وهوائي التلفاز ، ورافقت السيارة
السيارة والسيارة والسيارة

العلوية (اليمين) والعلوية



ذلك حتى عام ١٩٨٥ حيث ثبت الخط البياني ، ثم بدأ يتراجع بعد ذلك العام بما يسمى العودة الى الظروف الطبيعية الجديدة التي تغيرت معها العادات القديمة .

فقد تلاشى ركوب الجمل لقطع المسافات أو للانتقال من مكان إلى آخر ، وأصبحت السيارة الخاصة أو « اليك أب » هي الوسيلة ، السيارة استلزمت ظروفًا جديدة ، فالإبل كانت تحتاج للعلف والمرعى بينما السيارة تستلزم وجود البنزين وقطع الغيار والزيوت والطرق المعبدة ومحطات الوقود ، كما أن وجود السيارة سهل أن يكون هناك مذياع مما يتيح الاتصال بالعالم الخارجي . إذن نمط الحياة تغير ، فالبدوي الذي كان يستخدم الرسائل لبلاغ الخبر أصبح يستخدم الهاتف ، والذي كان يمتلك قطيعا من الماشية أصبح يستهدف أن يحصل ابنه على شهادة علمية عالية . وأنا أضرب بذلك مثلا بسيطا جدا ، فأنا بدوي ، رعيت في بداية عمري الغنم والابل وأنا حافي القدمين ، وكنت أقيم بشكل دائم مع أهلي وأبناء عشيرتي « الحوارث من بني عباد » في بيوت الشعر ، بكل ما يستلزمه هذا النمط من الحياة . الآن معي دكتوراه من كمبردج ببريطانيا وأقوم بالتدريس في الجامعة بدرجة استاذ ولي ٣٦ مؤلفا ، وأخي رائد جراحة النخاع العظمي في الأردن ، وقد أجرى حوالي ١٥ عملية جراحية عالمية . وبقية إخوتي مهندسون وأطباء كانوا من قبل يعيشون حياة البداوة ، في وادي السير .

كانت هذه هي نقطة الانطلاق التي أردنا أن تكون بداية جولتنا ، ففي وادي السير - حيث منطقة إقامة أبناء قاسم العويدي أحد أفخاذ عشيرة بني عباد - توجد دار مرافقنا ، وهي مناسبة لنشهد التحول الذي يحدثنا عنه على الطبيعة .

حوار في وادي السير

انطلقت بنا السيارة من عمان في طريقنا إلى وادي السير . . على طول الطريق الذي ترتفع على يمينه التلال العالية ، ومهبط على يساره الوديان ، كنا نشاهد غابات خضراء من أشجار الزيتون حلت كلها محل أشجار البطم والبلوط التي تم اقتلاعها لاستصلاح الأرض وتحويلها إلى مزارع للخضراوات

والفواكه ، بعد أن انتقلت عشائر البدو الرحل إلى الزراعة بدلا من الرعي ، وصاروا مزارعين مستقرين ، وعملوا في مهنة الفلاحة التي كانوا يحترفونها من قبل ، ويتأفنون من ممارستها . ولعل ما زاد اقتناعهم بهذا التحول خصوبة التربة مع توافر الأمطار والآبار ، بالإضافة إلى قربهم من المدينة التي تؤمن لهم بيع منتجاتهم وشراء حاجاتهم .

تحت خيمة من خيام الشعر المتناثرة على أطراف وادي السير ، والمطلّة على المزارع الخضراء بعيدا عن البيوت الحجرية ، جمعنا لقاء مع مجموعة من شيوخ وشباب عشائر بني عباد . ودار الحديث وتلاحت الآراء وتوالت المعلومات . . .

قال الشيخ : المجتمع الأردني الأصلي هو مجتمع العشيرة التي كانت في مرحلة من المراحل مرحلة بداوة بدائية ، قضية البداوة الآن تكاد تكون قد انتهت ، ونحن نعيش حياة تحضر كاملة .

هو الدكتور أحمد رأسه وقال : إن أكبر دليل على ذلك أنكم شاهدتم بأنفسكم ذلك البدوي الذي يعيش بجانب بيت الشعر ، وعنده الناقة والعنزة ، ومع ذلك فإن عنده (موتور) الكهرباء (وموتور) المياه ، وعنده أيضا كاميرا الفيديو ، وبالتالي فعنده القدرة على الجمع ما بين العصرية المتطورة وبين التقليدية المتناهية . فالإنسان البدوي لديه قدرة المزج ليجمع بين الجانبين .

قال أحد الشباب : نحن نتوجه الآن نحو شيئين مهمين : الأول هو تحسين الذات ، بمعنى الاتجاه إلى الدراسة والعلم وتحسين الوضع المادي ، من خلال الوظيفة ، ومن خلال المساعدات الحكومية ، ومن خلال العمل . والثاني هو التجذير في الأرض ، فصاحب الأرض أصبح يستغلها ويحفر فيها البئر ويمد لها القناة ، وهو يقوم بزراعتها لأن الزراعة - وبخاصة تلك الشجيرات التي تراها حولنا مثل العنب والتين - مجدية ومربحة جدا .

قال فتى آخر : هناك نقطة مهمة جدا في حياة ابن العشيرة وهي الغيرة ، فالناس تغار من بعضها البعض ، من ينفذ مشروعا يجد أن عشرين أو ثلاثين يقلدونه ، ثم يقلدهم مائتان وثلاثمائة ، ثم ألفان وثلاثة آلاف وهكذا دواليك . فأنت تجد البيوت الخضراء قائمة في الصحراء مثلما هي في الغور . لقد

الأنعام ؟

قال : نعم . . كلاهما

وسألناه : وكيف ؟

قال : كان عندي مائتا رأس من الغنم وسبعون نعجة ، إلا أن زواج الأولاد وذهابهم للوظيفة بعد إكمال دراستهم وتقدم السن بي قد قلل من « الوالي » ؟

نظرت الى مرافقنا متسائلا : هل كان هنا ولاية ؟
قال : الوالي هو من يرعى شئون القطيع . ولعدم وجود من يقومون بهذه الرعاية بعد أن تركه الأبناء الى المدينة اضطر الى بيعها .

ونظر إلينا البدوي الشيخ وهو يقول : أحلف لكم برأس بلال الذي خرجت من مزاره الآن ، أنني أتحسر كلما رأيت مرعى جيدا وأتمنى على الله أن يتحول الى صوف وزبدة ولبن . . !

نساء بني حميدة

الصورة التي شاهدناها عليها وادي السير والسويس كانت مخالفة تماما لما شاهدنا في منطقة عشائر بني حميدة .

كان الدكتور هاني الخصاونة وزير الإعلام حين استقبلنا بحفاوته قد أشار علينا بخط السير لزيارة معالم البادية وقال :

- صحيح أنكم ستشاهدون على الطبيعة جوانب متطورة من معالم البادية ، وستلمسون بأنفسكم مدى النقلة الحضارية والتحديثية في حياة البدو . ولكني مع هذا أوصيكم بالألا تضيعوا فرصة زيارة مشروع بني حميدة للصناعات التقليدية في مكاور . فهناك ستشهدون صورة رائعة للعمل الاجتماعي . .

وهكذا كان . انجھنا أولا الى جبل اللوييدة حيث مؤسسة إنقاذ الطفل التي تتولى إدارة التجربة وتشرف عليها الملكة نور الحسين .

في البادية نتعرف على مشروع بني حميدة من الأنسة غادة حبش :

المنطقة التي يتخذ فيها المشروع ، تقع في مكاور حيث مجموعة من أفخاذ عشائر بني حميدة هم العقيدة والشورة . فقبل حوالي عشر سنوات استقرت ٤٠٠ عائلة من بدو هذه العشيرة مع قطعانهم على سفوح جبل مكاور . وعلى الرغم من أنهم نصبوا بيوت

أصبحت الحياة هكذا في متناول أيدي البدو كلهم .

قال الشيخ : الحقيقة أن كلمة البداوة قد اختفت منذ بداية الثمانينيات ، معنى البداوة لم يعد موجودا لا في البيئة ولا في المجتمع . إنما هناك مع ذلك التركيبة العشائرية وهي التركيبة السائدة . انظروا أمامكم الى هذه السهول تروا مئات البيوت الحجرية ، ولا يظهر بينها سوى بيوت شعر قليلة متباعدة ، قبل عشرين أو ثلاثين سنة كان في هذا المكان عشرون أو ثلاثون بيتا من بيوت الشعر ، الآن كما ترون ليس فيه سوى هذا البيت الذي نجلس فيه .

من يكره الحلال

واصلت السيارة الصعود بنا من وادي السير الى عراق الأمير في الطريق الى السويس . البيوت الحجرية المتناثرة تعلو كلا منها سخان شمسي الى جانب هوائي التلفاز وموتور الكهربية . بينما في المزرعة حول كل بيت تمتد الصوبات حيث الزراعة المغطاة للخضر والفواكه . مشهد الوادي الأخضر صورة رائعة من الجمال ، بينما تطل على الجوانب الجبال والوديان تعلو بعضها أبنية حجرية أكثرها قصور يقضي فيها أصحابها فترات الصيف حيث أجمل البقاع في الأردن مناخا ونسima . وكان من النادر أن نرى بيتا لا توجد أمامه سيارة أجرة أو خاصة أو نصف نقل . أبدا لم تعد هذه هي صورة البادية التي نعرفها . لقد أحييت البداوة بالفعل الى التقاعد . . !

بقرب مزار « بلال بن رباح » الذي يقال إنه مات ودفن في السويس ، التقينا بيدوي عجوز كان قد انتهى من الزيارة وقراءة الفاتحة ، ثم وقف يتأمل الوادي أسفل المزارع في حيرة ، أردنا أن نبدأ معه الحديث فقلنا له :

- الخضرة على سفوح التلال رائعة والأعشاب تنمو بشكل كثير كبير

قال وهو يتأفف : وما فائدة هذا العشب إذا لم توجد مواش ترعاه ؟

قلت : وهل تحب الماشية ؟

قال : إنها الحلال . . ومن يكره الحلال ؟

قال له مرافقنا : وهل رعيت في حياتك أو اقتنيت



● ساء بي حمده صوره
سوحه للعمل
الاحيايي التعاون
وحيث تحدث وأم
حلفاء لي مدون
العرى فإياها يؤكد وهي
يعرف الصوف ومسح
السطح ان العائد المادى
الذى سح رباة الدحل
لأسرها لس وحده
ماهمها هناك ربح
أهم وهو المحافظة على
الراث البدوي القلدى
حتى لا يصح مع
الرمس





ومعها بعض احتياجات التشغيل ورسوم التصاميم الجديدة المطلوبة للتنفيذ .

مكاور ورأس المعدادان

الطريق إلى مكاور ومشاهد البادية على امتدادات الوديان والسفوح والجبال تستحق التسجيل ، في البداية سرنا على سفح جبلي فوق طريق متعرج وسط الوادي المزروع بالقمح تلة والزيتون تلة أخرى ، حتى وصلنا إلى تلة عالية فيها خزان ماء بجوار خرائب أثرية هي بقايا « الدبر » يسكنها بنو من أخذ الربطة والفقهاء من الحميلة ، يعيشون على الزراعة التي تتيحها لهم مياه الخزان . وتدل المؤشرات على سفوح التل الأثري القديم أنها كانت أرضا عامرة بالكروم والسكان ، كما تعج التلة بالكهوف والآبار التي ماتزال قادرة على الاحتفاظ بالماء حتى الآن . وتوجد دور قديمة من الطين والحجر تستخدم الآن للتخزين .

ونصل إلى جبل مكاور في النهاية . الجبل بارتفاع ٧٣٠ مترا عن سطح البحر ، و١٢٢٥ مترا عن سطح البحر الميت المطل عليه ، ونقف لنطل أسلما إلى القلعة التي تشرف من الجانب الآخر على الغور وعلى جبال جنوب فلسطين والقدس .

يقول مرافقنا وهو يشير إلى قمة الجبل : إن الاعتقاد السائد هو أنه في هذه القلعة حدثت مأساة قطع رأس النبي يحيى « يوحنا المعمدان » بعد أن سجنه هيرودس ، ولعلك تسمى « المشتقة » .

ويقال لنا : إن من الصعب الوصول الآن إلى الجبل لوعورة الطريق إليه . ولكن الحفريات الأثرية أكدت وجود القلعة عليه حيث اكتشفت آثار قديمة وأسوار وبنايات ، وقد كان يحيط بالجبل عدد من الكهوف التي كان بنو حميلة يسكنونها في الشتاء ويستخدمونها لإيواء الحيوانات .

حديث أم خلف

ونفادر المكان لتواصل سيرنا إلى قرى بني حميلة ونلتقي بنسائها ونشاهد من أثاث قدامهم بالعمل . . . قالت لنا « أم خلف » وهي تجلس مائة ساقها أمام النول اليدوي وتنسج بساطا طويلا بديع الألوان : شاركت في المشروع منذ بدايته . فقد دعت مديرة

الشعر على السفوح إلا أنهم لم يستخدموها إلا في فترات الصيف أثناء رعي الأغنام ، بينما بنوا مساكن بسيطة لإقامتهم الدائمة من الأسمنت والحجر ، وبدلوا يرسلون أبناءهم إلى المدارس الحكومية القريبة . ولكن تحولهم من حياة الترحل إلى التضرر لم يكن سهلا ، فنشأ الأمطار وتسوة الأرض لم تشجعهم على الزراعة ، واضطر رجال العشيرة إلى القيام بأعمال يدوية ضئيلة ، أو المغادرة إلى مناطق أخرى يجنون فيها عملا ، تاركين نساءهم وأبنائهم أياما وشهورا . وكان على النساء القيام برعاية شئون أنفسهن وأبنائهن خلال فترات الغيبة الطويلة للرجال .

وفي سبتمبر من عام ١٩٨٥ زارت المنطقة لجنة من المؤسسة التعاونية لإنقاذ الطفل التي تساهم فيها اليونيسيف ، وشاهدت مقدار معاناة هذه الأسر البدوية التي تقضي أيامها في شظف من العيش . وكانت الوسيلة الوحيدة لإنقاذها هي إمدادها بدخل معقول لمواصلة تحمل أعباء الحياة . وهكذا تم تنفيذ مشروع لتشغيل الأمهات في الصناعات التقليدية التي تتبحر من دخلا يقيم أودهن ويسهل من رعاية أطفالهن .

تقول السيدة (ريكا سالي) مديرة المؤسسة : سألنا أنفسنا كيف نستطيع مساعدة هؤلاء الأمهات ؟ وشاهدنا أمامنا مشهدين : الصوف الذي يغطي ماشيتهم ، والبسط التي تغطي أراضي بيوتهم . حيث وجدنا الإجابة .

فالنساء البدويات يستطعن غزل الصوف . وقد هودعن حياة البداوة على نسج بيوت الشعر وجوانب الخيام ، وأسرجة الخيول ، والحقائب والطنافس والبسط والأشغال اليدوية التقليدية . وما يقتصهن هو تزويدهن بأصواف ملونة ، وتقديم الإمكانات التي تتيح من الإنتاج وبيع هذه المنتجات .

هكذا كان مولد المشروع الذي ذهبنا لمشاهدة أروع مظاهر نجاحه عندما قمنا بزيارة أمهات بني حميلة في قراهن الإحدى عشرة المنتشرة على سفوح جبل مكاور . . .

صحبتنا السيارة الجيب الخاصة بالمؤسسة ، يقودها المشرف التنفيذي على المشروع هائل الحنيطي ، ومعه المشرقة على التصنيع نهي منصور ،

فيقمن بغزله ثم تبدأ عملية الصباغة . وحسب التصميم الذي نكون قد جهزناه نحضر كمية الصوف اللازمة للمفرش أو البساط ونضعها في أكياس ، كل كيس منها لأحدى نساء الأسر اللاتي يقمن بالنسج . ونعطي الإنتاج عندما نتسلمه منهن أرقاما ونرسله الى المؤسسة التي يقدر المتخصصون فيها قيمة كل قطعة . أما البيع فتولاه المؤسسة وخاصة بعد أن أصبح الإنتاج متميزا ، وبدأ السائحون والزوار وأعضاء السفارات الأجنبية يشترون القطع التي تعبر عن الفنون الشعبية والصناعات التقليدية الأردنية .

وأضاف هائل الحنيطي : الانتاج الذي تقدمه نساء البادية في بني حميدة يعبر عن التراث الشعبي والتقاليد البدوية الأصيلة ، تنقل من الماضي الى الحاضر للاحتفاظ بهذا التراث حتى لا يضيع مع الزمن . بالإضافة إلى إتاحة الفرصة للنشاط الاجتماعي وزيادة الدخل الأسري الذي يعين البدوية على العمل والانشغال به ، كما يتيح لها فرصة الحصول على عائد مادي يزيد دخل الأسرة . هذا الانتاج التراثي يباع محليا في مدن الأردن كما يسوق في الخارج . العمل يجري في القرى تحت إشراف إحدى الفتيات المتعلّمات من نفس العشيرة ، تقوم بتدريهن وتعليمهن الرسوم والمخططات المطلوبة ويتولين بعد ذلك تدريب النساء ، ومتابعة العمل . إن عدد النساء العاملات المشاركات في مشروع بني حميدة يبلغ ٣٧٥ امرأة بالإضافة إلى ١٧ مشرفة وعاملة في التحضير والإعداد والأعمال المكتبية ، وكلهن من نفس العشيرة ومن بنات نفس النساء . .

حمامات ماعين

وننطلق عائدين من بني حميدة لنمر في طريق هودتنا بإحدى معالم البادية الأردنية المثيرة . . حمامات ماعين . .

فمن قمة جبل بازلي على مسافة سبعة وثلاثين كيلومترا من مادبا ، تنحدر شلالات من المياه المعدنية الكبرى الحارة تصل سخونتها من ٥٥ الى ٦٠ درجة مئوية . هذه المياه استقطبت الباحثين عن الاستجمام والمتجمعين منذ أكثر من ألفي سنة عندما كان الملك هيرودس الأدومي يطلب الشفاء في حمامات زرقاء ماعين وينابيعها المعدنية الحارة .

المؤسسة عددا من نساء بني حميدة ممن يجدن الغزل والنسج ، وأبدین استعدادا للعمل . وكانت هذه هي أول مرة في حياتنا نحضر مثل هذا الاجتماع لمناقشة إمكانية مشاركتنا مع غرباء في الغزل والنسج . كنا حذرات وغير مقتنعات بالعمل الذي يمكن أن يشغلنا عن رعاية أبنائنا . ولكن المديرية قالت لنا بعد أن بدأت وعدد من زميلاتي نستجيب للفكرة : نحن كلنا أمهات وكلنا نريد أن نهتم بأطفالنا ، فالعمل لن يتم خارج بيوتكن ، ونستطيع أن نجلب إليكن الأجهزة والأدوات اللازمة الى البيوت ، فتتجزن العمل وتضمن في الوقت نفسه برعاية أبنائكن وأفراد أسركن .

تواصل أم خلف قائلة : اقتنعت بالفكرة وعرضت أن أضع نفسي تحت التجربة ، فقد كانت لي خبرة جيدة في غزل ونسج حاجاتنا في بيت الشعر . وتبعني خمس نساء أخريات ، وأمدتنا المؤسسة بالأنوال وبدأنا نعمل داخل بيوتنا . وخرجت من بين أيدينا أعمال تقليدية كثيرة كانوا يشترونها منا بالثمن على الرغم من أنهم يحضرون لنا الخيوط الصوفية ويصبغونها ، ويمدوننا بالرسوم والتصاميم ولا نتكلف أي عبء إلا العمل وحده . وأنا أحصل كل شهر على ما يتراوح بين ستين وثمانين ديناراً حسب الكمية التي أنجزها وأسلمها للمشرف التنفيذي والمستشارة الفنية التي توجهنا وتساعدنا باستمرار .

في بيت آخر وجدنا أسرة بكاملها تشارك في العمل . الأم تسلمت بكرات الغزل الملونة التي جلبتها المشرفة وبدأت تعد مغزها . ابتها الكبرى كانت تجلس على النول وتنتج نسج سرج ملون وإلى جانبها بعض طنافس لنسجها وحياتها لتسليمها الى المشرفة لتحصيل قيمتها . الأخت أمامها وعاءان فوق النار تسقط فيهما كرات غزل بيضاء تسلمتها لصباغتها ، فهي إحدى أربع فتيات يتولين صباغة الصوف بالألوان . الابنة الصغرى لجأت إلى ركن مطل على التلة تستذكر دروسها استعدادا للامتحان بينما إخوتها الصغار يتقافزون ويلعبون دون أن يعطلوا أحدا أو يشغلوه عما يؤديه من عمل .

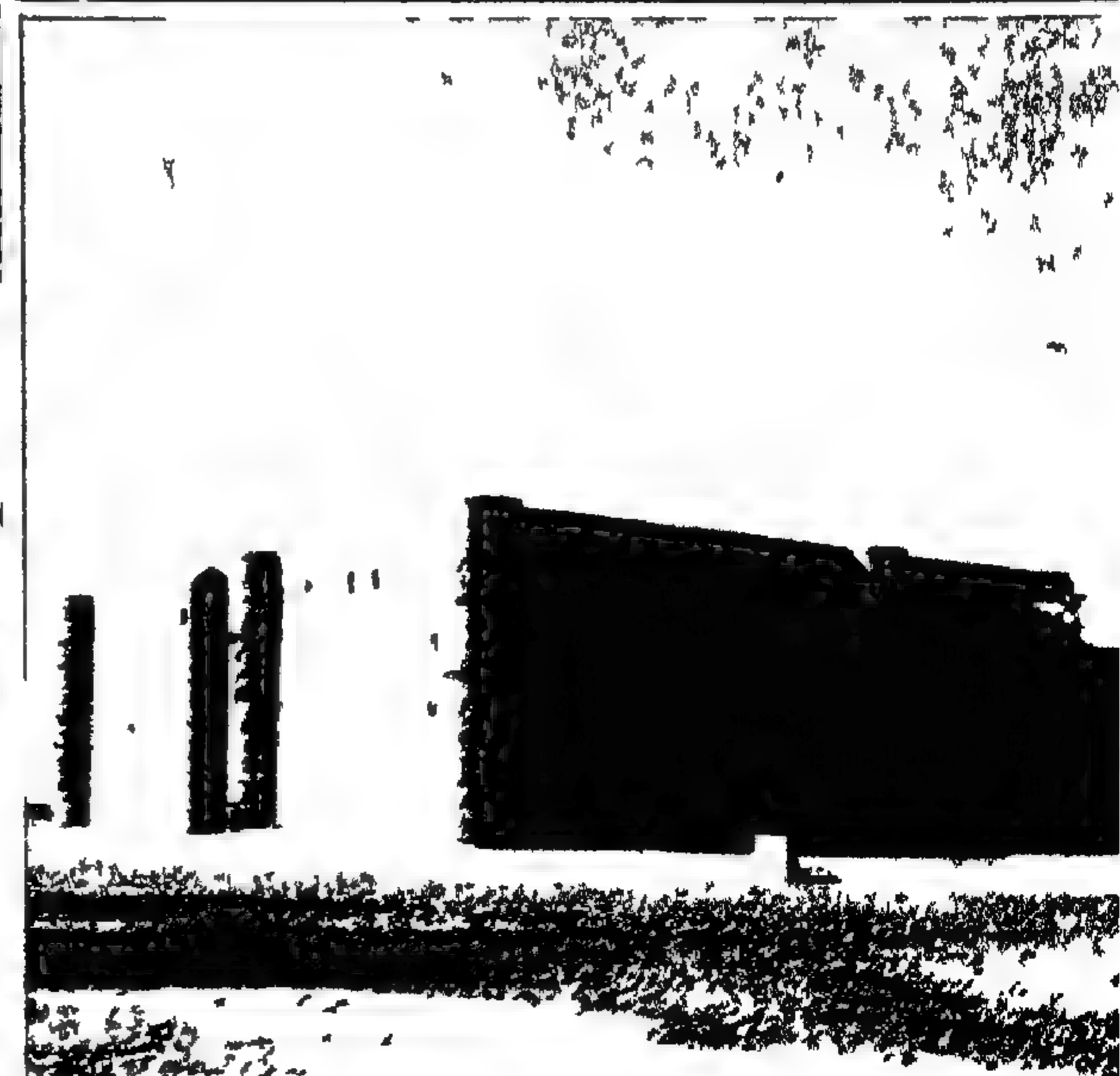
قالت لنا المشرفة نهي منصور : مراحل العمل تبدأ منذ شراء الصوف الخام محليا ، ثم نعطيه للنساء هنا



● الفجوة . في داخل
مغارة أصحاب الكهف ،
حيث قضوا ثلاثمائة سنة
وازدادوا تسعا . وعلى
الجانبين حفرت في الصخر
قبورهم التي دفنوا فيها قبل
إغلاق الكهف عليهم
والصورة العليا ، أما الى
اليسار فيبدو قصران من
القصور الأموية
الصحراوية ، قصر
عمرة ، ثم قصر الخراة



● الشيخ عيسى بن محمد بن عشرين الرلانيه مار الا ان
مواصل لعش ناسلوب اسدو مسفلا في صحراء وادي
رم (أعلى) وشيخ عشمه الدول سلامة النقه أماء سب
شعره في الهه (اسفل)



البحيرة الأولى التي فيها « مية الروح » أو « مياه الحياة » إلى السماء الأولى . يمر عليها الانسان الصالح بعد موته ويشرب منها فتد له الحياة ويتنظر الدينونة . . . ١ »

مغارة أهل الكهف

ونترك « مياه الحياة والخلود » لنلتقي بإحدى العبر السماوية لمعنى الحياة والبحث . . أصحاب الكهف . فعلى مسيرة حوالي ١٣ كم جنوب شرقي عمان ، وعند منطقة « الرجيب » في « خربة السوق » التي تسمى « الجوفير » نصعد إلى ربوة مرتفعة عن الطريق العام ، يقوم على جانبها كهف منحوت في الصخر ، على مدخله لوحة كتب عليها « كهف أهل الكهف » ، قبور بيزنطية ، وردت قصتهم في القرآن الكريم . . وأمام مدخل المغارة الذي يرتفع ١٩٠ سم نقف عند بقايا شجرة زيتون أحيطت بسياج ، ذكرت في كتاب ابن اسحق الثعالبي .

قال لنا الامين على الكهف الشيخ عبدالله حمد الشوبكي : « هذا المدخل كان عليه قبل ذلك باب من الصخر حين أغلق على أصحاب الكهف بعد موتهم ، وهذه الزيتونة كانت قائمة في زمنهم لما دخلوه وبقيت حتى زماننا . وقد صدرت الأوامر بقطعها بعد أن وجد أن بدو المنطقة يقسمون بها ويقصدونها ويتبركون بملامستها » .

ونحنى رؤوسنا لدخول من باب الكهف مارين بالعتبة التي تسمى « الوصيد » وكان يرقد عليها « كلبهم » كما جاء في القرآن الكريم . يبلغ عمق الكهف حوالي ثمانية أمتار ، وفي صدره الفجوة التي اتخذها أصحاب الكهف مرقدا لهم حين دخلوه هارين بإيمانهم من طغيان الملك دقيانوس . في الجدار الخلفي للفجوة عرضت مجموعة من الآثار التي وجدت في الكهف عند اكتشافه ، فيها قطع نقد رومانية وبقايا أوان فخارية وجمجمة كتب تحتها أنها الفك الأعلى لرأس الكلب الذي كان يحرس أصحاب الكهف . الجدران مليئة بالخطوط والنقوش الشمودية واليونانية القديمة والكوفية . في ركن الجدار الأيمن توجد كوة تتجه نحو الجنوب الغربي توصل من قلب الكهف مخترقة الصخر فوقه إلى السماء . على الجانبين من الفجوة في ساحة الكهف نحتت قبور محفورة في

وكانت الشلالات تتساقط من أنحاء كثيرة ، ويبدو أن أغلبها ناله الجفاف إذ لم يبق منها إلا شلالان يتساقط الماء منها بغزارة ، ويتمدد المستحمون تحت مصب الشلال الرئيسي للاستمتاع والاستشفاء بالمياه المعدنية الحارة . أصبحت الحمامات الآن من أشهر المتجمعات المعدنية في الشرق الأوسط ، ويؤمها الناس من الداخل والخارج للراحة والاستجمام . وقد قامت الحكومة بتطوير هذا الموقع السياحي المهم وتزويده بالمرافق والمنشآت حيث أقيم فندق ومجموعة من الشاليهات والمطاعم ، وأمكنة خاصة للاستحمام في مياه الشلالات والينابيع .

قال لنا أحد أبناء البادية المتحضرين التقيناه بعد أن قضى عدة أيام للإستجمام : إن البدو الذين يعيشون قرب هذه الحمامات يأتون إليها مرة كل سنة على الأقل حيث ينصبون خيامهم على مسافة غير بعيدة منها ، كما أن العشائر المقيمة في بيوت الحجر في القرى القريبة منها يأتون أن يدعوا الاستمتاع بها للسائحين فيشاركونهم بالزيارة والاستجمام في مياهها . وهم يسمونها حمامات « سليمان بن داود » اعتقادا منهم بأن سليمان الحكيم أقام هنا حماماته . وكان البدو قبل سنوات يعتقدون أن الجن تسكن في ينابيع المياه ، وأن بعض الجن المقيمين في منابع المياه « مؤمنون » لذلك قدسوا بعض تلك الينابيع ، واستشفوا بها وكرموها بالذبائح ، وبخاصة مياه زرقاء ماعين ومياه عين زارة التي تبعد عنها بحوالي ٤ كم ويسمونها « عين الحياة » .

حين كنا نطل على مياه البحر الميت في طريق عودتنا من حمامات ماعين ، رحت أقلب صفحات في كتاب « معلمة التراث الأردني » لروكسي بن زايد العزيزي حيث أورد إجابة لأحد طلاب الدراسات العلمية للمعتقدات الشعبية ، حين سئل عن ما هي « عين الحياة » فقال : « في معتقداتنا البدوية الشعبية أن الله خلق بحيرة كانت في مكان البحر الميت ، ماؤها عذب مقطر والغرض منها أن يشرب ماءها كل كائن بلغ الشيخوخة لاستعادة شبابه ، لكن آدم وحواء لما أخطأ حول تلك البحيرة تحولت إلى بحر ميت لا يعيش فيه حي ولا يمكن شرب مائه . ولما تكاثرت جرائم بني آدم أمطرهم الله نارا وكبريتا وأبقى البحيرة المتتنة شاهدا على قدرة الله . ورفع

من الكهوف التي نسب إليها أهل الكهف ، وأهمها في إفسوس وطوروس فاستبعدتها لأنها ذات فتحات لا تتفق في سقوط الشمس عليها مع ما جاء في الآيات الكريمة ، ولكن ذلك ينطبق على كهف الرجيب ، أي الفتحة الجنوبية ، ويقع على خط عرض ٣٢ درجة شمالا تقريبا . وعند زيارة الكهف ورصد الفتحة وجدت أنه لم يكن نحو الجنوب الجغرافي مباشرة وإنما كان نحو الجنوب الغربي . وكان وقت الزيارة في الأصيل وشعاع من الشمس الهادئة يدخل باب الكهف . فإذا كنت في الكهف وطلعت الشمس وكانت الفتحة نحو الجنوب الغربي تزاورت الشمس عن الكهف ذات اليمين وتمر أشعة الشمس بقوتها أمامك تكشف المرائي والأفاق . وحين تتوسط السماء لا تدخل الكهف . ثم عندما تميل إلى الغروب تدخل بعض أشعتها في فجوة الكهف . وشمس الأصيل هادئة غير قوية كشمس الصباح . ثم هناك الفتحة أو الكوة الموصلة بين قلب الكهف مخترقة الصخر فوقه إلى السماء ومن فوقها صخرة . ومن الممكن قفل الكوة أو إطلاق الهواء فيها حسب حاجة من بالكهف . هذه الفتحات العمودية معروفة في كثير من الأقطار المعتدلة والمدارية ، والذين استخدموا هذا الكهف أفادوا من الفتحة إن كانت على عهدهم وهذا هو الأقرب ، أو أفاد منها من جاءوا من بعدهم . وأفادوا من الكهف إقامة أو عبادة أو استراحة على طريق الرحلة .

ونعود إلى ما قاله مكتشف الكهف رفيق الدجاني في كتابه « اكتشاف كهف أهل الكهف » : كهف الرجيب ذكره المقدسي في أحسن التقاسيم ، وياقوت الحموي في معجم البلدان ، كما ذكره البيروني في كتابه « الآثار الباقية » وغيرهم . وإذا كان المسلمون منذ صدر الإسلام ، هم في شك من مكان أهل الكهف ، فإن حفريات الرجيب ألفت ضوءا مرجحا لهذا الكهف في الأردن على الكهوف الأخرى . وبقايا الكنيسة (أو المسجد) فوق كهف الرجيب تماما كما جاء في القرآن وعلامات الصليب على الحجارة واضحة وكذلك على الحجارة التي كانت تغطي المدفن . وقد ظهرت في الكهف عند الحفر ثمانية مدافن أساسية منحوتة في الصخر ، وهي بيزنطية استدل عليها من الزخرفة التي عليها ومن النقود

الصخر ، أربعة على اليمين وأربعة على اليسار ، يقول لنا الشيخ الشوبكي إن حفرها تم بأمر الملك البيزنطي الذي بعثوا في عهده ثم ماتوا وكان عددهم سبعة بينهم الراعي الذي كان معم وثمانهم كلبهم . ولكن قبل أن يغلقوا عليهم الكهف تدارك الملك الأمر حين قال له رجاله إنه لا يجوز دفن الكلب مع الصالحين ، لأن الملائكة لا تدخل مكانا فيه كلب ، فتركوا الكلب خارج ساحة الكهف ، ودفن على الوصيد ، أي عتبة الباب .

أدلة قرآنية

قال لنا عالم الآثار الذي صحبنا أن اكتشاف الكهف وتحقيق المكان قام به الأثري رفيق وفا الدجاني المساعد الفني لمدير الآثار ، حيث ابتداء الحفر في ١٠ يونيو ١٩٦٣ وانتهى منه في ٣١ أغسطس في نفس العام . وقد سجل ذلك التاريخ على لوحة ثبتت عند الجدار الأيمن وكتبت تحتها الآية الكريمة « وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين ، وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه » (الكهف)

وقد كان علينا أن نرجع إلى من يمكن أن يفتينا حول انطباق ما جاء في القرآن الكريم على كهف الرجيب . فقال لنا الدكتور عبدالعزيز كامل الذي زار المنطقة مرتين : قرأت عن الكهف قبل الزيارة ، وراجعت ما كتب الزملاء الأردنيون الذين قاموا بالحفر العلمي ، وتولوا مناصب مسئولة في دار الآثار ، كما أعانني الإخوة في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية والمقدسات الإسلامية على القيام ببعض القياسات والأرصاء العلمية الوثيقة الصلة بتفسير هذه الآية ، والتي تذكر بتفصيل حركة الشمس طلوعا وغروبا وعلاقة أشعتها بالكهف ومن فيه وهم في فجوة منه .

فالكهف في موقع من المناطق الجبلية في الأردن كثيرة الكهوف ، وفي تصوري أن الفتية - والله أعلم - اختاروا كهفا منه ، وأكثروا من الذهاب إليه وعرفوه واطمأنوا له . هو مكان إيواء ، وهو غير بعيد من المدينة بحيث استطاعوا هم أن يذهبوا إليه راجلين ، واستطاع أحدهم بعد الاستيقاظ أن يذهب راجلا إلى المدينة ليحضر الطعام . وقد درست قبل ذلك عددا





● واحه «حره فرعون» في
 قلب البراء (الصفحة المقابله)
 والحره في وسط الطائر الثار
 كانت هدفا لرياض البدو
 الطامعين في الذهب والى أعلى
 مجلس البدوي مأملا سموح
 الخيل سبها أحد أبناء ناده
 الدول مهمك في صاعه
 القلنده تملأ الرحاحات
 الصعيره بالرمال الملونه مشكلا
 منها لوحات فيه رائعه ملهف
 عليها السائحون



يسمى بسيف البادية ، وهي سلسلة الجبال الشرقية لنهر الأردن بدءاً من قلعة الربض في عجلون وقلاع عمان وحصبان ثم ذيبان ثم قلعة الكرك والشوبك ومعان والعقبة . هذه القلاع موزعة في القدم منذ أن كانت الشعوب والأمم والدول تقوم في شرق الأردن . فقبل الميلاد قامت أربع ممالك هي مملكة الأدوميين وعاصمتها بصيرة بجانب الطفيلة ، ومملكة المؤابيين وكانت عاصمتها الكرك ثم ذيبان قرب منطقة عشائر بني حميدة ، ومملكة العمونيين وعاصمتهم عمان ، ومملكة الحشبوسيين وعاصمتهم الحصبان ، ثم مملكة البيسانين وعاصمتهم في منطقة شمال الأردن ، وفيما بعد جاء الأنباط وجعلوا عاصمتهم البتراء . تعاقبت هذه الأمم على الأردن باعتبارها منطقة عمر ومستقر ، وبالتالي نقطة التقاء للمنطقة الصحراوية من الشرق والجنوب والبوابة العسكرية الرئيسية لمنطقة شمال الجزيرة العربية ، والبوابة الشرقية للمنطقة الخضراء وهي فلسطين والشام وكذلك مصر . من هنا فإن جميع الدول التي سيطرت على فلسطين حاولت أن يكون لها قلاع في شرق الأردن لكي تحمي نفسها من هجمات البدو ، سواء بدو الأردن أنفسهم أو بدو الجزيرة العربية ، بما فيهم بدو الخليج العربي وبدو منطقة العراق عندما كانوا يأتون إلى هذه المنطقة . ولذلك فإن هذه القلاع الكثيرة في بادية الأردن تشكل خط المواجهة سواء بالنسبة للأمم الخضراء مع الصحراء أو بالنسبة للأمم الصحراء مع الخضراء .

البتراء . . والعرب الأنباط

على أن الأبرز من العواصم والقلاع في بادية الأردن هي البتراء التي كانت عاصمة الأنباط ، وهم البدو القادمون من شبه الجزيرة العربية ، ويبدأ بهم تاريخ البادية العربية الأردنية . .

الأنباط كانوا قبيلة كبيرة ذات زعامة قوية جاءت من شمال شبه الجزيرة العربية ، وحطت رحالها عند هيون وادي موسى جنوب الأردن كمصدر دائم للماء ، علاوة على توافر الكلاً والأشجار في المنطقة ، وهو ما تعتمد عليه حياة ماشيتهم الكثيرة ، وهكذا أقاموا بالمنطقة حيث طيب الهواء والماء والخيرات في أرض صالحة للزراعة ، فتعايشوا مع الأدوميين حتى

النحاسية التي عثر عليها أثناء الحفر ، ومن قطع الفخار أيضا . وقد أعيد ترميم الفجوة في عهد الأمويين ، وكانت جدرانها من الحجارة فهدمها الأمويون وبنوها بشكل أقواس إسلامية وشكلوا مكان سقوط أشعة الشمس .

وقد ثبت أن المسلمين الأوائل بنوا المسجد فوق جدران الصومعة تماماً دون تغيير في المساحة وأضافوا المحراب إلى الحائط الجنوبي وهو حائط القبلة . وأقدم تاريخ للمسجد يرجع إلى عهد عبد الملك بن مروان .

القصور الصحراوية في البادية

على طول بادية الوسط الممتدة من منطقة زيزيا إلى منطقة البويضة في لواء إربد ، تحتل عشيرة بني صخر أقوى العشائر الأردنية مساحات واسعة عامرة بالمزارع وبالحضرة والمراعي الشاسعة بإيلها وماشيتها . وهي عشائر تتوزع بين المدينة والقرية والحياة البدوية وشبه البدوية تزوج بين بيت الشعر وبيوت الحجر المقامة على أحدث أنماط العمران والتقنية . على مشارف هذه المنطقة نجد أنفسنا مع بداية الخط الأثري المتوازي مع البادية . حيث يأخذنا مرافقتنا إلى القصور والحمامات الصحراوية المنتشرة في ربوع البادية الواقعة إلى الشرق من عمان . وتنسب هذه القصور إلى الأمويين الذين عملوا على إقامة منشآت لها علاقة بجمع مياه الأمطار وتخزينها وأبرز ما شهدناه من هذه القصور قصير عمرة بلوحاته الجدارية الملونة وحماماته وكذلك قصر المشق وقصر الخرائة .

ولاشك أن القصور الصحراوية في البادية الأردنية معالم بارزة على جانب من الأهمية لأنها أكثر الأبنية فخامة وأصالة من العصر الإسلامي المبكر . .

قلاع على سيف البادية

الخط المتوازي الذي يسير جنباً إلى جنب مع البداوة هو المعالم الأثرية التي تمتد بطول البادية الأردنية من الشمال إلى الجنوب وفي الشرق والشمال الشرقي والتي كانت أغلب مغاراتها أماكن إقامة بديلة للبدو إلى جانب بيوت الشعر .

الأثار والقلاع كما زرناها توجد على طول ما

● آخر أيام البعثة الأردنية

تاريخها إلى القرن الأول الميلادي . أما سر التسمية فيرجع إلى أن بدو المنطقة احتلوا خطاً أن فرعون وضع كتوزة في الجرة الموجودة في الطابق الثاني ليعلما عن أيدي الظلمين فيها . وهذه الجرة كانت هدفاً لرصاص البدو الذين أغرامهم المال . أما البناء نفسه فقد قال لنا مرافقتنا إن تاريخه يعود إلى ملك الأتباط الحارث الثالث (٨٤ - ٥٦ ق.م) الذي كلف ببنائه مهندسين وفنيين يوتقنين قوي مهارة في الفن المحلي . وهو يتكون من طابقين « الأسفل واجهة من ستة أعمدة من الطراز الكورنثي تحمل فوفها سطحاً نقش عليه رسماً لأبي الهول ووسم آخر لأسد وفهد . وعلى الجانب الأيمن نرى رجلاً حافي القدمين يقود جملاً . وعلى اليسار حية تحاول لدغ رجل في قلبه . وأما الطابق الثاني فيتكون من ثلاث أسطوانات تحمل الوسطى الجرة وفوقها تمثال للإله إيزيس ، وتزين شرفة الطابق رسوم الزهور والثمار والنسور وصورة لنساء مقاتلات يسموهن « الامازونيات » كن يقطن الشدي الأيمن ليسهل عليهن استملاك القوس في الحرب ، وهن يتدوّن رافعات سلاحهن من الباطلات فوق رموسهن .

داخل المدينة يحتاج لحديث طويل . ولكن المهم هو المسرح الروماني وأطل الشوارع المرصوفة والمعابد والحمامات والتأزل واليوابة التذكارية ، ثم قصر البنت وهو من أهم المصالح الموجودة في البتراء وغير منحوت في الصخر ، وقد زخرفت جدرانها الخارجية بالزخارف الجصية الملونة ، وضطيت جدرانها الداخلية بالرخام . وهناك أيضاً المحكمة والدير والمذبح وقلمة الحيس وقبر النبي هارون وهو يحتاج لبلوغه إلى تسلق الصخور الوردية الملونة .

أجداد العشائر البدوية

إن مدينة البتراء ذات جمال طبيعي لا يتوافر في أي مكان في العالم ، فالألوان المختلفة في الصخور « التي تزيدها جمالا أشعة الشمس ، استغلها العقل العربي البدوي النبطي لكي يجعل منها مكاناً رائعاً لكل من يسوى الجمال . وأما طرقها الوعرة والضيقة والمتعرجة التي أوجدتها الطبيعة فتنبثق منها الموسيقى الخالدة عندما تمر بها الرياح العاصفة أو النسيم الناعم . .

تمكنوا بالتدريج من السيطرة على المنطقة ودفع الأذوميين إلى جنوب فلسطين ، واحتلوا البتراء كمكان مقدس للدفن موتاهم ، ثم حولوها فيما بعد إلى عاصمة لأول مملكة بدوية عربية .

في آثار البتراء « المدينة الوردية » ، عاصمة العرب الأتباط القدماء ، كانت لنا وقفة وجولة لا نستطيع أن نتجاهلها ، وبخاصة أنها كانت المستقر الأول للبادية الأردنية التي جتنا لاستطلاعها .

لا نكاد نترك فندق « الفورم » القائم على مدخل المدينة حتى نجد أنفسنا تتحدر تدريجياً نحو الوادي ، لتواجه في طريقنا إلى باب المدينة المسمى « بالسبق » بثلاث كتل ضخمة مقطوعة من الصخر يطلق عليها اسم « صخور الجحان » قال لنا عنها مرافقتنا السباحي نيازي أنها قبور نبطية مبكرة لم يكتمل حفرها ، كما نجد إلى يسارنا ضريح المسلات في أسفل قاعة الاحتفالات الجنائزية . المسلات عددها أربع ذات تأثيرات مصرية واضحة .

وندخل « السبق » وهو مدخل المدينة وطوله ألف ومائتا متر وعرضه في بعض الأماكن لا يزيد عن مترين وارتفاع جدران الصخرية يتراوح بين ثمانين ومائة متر . ونطلى حولنا في دهول إلى أجمل اللوحات الطبيعية .

فهذا المدخل عبارة عن شق ضيق وعميق بين صخور جبلين شاهقين تتراكب فيه الألوان التي الأبيض والأصفر والأحمر المخملي والبنفسجي ، وفيه آثوار قنوات محفورة بالصخر لجلب المياه من عين موسى إلى وسط المدينة .

أرضية السبق رصفت بحجارة ضخمة لا يزال بعضها قائماً حتى الآن . قطعنا الطريق سيرا على الأقدام على أرضية كلها من كسر الحجارة التي يصعب السير عليها ، ولهذا يلجأ أغلب السائحين إلى قطع المسافة فوق ظهور الخيول . على جلستي السبق محطوب صغيرة حفر في الصخر تمثل الإله « ذو الشرى » إله العرب الأتباط . وما نكاد نصل نهاية هذا الممر الضيق حتى نقف أمام أجمل مكان أثري في البتراء « خزانة فرعون » !

الخزانة بناء حفر في صخر رملي لونه وردي فاتح ، وهو عبارة عن واجهة قبر بالغة الروعة تزينها الأعمدة والتماثيل المنحوتة في الصخر الوردية يعود



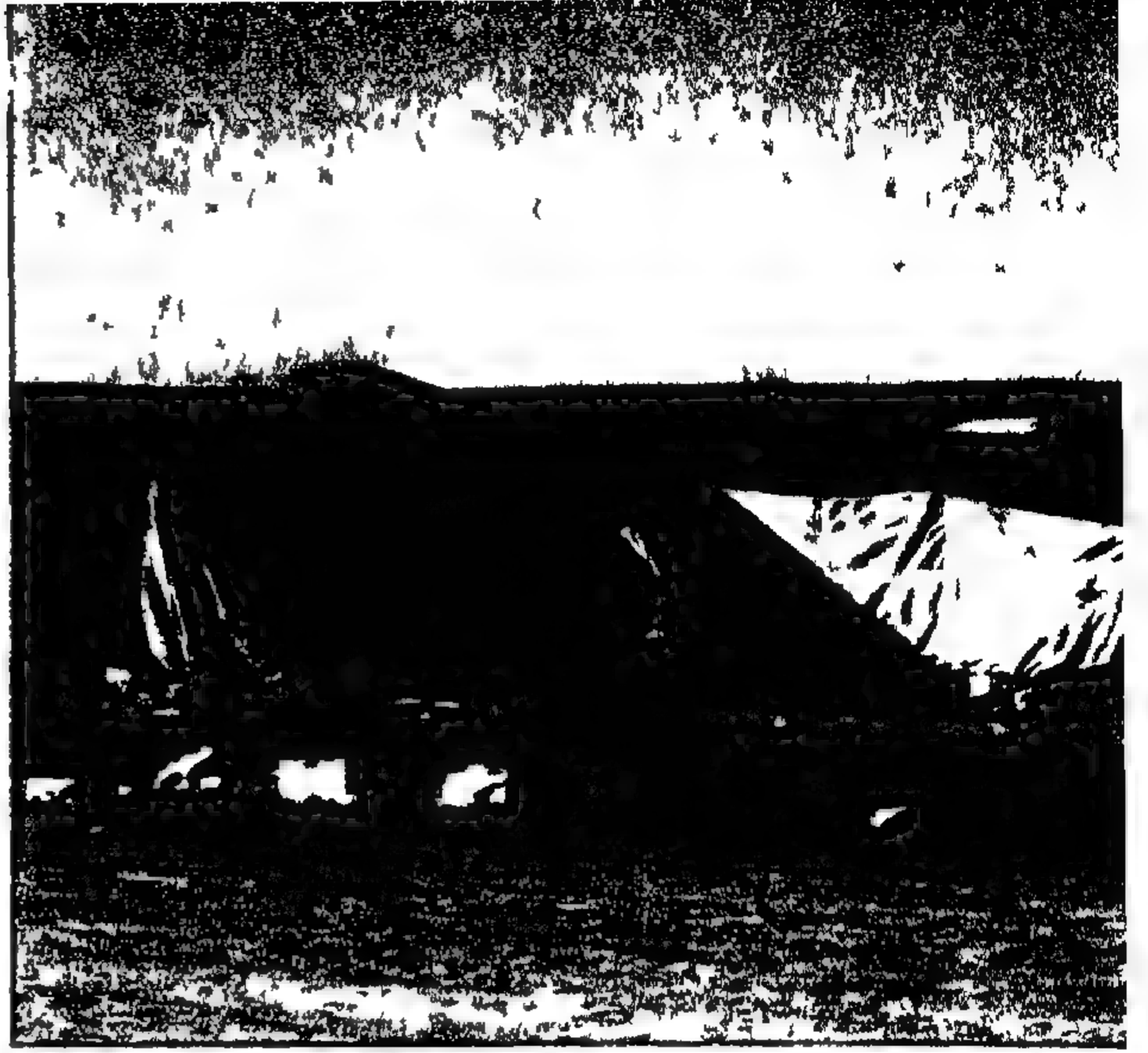
● آخر أيام البادية الأردنية

ولا نريد أن ننساق مع حمال البتراء وآثار العرب الأنباط المهمل أن الرمن قد استعرق من الأنباط منذ نزلهم في جنوب الأردن حوالي قرنين حتى تمت لهم السيطرة على جنوب الأردن كله ، وأقاموا حياتهم على التجارة وتربية الماشية واستخراج القطران من البحر الميت ، بل قاموا إلى جانب ذلك باستخراج وصهر معدن النحاس

هؤلاء هم العرب الأنباط أحداد العشائر العربية الأصيلة التي تعيش في بادية الأردن وقد عاشوا بمحاذاة طرق القوافل التجارية المحملة بالبحور والتوابل والحرير التي كانت تربط بين مراكز الاتح في الصين والهند و جنوب الجزيرة العربية ، وبين الأسواق الاستهلاكية العبية في مصر وسوريا واليونان وروما وكان من أشهر ملوكهم الحارث الثاني والحارث الثالث

استمر الدو العرب الأنباط في مملكتهم بين مد وحرر سواء في التجارة أو الزراعة أو العمران حتى عراهم الرومان ثم البيزنطيون ، واحتلقت بذلك عناصر الحصار الفنية اليونانية الرومانية مع الحصار العربية النبطية ، وهي التي تبذت أثريا في البتراء

واستمر ذلك حتى برلت حوامل القوات الاسلامية في جنوب الأردن قادمة من الجزيرة العربية ، واشتبكت مع القوات البيزنطية في معارك عدة انتهت بانتصار المسلمين في شمال الأردن في معركة اليرموك عام ٦٣٦م واستعادت مدينة البتراء دورها الأساسي كمركز هام على طرق القوافل التجارية بين الجزيرة العربية من ناحية وبين مصر وسوريا من ناحية أخرى ، حتى صاغت في عالم النسيان بحصوع المنطقة لنمود الدولة العثمانية تلك هي البتراء وهؤلاء هم العرب الأنباط أحداد العشائر العربية الأصيلة التي عرست حدودها في بادية الأردن ، وبينها أفراد عشيرة البدول ، الذين التقينا هم خارج البتراء الحالية في « البيصاء » حيث أقامت الدولة قرية خاصة لعرب البدول الذين كانوا يتحدون من كهوف البتراء مسكنًا لهم ، وتم ترحيلهم عنوة إلى منازلهم الجديدة ، حيث بدأوا يتحولون من البادية إلى الحضر ، وإن كانت بيوت الشعر ما تزال منصوبة بجانب بناياتهم الحديثة



بدو البدول

في قرية البيضاء ، وفي بيت شيخ عشيرة البدول ، رحب بنا الشيخ سلامة عيد الفقير ، ودار حديث طويل عن التحول والتغير الذي طرأ على تقاليد البادية وعاداتها . قال : قبلنا الاستقرار ، ولكنا ما نزال على عاداتنا وتقاليدنا ، الكرم العربي والضيافة وحسن المعشر واحترام الجار ومساعدة المظلوم والمحتاج كلها لم تتغير . ونحن نحضرنا كان ذلك عن اقتناع لأننا نريد أن نعلم أولادنا ، وكذلك حتى عائلتنا الكهرياء ونحصل على الماء . لم نتحضر لننسى عاداتنا وأتقاليدنا ، لا وإنما لكي نلحق بركب الحضارة .

بالنسبة لتعليم البنات كنا نعارضه ، وعندما أخرجنا من البتراء إلى قرية البيضاء سنة ١٩٨٤ لم تكن لدينا بنات تتعلم في المدارس ، وكان اختلاط البنات لأقلية من العائلات التي دخل أبنائها الجيش ، وعرفوا التعليم في المدن .

هنا في البيضاء حصل نجاح بيتنا وبين الحكومة التي أقامت مدرسة خاصة للبنات حولها سور وتدرس فيها معلمات . ويعد أن كان عدد البنات في العام الأول لا يتجاوز ١٥ تلميذة أصبح الآن يتجاوز مائة . فنحن نحب العلم لأن العلم هو الطريق الصحيح إلى الحياة الصحيحة ، وأصبح الجميع موافقون على التعليم وعلى التطور والازدهار والتقدم . لكن مسألة الاختلاط التي تتم في الجامعة مثلاً نحن ضدها ، فكيف نجلس ابنتي مثلاً مع شاب غريب عنها ، وكيف أقبل أن تذهب إلى رحلات مشتركة مع الشباب ؟ لا هذا غير ممكن . ولكن من بدري ربما نخضع مع المزيد من التطور للأمور الواقع ، وأولادنا يمكن أن يتغيروا أكثر منا كما تغيرنا نحن من آبائنا .

فهل تغيرت أيضاً تقاليد الزواج ؟

أفضل هذه المرة أن تكون الإجابة بنفس الفاظه البدوية إلا ما يحتاج إلى تبسيط . قال شيخ البدول : « كان الزواج على المحبة ، إذا أردت أن تأخذ بنتي فغصب ، أفرض عليك مهراً كبيراً ، وإذا أردت أن أعطيها لك فممكن حتى ولو على ملو غليون . ممكن نكون قاعدين على شرب قهوة وأقول لك والله أنت بتعز على وأنا بأعز عليك ونفسي أعطي بنتي لابنك .

فمن العزة التي بيتا تقول لي : خلها هدية ماوراها حرة . ممكن نجيب لي عشر معزات وخمس نعاك وكذا . مرت فترة لم تكن تعرف فيها قاضي الشرع . إنما على سنة الله ورسوله وهذه هي القاعدة عندنا اليوم . كل الاختلاف هو أن قاضي الشرع الآن يكتب على ورق أبيض . أبي كان قاضي الشرع في عشرينات . وكانت المرأة حين تختلف مع زوجها تحضر لأبي . يقول لها شو بلك ؟ تقول أنا داخله وبدي هذا الرجل مش رافضاه . لكن يتقصني طعام وما عندي شي ألبسه . بدي حقوقي . كانت حقوق المرأة عندنا هي حمار وكلب و١٠ معزات وعجل وسكر وشاي وبيت شعر . كان أبي يتلدي الزوج ، إذا استجاب كان بها ، إذا رفض يطلقها منه ، كان حكم القاضي عندنا أشد من حكم المحكمة ، ممكن المحكمة تأجل ، لكن عندنا كان الحكم فوراً . في القديم لم يكن هناك مهر ، ولا مؤجل . كانت البنت لما يجيروها على الزواج من شخص لا تريده تشرد عنه يعني تهرب منه . ولو تريد شخصاً وليس عنده شيء إنما يكون رجلاً شهياً تأخذه . وكان الشاب يخطف البنت خطفاً . ولكن الخاطف عندما يهرب بها يكون معه شخص آخر . يعني لو أنت خطفت بنتي وأخذتها لوحداك ممكن أذبحك . إنما إذا خطفتها ومعك آخر يشفع لك ، فهو يعتبر حارساً عليها وأنت لم تمسها ، وذلك طبعاً عيانة للمرض . . . »

في وادي رم

نسمع أشياء أخرى عن تقاليد البادية حين نذهب إلى « وادي رم » .

وادي رم من أكبر الأودية في جنوب بادية الأردن ، وتمثل فيه أروع المظاهر الجيولوجية المتكونة من صخور رائعة شاهدة . الميزة الرئيسية هنا أن كل شيء فيها من صنع الطبيعة ، ولا دخل للإنسان في تكوين لوحاتها الطبيعية ، مناظر الجبال والصخور تثير الإعجاب ، فالصخور فيها مواد معدنية مختلفة تشكل ألواناً متباينة . فصد الشروق وقيل الغروب تنعكس أشعة الشمس على الجبال فتبلى الألوان على الصخور فتراها مرة سوداء ، ومرة أخرى بنية ، ومرة فاتحة ومرة زهرية . فالصور التي تلتقط لسطح الجبل تختلف ألوانها حسب اختلاف أوقات النهار .

يعني براءته . ومن الناحية العملية فإن المتهمين يفقدون أعصابهم أثناء رؤيتهم للملعة فيعترفون . أما في ضوء المعطيات العصرية وحركات التنوير فإن ملعة « البشعة » لم تعد مستخدمة بشكل عام بين العشائر الأردنية . وعلى الرغم من أن القانون الصادر عام ١٩٧٣ قد منع اللجوء إلى البشعة ، فإن بعض قضاة العشائر والبدو قد استمروا بالاعتماد عليها واللجوء إليها عندما تقتضي الضرورة .

يارب بدله

أراد مرافقتنا ونحن نمضي أن يخفف عنا وهوة الطريق في مسيرة العودة الطويلة ، فراح يستعيد حكايات «المزيزي» عن الزواج والنساء وقال : هل سمعتم عن حكاية « يارب بدله » ؟ إنها عبارة معروفة عند النساء في البادية ، فإذا تمت المرأة أن تتخلص من زوجها من غير أن تنكشف أميتها أو يعلن أنها ناشز ، لبست ثوبها عند النوم مقلوبا وراحت تردد في سرها « يارب بدله » وتظل تفعل ذلك أربعين ليلة متتالية ، وتلقى كل ليلة في حفرة تخفيها حصاة إلى أن تتم الأربعين حصاة . وتقول النساء إن الذي يحدث هو واحدة من اثنتين : أن يموت الزوج ، أو تطلق الزوجة . . .

ومن بين الحكايات التي يروونها أن المرأة المحبة إذا أرادت إرغام شخص ما على حبها تلجأ إلى امرأة وصلت إلى سن اليأس فتأخذ رأس هدهد ودجاجة سوداء وشمعتين صغيرتين وتذهب ليلا إلى قبر ميت دفن حديثا ، فتنبش قبره وتدفن الدجاجة السوداء ورأس الهدهد وخمس ريشات من حواف جناحي الهدهد وتشعل الشمعتين في منخري الميت وهي تقول « فلان يحب فلانة » ، وتكرر ذلك في جلسة واحدة أربعين مرة ثم تسوي القبر كما كان . وقد سمعت أن رجلا مات له أخ يحبه ، ولشدة حزنه لم يستطع أن ينام فذهب ليقضي ليله ساهرا عند قبر أخيه ، وعندما اقترب شاهد نورا قريبا من القبر ، فلما قصده أحست المرأة بالفتضح أمرها ، فنهضت من عند القبر ونفضت شعرها وهي تصرخ صراخا شديدا ، ولشدة ما اعتري الرجل من الرعب والذهول ، قضى بقية حياته مجنونا ، وأصبح يعرف عند البدو بمجنون البادية . □

الوادي جميل فريد في جماله يملأ النفس بالاعجاب ، ويبحث فيها المهابة والجلال ، وزيارته في الواقع تجربة مثيرة .

كان أحد أهدافنا في وادي رم أن نلتقي بالشيخ عتيق أبو ريعين من عشيرة الزلاية . فعشيرته ما تزال تعيش بالأسلوب البدوي لم تغير من طبيعتها إلا القليل ، وهو يأبى إلا أن يعيش متنقلا في صحراء الوادي ومعه بيت شعره وأسرته وماشيته .

مضت بنا السيارة الجيب يقودها مرافقتنا السباحي (جمال أصحاب) عبر تلال وكتبان تغطي أرضيتها حجارة صوانية وأودية مليئة بالأشجار الصحراوية . في النهاية نجد أنفسنا في مواجهة حائط جبلي يمتد بينا ويسارا نصبت تحت سفحه خيمة سوداء ترعى حولها الماشية . هنا نلتقي البدوي الشيخ بأعوامه الثمانين التي يحملها فوق كتفيه . استقبلنا وأجلسنا على الطنافس الممتدة داخل بيت الشعر والنار مشتعلة في وسطه ، وفوقها دلابة القهوة . كان الشيخ يقلب الأحطاب المشتعلة بملعة طويلة قال حين سألناه عنها : هذه يد المحماسة التي نحمص بها البن على النار ، وهي نفسها ما كان يستخدمه « المشع » حين يجري الاحتكام إلى النار بما يسمى « البشعة » . فحين تكون القضية أمام القاضي غامضة ولا يعترف المتهم بارتكاب جرمه يحتكم إلى « البشعة » . وحين نسأله كيف كانت تجري عملية البشعة يجيب : يجلس المشع على الأرض بجانب النار ويضع يد المحماسة المسطح في قلب الجمر ثم يجلس المتهم بجانبه بينما يجلس بقية الخصوم والشهود يشاهدون ما يجري .

ويستغرق تسخين الملعة وقتا طويلا بينما يواصل المشع استخراجها وهي حمراء ثم ينظر إليها ويقلبها ثم يضعها ثانية في النار . ويتم هذا كله أمام ناظري المتهم ، وخلال هذه الفترة فإن المشع يتحدث باستمرار طالبا إلى المتهم إظهار حقيقة الجريمة التي ارتكبها مينا له مدى خطورة حرق النار ، بينما يراقب المشع ملامح وجه المتهم أثناء ذلك . وأخيرا تصبح الملعة جاهزة ، فيطلب من المتهم أن يمد لسانه حيث يقوم المشع بوضعها على اللسان بسرعة ثم ينتظر بضع دقائق يطلب بعدها من المتهم أن يمد لسانه ثانية أمام الناس . وإذا ظهرت البثور على اللسان فإن ذلك يعني تحریم المتهم . وإذا بقي لسانه سليما فذلك



عن النسور والعقبان

بقلم : الدكتور محمد رشاد الطوبى*

مع أن النسور والعقبان ترد أسماؤهما في كثير من الأحيان مرتبطة ببعضها ببعض ، إلا أن هناك اختلافات واضحة فيما يتعلق بطائع تلك الطيور أو طريقة معيشتها ، كما أن هناك أيضا بعض اللبس وعدم الوضوح فيما هو متداول بين عامة الناس عن تلك الطيور ، فقد يقال مثلا عن الطيارين البواسل الذين يخوضون غمار الحرب دفاعا عن أوطانهم إنهم « نسور الجو » . والأصوب من ذلك أن يقال عنهم إنهم « عقبان الجو » ، وهو ما سوف يظهر بوضوح في هذا المقال .

* استاذ علم الحيوان بكلية العلوم - جامعة القاهرة - عضو مجلس العلوم الأساسية بأكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا



الحظاء القسوري الذي
يغلي على الأسماك

من يقف على لحيته
من الزواحف في سرعة
مدهلة

المنظر حاد الإبصار ، سريع الطيران ، غالب حادة
مفترية ، ومفترية يفتي بصنارة حادة صاعدة .



العقبان هي أقوى الطيور وأكثرها شجاعة على الإطلاق ، وهي تتغذى على الحيوانات التي تنقض عليها في سرعة خاطفة من الجو مباشرة ، ولا يقتصر غذائها على الحيوانات الوديمة كالمناصر والخراف والغزلان ، بل يمتد أيضا إلى بعض الحيوانات المفترسة مثل الكلاب البرية والذئاب والثعالب وبنات آوى وغيرها ، وقد تشب بينا معارك طاحنة ، وعندئذ تلجأ العقبان إلى قواء حيون تلك الحيوانات إذا كانت المعركة في غير صالحها ، وذلك يكون تمهيدا للتغلب عليها وكسب المعركة ، وهي لا تتغذى على الفرائس التي تصيدها في أماكن صيدها ، بل تحملها بين مخالبها لتطير بها إلى أماكن أخرى آمنة ، ثم تبدأ في التهامها . ولا يفوتني التنويه بأن من بين ضحايا تلك الطيور بعض الأطفال الذين تركتهم أمهاتهم في الخلاء ، وقد سجلت عدة حالات من هذا القبيل وخصوصا في الهند .

وتمتاز العقبان بحدة الإبصار ، وبمخالب طويلة حادة ومدمية ، كما أن مناقيرها غليظة ملتوية ، وتنتهي بصنارة عمودية حادة ، ومن أهم صفاتها الخارجية أن الرأس والعنق مغطيان بالريش ، وهناك عدة أنواع من العقبان منها العقبان الذهبية وملك العقبان والعقبان السفعاء الكبرى والعقبان المسيرة وغيرها .

كاسر العظام

أما النسور (VULTURES) فهي طيور مسالمة ، لا تهاجم الحيوانات أو الطيور الأخرى ، ولكنها تقنع بأجساد الحيوانات الميتة التي تعد غذاء أساسيا لها ، ولذلك فهي في الواقع من « آكلات الجيف » ، فإذا وقعت على جسد حيوان ميت فإنها تستمر في نشه حتى تمتلئ حوصلتها الكبيرة ، فلا تكاد تستطيع الطيران ، وهي تتمتع بإبصار حاد ، لكن مخالبها ضعيفة قليلة التقوس ، تنتهي بأطراف غير مدمية ، وهي أكبر حجما من العقبان ، وتختلف عنها في أن الرأس والعنق حاريان من الريش غالبا أو يغطيها زغب دقيق ، وتوجد منها أنواع كثيرة ، نذكر منها الرخمة المصرية (ويطلق عليها أحيانا اسم النسور المصري) ، والنسر الأسمر والنسر ذا الأذن ،

والنسر الأسود والنسر ذا الذقن (كاسر العظام) . وما يدعو إلى الدهشة والإعجاب أن كثيرا من الكتاب العرب الأقدمين الذين اهتموا بدراسة الحيوان مثل الجاحظ والدميري والقزويني وغيرهم ، كانوا على معرفة طيبة بالاختلافات الموجودة بين النسور والعقبان ، فيما يتعلق بالصفات الخارجية ، والطباع السائدة في كل منها ، ومن ذلك - على سبيل المثال - ما ورد في كتاب الدميري « حياة الحيوان الكبرى » عن « النسور » كنموذج لتلك المجموعة من الطيور التي سبق ذكرها ، وكانت الأوصاف التي أوردها الدميري كما يلي :

- « النسور طائر معروف ، وسمي نسرا لأنه ينسر الشيء ويبتلع ، والنسر ذو منسر ، وليس بلدي مخلب ، وإنما له أظفار حداد كالمخالب ، وهو من أطول الطير عمرا ، ولذا قالت العرب : « أعمر من نسر » . وهو حاد البصر ، يرى الجيفة من أربع مائة فرسخ ، وهو أشد الطير طيرانا ، وأقواها جناحا ، وهو شره نهم رغب ، إذا وقع على جيفة امتلأ منها ، ولم يستطع الطيران حتى يشب وثبات يرفع بها نفسه طبقة بعد طبقة في الهواء حتى يدخل تحت الريح ، وليس في سباع الطير أكبر منه جثة » .

وهو وصف لا يحتاج إلى شرح أو تعليق ، أما ما أورده الدميري في كتابه عن العقاب فهو كما يلي :

« العقاب طائر معروف ، وقال في الكامل العقاب سيد الطيور ، والنسر هريفها ، والعقاب حاد البصر ، ولذلك قالت العرب : « أبصر من عقاب » ، كما قيل أيضا « أمنع من عقاب الجو » ، والعقاب من ذوي المخالب ، وإذا صادت شيئا لا تحمله على الفور إلى مكانها ، بل تنقله من موضع إلى موضع ، ولا تصعد إلا على الأماكن المرتفعة ، وهي أشد الجوارح حرارة ، وأقواها حركة ، وأيسرها مزاجا ، وهي خفيفة الجناح سريعة الطيران ، تتغذى بالعراق ، وتتغشى باليمن ، ومن شأنها أن جناحها لا يزال يخفق . قال عمرو بن حزام :

(لقد تركت عفرأ قلبي كأنه

جناح عقاب دائم الخفقان) .

وكان العرب كثيرا ما يطلقون على العقاب كلمة العنقاء ، وهو ذلك الطائر الأسطوري الذي كان يحورا لكثير من القصص والخرافات ، ومن ذلك -

● من النسور والعقبان

وقال أعرابي آخر : « أما علمت أن الشدة والشجاعة ، والبأس والقوة من الحيوان في ثلاثة أصناف : العقاب في الهواء ، والتمساح في ساكن الماء ، والأسد في مساكن الفيض » .

الصقريات

وتتسمي كل من العقبان والنسور على اختلاف أنواعها إلى رتبة كبيرة يطلق عليها علماء الحيوان اسم « رتبة الصقريات » (Falconiformes) . وتحتوي تلك الرتبة بالإضافة إلى النسور والعقبان على جميع الطيور المفترسة التي تسمى للحصول على غذائها أثناء النهار ، والتي يطلق عليها اسم « جوارح الطير » ، ومنها الصقور المدينة كالبازي والباشق والبيدق والدرّاع والشاهين والحر وصقر الغزال (وقد أطلق عليه هذا الاسم لاشتهاره بصيد الغزال) حيث يستخدمه البدو في هذا الغرض) ، ومن الصقريات أيضا الحدأ المختلفة كالحداة المصرية التي هي من طيور مصر الأوابد ، والحداة السوداء ، والحداة الحمراء وهما تهاجران في موسم الشتاء من شمال أوروبا إلى كثير من بلدان شمال أفريقيا والشرق الأوسط .

وتشترك تلك الصقور والحدأ في كثير من صفاتها وطبائعها مع العقبان ، ولكنها أصغر منها حجما ، فهي - على سبيل المثال - حادة الإبصار ، سريعة الطيران ، ولها مخالب حادة ملتوية ، كما أن المنقار ينتهي بصنارة حادة عمودية ، وأرجلها مكسوة بالريش حتى الأصابع ، وهي عادة لا تعيش في جماعات ، بل تكون فيما بينها أزواجا متآلفة ، وقد تستمر العشرة بين الذكر والأنثى طوال الحياة .

ومن الصقريات أيضا ما يعرف « بالعقاب المنسوري » ، وهي تمتاز عن غيرها من طيور تلك الرتبة بأنها تعيش بالقرب من سواحل البحار ، وتتغذى على ما تصيده من الأسماك ، وهي تستخدم في عملية الصيد . أقدامها المجهزة بأشواك كبيرة حادة لا تستطيع الأسماك الإفلات منها على الإطلاق ، وفي بعض الأحيان لا تستطيع تلك الطيور تخليص مخالبها من جسم السمكة إلا بصعوبة فائقة ، فإذا كانت السمكة كبيرة الحجم فربما سحبت الطائر



رتبة الصقريات تسمى للحصول على غذائها أثناء النهار ، وهي تشترك في صفاتها وطبائعها مع العقبان ، ولكنها أصغر منها حجما .

على سبيل المثال - ما ورد في شعر أبي العلاء المعري :
(أرى العنقاء تكبر أن تصادا

فعماند من تطيق له عنادا)
كما ذكر العقاب أيضا في شعرنا المعاصر ، ومن ذلك مثالييت الشعر الذي بدأ به شاعرنا الكبير أحمد شوقي إحدى قصائده الرائعة ، وتلك هي القصيدة التي أنشدتها احتفالا بأول رائد للطيران في الشرق العربي ، حيث يقول فيها :

(أعقابُ في سماء الجسو لاح

أم سحاب فر من هوج الرياح ؟)
وقد جاء في « كتاب الحيوان » للجاحظ أن العقاب يطلق عليه أيضا اسم « العنقاء المغرب » لأنه يجيء من مكان بعيد ، ومن الأفاصيص التي ورد ذكرها في هذا الكتاب الشامل ، أنه قيل لأعرابي : « لو خيرك الله أن تكون شيئا من الحيوان أي شيء كنت تمنى أن تكون ؟ » قال الأعرابي : « عقاب » ، قيل : « ولم تمنيت ذلك ؟ » قال : « لأنها تبني حيث لا يناها سبع ذو أربع ، وتحيد عنها سباع الطير » .



العقاب الذهبي طائرا في السماء ومعه صيده

بيصتين ، ولكن هناك أنواعا قليلة تصنع عددا أكبر من ذلك ، يصل أحيانا إلى ثمان بيضات ، ويستمر حضانة البيض فترة تتراوح بين ٣ - ٦ أسابيع حسب النوع ، وبعد الفقس لا تخرج الأفرار الصغيرة من العش ، بل تبقى بداخله فترة طويلة سسيا ، وقد تصل إلى أربعة أشهر ، تقوم الطيور الكبيرة حلالها بإطعامها والحفاظ عليها حتى تكبر ويشد عودها

وتعد بعض الأنواع من تلك الطيور كالسور والعقبان من الحيوانات المعمرة ، فقد يمتد عمر الفرد منها إلى مائة عام ، وقد سجلت فعلا بعض الحالات في حداق الحيوانات وصل عمر الطائر فيها إلى هذه السن ، وهو رقم كبير بالنسبة لأعمار الطيور الأخرى □

معها إلى الأعماق . حيث تموت عرقا وكو - مصيره الهلاك

الأنواع الكبيرة من « الصقريات كالسور والعقبان والرحم تبنى لنفسها أعشاشا كبيرة الحجم فوق قمم الجبال أو الأشجار العالية ، حتى تكون في مأمن من الهجوم عليها ، واحتطاب البيض منها أما الطيور الصغيرة فتقع بالأماكن الأمنة بين الصخور ، أو في تحويطات الأشجار ، وأحيانا فوق الأرض مباشرة بين النباتات المتشابكة في العابات والأدغال ، ويتم بناء تلك الأعشاش من الأعواد الخافتة وفروع الأشجار وغيرها ، ثم تقوم الطيور بعد ذلك بتبطينها من الداخل بالقش أو الصوف أو الشعر أو الريش لتكون مهدا لينا وتضع الأنثى في معظم الأنواع بيضة واحدة أو

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

■ دور الأهل في اختيار
المهنة المناسبة لأولادهم





دور الأهل في اختيار المهنة المناسبة لأولادهم

بقلم : الدكتورة هدى طحلاوي*

هل ينشأ أولادنا ويكبرون وهم على معرفة بإمكانياتهم الذهنية والعملية بحيث يكونون قادرين على اختيار مهنتهم بأنفسهم ؟ أم أنهم يظلون منذ سني المدرسة الابتدائية وحتى مرحلة متقدمة من العمر بحاجة لتوجيه وإرشادات الأهل ؟ المقال التالي محاولة للإجابة عن هذين التساؤلين المهمين .

ورغباتهم ، معتبرين أولادهم عجيبة طرية ، يستطيعون صبها في قالب الذي يريدون حتى تجف وتأخذ الشكل المطلوب . فمن أراد لولده مهنة الطب حمله على دراسة الطب بشتى الوسائل ، وإن كان كارها لهذه المهنة ، وكذلك يختار له ما شاء من المهن . ولكن النتيجة المخيبة لآمال صفعت الجميع ، وكانت الكارثة ، وهي فشل غالبية أبناء هذا الجيل ، وصار في مجتمعنا جيل من

إن عصرنا الحاضر هو عصر العلم بكل ما فيه من اكتشافات ومخترعات حديثة ، أدهشت الناس وبهرت عيونهم فافتتوا بمنتجاته واختراعاته ، وركضوا وراءها بكل ما يملكون من قوة ، تاركين خلف ظهورهم كل ما خلفته عصور التخلف والجهل الماضية ، وسعى الناس حثيثاً إلى ما فقدوه هم ليجدوا العوض لهم بأولادهم فدفعوا بهم دفعا إلى العلم وتخصصاته ، بجميع درجاته ظنا منهم أنهم بذلك ينالون أربهم

* طبيبة وكاتبة من القطر العربي السوري

الشباب يفرق في الكسل والبطالة حتى أذنيه فهل من منقذ؟!

تعالوا معنا أيها الآباء نستعرض معا تطور الانسان منذ الطفولة وحتى الشيخوخة ، ونرى كيف أن لكل إنسان طباعاً خاصة وشخصية مميزة له ، وكل شخص مقتنع تماماً بطريقته في الحياة وبآرائه ، ولا يسير في طريق إلا برغبته وأهوائه .

نحن وأولادنا

تعالوا نتعرف على حقيقة أدوارنا تجاه هؤلاء الأشخاص الذين هم قسمتنا وحصتنا في هذه الحياة ، أولادنا ، ماذا نقدم لهم ؟ وإلى أي حد يحق لنا التدخل في حياتهم ؟

لا شك أن حنان الأبوين والمربين ضروري لنمو الطفل بجسده وروحه قلباً وقالبا ، ولا غنى للأطفال عنه . إذ يولد الطفل ضعيفاً ، لا يعي ولا يفهم شيئاً مما يفهمه الانسان البالغ ، وهو غير قادر على تأمين ضرورات حياته إذ لا بد من مرب مساعد له في هذه المرحلة حتى تقوى مداركه ، ويشتد عوده ، وهنا يجب أن نفهم أننا لسنا نحن الذين نعلمه كل شيء ، ونقوي جسده ونساعده بإرادتنا . ولكن من الضروري أن نعرف أن الطفل إذا قدمت له المساعدة كي يجا فإن تطوره سيمر بمراحل لا بد منها ، ولا نستطيع نحن التدخل فيها . وهذه المراحل متقاربة بين كل الأطفال ، ودرست من قبل علماء متخصصين ، وضعوا لها جداول خاصة للمقارنة بين الطفل الطبيعي وغيره . فمثلاً هناك جداول خاصة لتطور الأطفال الطبيعيين من حيث الوزن والطول ومحيط الرأس ومحيط الصدر ، وكذلك جداول للتسنين (لمواعيد بروز الأسنان) وجداول للنطق ، وعدد الكلمات في مختلف مراحل الطفولة الأولى ، وهكذا نستطيع أن ننظم

جداول كثيرة لمعرفة التطور الروحي والحركي ، ومعدل الذكاء عند الطفل ؛ وكل هذه الدراسات مبنية على أن الإنسان خلق هكذا ، يتطور وينمو بهذا الأسلوب رغم أنوفنا . فهل سمع أحدنا أن عند بعض الآباء طريقة في التربية تجعل الطفل يتكلم فيها بعمر شهر ، ويمشي بعمر شهرين ، ويصبح رجلاً بعمر سنة ؟!

هنا نقف لحظة متفقيين على أن وظيفة الأهل والمربين في البداية هي مراقبة تطور نمو الطفل وبذل ما في وسعهم من رعاية وحنان لتغذية جسمه وروحه ولزراع بذور الأخلاق التي سيتسم بها مستقبلاً ، وثمار هذه البذور التي نزرعها تتأثر في المستقبل بعدة عوامل : بالتربة الموجودة أصلاً في ذات الطفل ، وبالسقاية والرعاية المقدمتين من الأهل ، ثم بالعوامل المحيطة في مجتمع الطفل ثالثاً .

وخير مثال وشاهد على ما سبق هو أنه في الأسرة الواحدة لا يوجد ولد كأخيه أبداً مهما حرص الأهل على مساواة أولادهم في التربية .

دورنا كأباء

والآن ، لتتابع المسير في ملاحظة تطور الطفل ودورنا فيه كأباء . عندما يتجاوز الطفل مرحلة الطفولة الأولى ومرحلة ما قبل المدرسة ، أي في السنة الخامسة من عمره تقريباً ، فإننا نكون أمام إنسان أصبح يميز بين الخير والشر ، ويقضي حوائجه بنفسه ويمارس هواياته المحببة ، ويفصح عما بداخله ، وماذا يحب وماذا يكره ، ففي هذه المرحلة يحتاج الطفل للقيادة والتوجيه إلى الطريق الصواب ، ويتقبل القيادة ، ولكنه يرغب بأسلوب مريح ومقنع ، إذ يكثر من الأسئلة ويحاول تقليد الآباء وإقناع نفسه بالسبيل الذي سيسلكه ضمن إطاره الصغير وعالمه المحدد ، وفي

الطرق . إنه مركز الانطلاق الذي يمكن تشبيهه بمركز الدائرة والطريق إلى محيطها ، فكل الخطوط المستقيمة تصل مركزها بمحيطها وما أكثرها ولا يمكن حصرها .

عند مفترق الطرق هذا يجب التفكير كثيرا قبل سلوك أي طريق ، لأنه من الصعب التراجع من منتصف الطريق لسلوك طريق غيره . هنا يجب على الأهل أن يكونوا أذكياء وواعين للتنبيه بالطريق المناسب لولدهم ، ويجب أن يشاركوه الاختيار فلا يختارون له وحدهم ، ولا يتركونه يسير كيف يشاء ، لأنه لم يبلغ سن الرشد بعد ، كما أنه قليل الخبرة في تدبير شؤونه بنفسه ، ولكنه يعبر عما يجب ، ويبدى ارتياحه وانسجامه لبعض الأعمال ، وبعض التخصصات ، وما على الأهل إلا فهم هذه الأمور وتحقيقها لولدهم .

ولكن بعد تشذيبها وتنظيمها بإطارها الجميل الصحيح ، دون النظر إلى نوع اختيار ولدهم ، هل أعجبهم أم لا ، طالما أن عمل ابنهم في المستقبل سيكون ذا فائدة للمجتمع ، ويعينه على كسب قوته . وهذا النوع الهادف من العمل هو الذي يتدخل فيه الآباء لإقناع أولادهم بالعمل والقيمة الاجتماعية . ويجب اقناع الطفل في كل خطوة بخطوها ، فهو إنسان ، والإنسان عاقل بالفطرة . الحجة والعقل عنده هما الأساس في كل شيء ، حتى ولو كان صغيرا جدا . فإذا كان للطفل عقله وإدراكه اللذان يأتیان إلا أن يلمس المدفأة الساخنة ، حتى يعرف لماذا يطلب أهله منه الابتعاد عنها ، فكيف بمن هم أكبر عقلا وسنا ؟ لذا أولا : يجب أن يكون العمل مفيدا ، وثانيا : يجب تحقيق النجاح في هذا العمل وتوفير السبل اللازمة لذلك ، ولأهل دور كبير في هذا ، وذلك بحض ولدهم على التفاني والاختلاص في العمل ، وتعليمه تنظيم أوقات عمله وراحته . ويجب ألا يعمل فوق طاقته ، وأن يستفيد من

هذه المرحلة تبدأ قابليته وقدرته على التعلم ، ولكن معدل الذكاء يختلف بين طفل وآخر ، ويجب إلحاقه بمدرسة للتعليم تدرب حافظته بالأغاني والأناشيد ، وعد الأرقام وكتابة أحرف الأبجدية ، واكتساب التأقلم مع الجماعة . ويجب على الأهل الإشراف على ما يتعلمه الطفل وتثبيت معلوماته ، وتنميتها كدور مساعد للمدرسة ، وهنا يبدأ دور التمايز بين الأطفال المجدين منهم والمقصرين والكسالي . وظاهرة الكسل هذه يجب أخذها بعين الاعتبار لمعرفة أسبابها ، فإن كان السبب ضعف معدل الذكاء عند الطفل وجبت مراعاته بشكل خاص ، وتعليمه ببطء وتكرار أكثر ، وفرضه مع أمثاله عن الأطفال المجدين حتى لا يكونوا عائقا لهم ولمدرسيهم ، وإن كان سبب كسلهم قلة العناية والاهتمام بهم وجب المزيد من الاهتمام ، وخاصة في المراحل الأولى للتعليم حتى لا يعتاد الطفل الكسل . فإن التشجيع والعناية يقعان على عاتق المدرسة والبيت معا .

عند مفترق الطرق

في مرحلة المدرسة الأولى التي تسمى المرحلة الابتدائية ، يتلقى الأطفال جميع العلوم الأساسية الضرورية في حياتنا العملية ، كالقراءة والكتابة والحساب الضروري فقط في إدارة شؤوننا ، وكذلك التاريخ الضروري عن مجتمعاتنا خاصة والعالم من حولنا بشكل عام ، وجغرافية القطر الذي نسكنه تفصيلا، وجغرافية العالم موجزا ، والقانون الذي يحكمنا : ماذا يحرم وماذا يحلل ؟ والحقوق والواجبات المشروعة فيه ! وبهذا يكون كل فرد في المجتمع مؤهلا لأن يحيا حياة واعية وناجحة مهما كان عمله مستقبلا .

أما عند انتهاء المرحلة الابتدائية فيتم الوصول إلى المفترق الرئيسي . فمفترق كبير تشعب منه

أوقات الراحة ، ويترك حراً في ممارسة ما يحب من الهوايات خارج أوقات العمل ، إذ يجب أن يكون لكل إنسان عمل نافع وهواية يتسل بها في أوقات الفراغ ، وليس من الضروري أن تكون الهواية ذات فائدة للمجتمع ، المهم أن لا تكون ضارة له . بأن تسر صاحبها .

حب العلم وتقديره

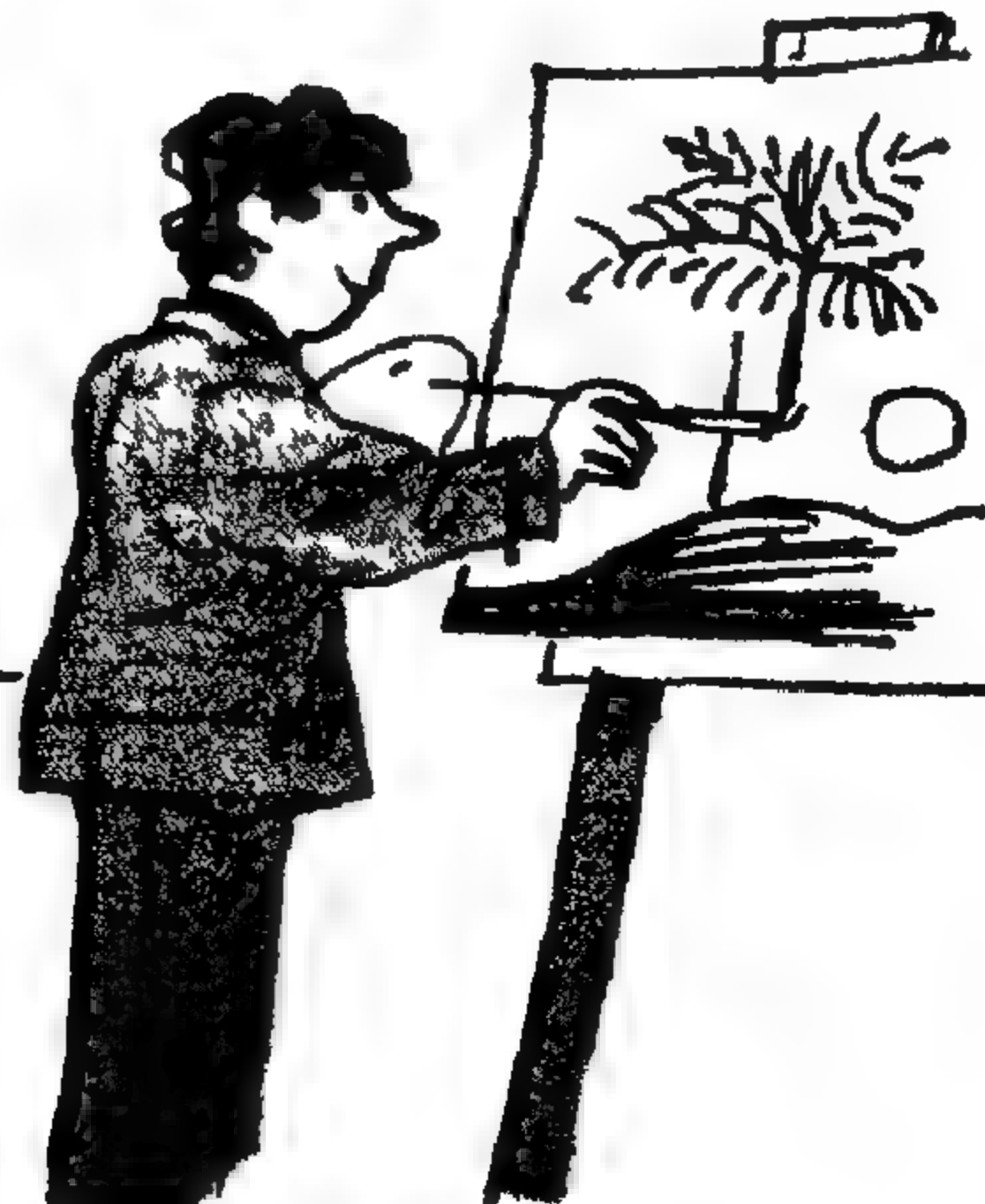
إلى هنا نستطيع القول : إنه مهما كان العمل الذي سيقوم به كل فرد وصل هذه المرحلة في المجتمع ، فإن ما تلقاه من علوم أساسية تكفي لأن يحيا حياة طيبة ولا يحتاج للمزيد من التفاصيل في العلوم ، سواء كانت أدبية أو علمية ، إلا الذين يرغبون بهذا المزيد ويبدون الشغف في حب العلم وزيادة الاطلاع ، هؤلاء يجب تشجيعهم بتوفير الجو الملائم لهم للدراسة ، ومحاولة إجابتهم على أسئلتهم ، وجلب ما يلزمهم من كتب يجوبون قراءتها ، ودفاتر يسطرون عليها انطباعاتهم وأفكارهم ، ونحاول تعريفهم على أهل العلم ، ليتبادلوا معهم الآراء والأفكار والكتب ، وهذا لا يوجد عند كل البشر .

حب العلم لا يفهمه إلا المتعلمون بإرادتهم وهوايتهم ، وهم حفنة قليلة من البشر ، ومتطلبات الحياة تقتضي وجود مثل هؤلاء العلماء ، ولكن ليس من الضروري أن يكون كل أفراد المجتمع علماء ، لأنهم أولا : لن يكونوا هكذا نظراً لاختلاف مستوى الأشخاص . وثانياً

لأن المجتمع لا يستطيع العيش أبداً إذا كان هذا شأنه ، ولا بد من وجود الاختصاصات جميعها ، لتأمين متطلبات الحياة والعيش الرغيد ، المهندس ، التاجر ، العامل . وأكبر نسبة يحتاجها المجتمع هي نسبة العمال ، لتعدد الأعمال الضرورية التي يجب إنجازها لتأمين المعيشة اللائقة للمجتمع ، من بناء المنازل وتنظيف الطرقات ، وتأمين المأكل والملبس بكل أنواعه ، وتأمين المواصلات المريحة في تنقلاتنا ، وتوفير الماء والدواء الضروري ، وأكبر مثال على ذلك تحضير رغيف الخبز حتى في عصر الآلة . كما يقال : إن كثيراً من العمال يعملون ويتعاونون لإنجاز الخبز فقط فكيف ببقية متطلبات الحياة !

تمايز البشر

ومن الجدير بالذكر هنا ، أنه لا بد من وجود تمايز بين البشر ، ليس تمايزاً عرقياً أو دينياً . وإنما تمايز الإنسان المبدع ، والطموح المتقن للعمل عن غيره . ولا بد أن يصبح أعلى شأنًا من بعض أفراد المجتمع حوله ، وهذا من سنة الكون وفطرته ، إذ لا بد في المجتمع من وجود الرئيس والمرءوس ، الغني والفقير ، العالم والجاهل ، وخلاصة القول : إن دور الأهل يتحدد في البداية بالإشراف على تعليم أولادهم العلوم الأساسية الضرورية في الحياة العملية ، والتي سبق ذكرها آنفاً ، ثم في تشجيع أولادهم على المضي قدماً في العمل الذي يحبون والذي سيحمل الخير لهم وللمجتمع : فإن كانت الاستزادة من التعليم واللحاق بركب العلماء تحقق ذلك بالاختصاص الذي يجب ، وإن كان عملاً نافعا للمجتمع بدأه منذ الصغر عند انتهاء تعليمه الأساسي ، لأنه كان في مدرسته أكثر استعداداً لتعلم المهن وأكثر احتمالاً وصبراً لتنفيذ متطلبات المهنة ، فإنها تشب وتكبر معه لي طرحها مستقبلاً في مجتمعه . □



التشبيهاات والألعاب التربوية تقنية مهمة في التربية العربية

بقلم : الدكتور أنور طاهر رضا

يقدم الكاتب عرضاً لتقنية مستخدمة في الغرب بشكل متطور ، هي
تقنية استخدام التشبيهاات والألعاب في مجال التربية ، ويدعو التربويين
العرب إلى الاستفادة من هذه التقنية وتطويرها .

حصلت تحولات كبيرة في التربية في الغرب ،
ولعل أهم هذه التحولات الانتقال من الطرائق
التي تتمركز حول المعلم الى تلك الطرائق التي
تتمركز حول الطالب . تكون مشاركات الطلبة
في مثل هذا النوع من التعليم أساسية ، حتى
يساير التعليم ميولهم واتجاهاتهم ، ويتصف
بالفردية التي تتماشى مع قابلياتهم الخاصة .
تعريف وتمييز :

إن التقنيات التربوية التي تتعامل مع كل
ميدان من ميادين التربية إنما تستهدف أصلاً
التصميم والتقييم والتطوير للمناهج التعليمية ،
وخبرات التعلم ، وحل ما يتصل بهما من

ما تزال التربية والتعليم في الوطن العربي
مبنين على أسس تقليدية قديمة . تمتاز
التربية هذه باعتمادها على العنصر الأساسي فيه ،
وهو المعلم الذي يلجأ عادة الى إلقاء الدرس
مستعينا بالطباشير والكلام ، وبعض الصور
البسيطة التي تزول شيئاً فشيئاً بمرور المراحل
الدراسية ، حتى اذا ما وصلنا الى التعليم
الجامعي فإنه يقتصر في كثير من الأحيان على
المحاضرة المجردة ، التي ربما لا يسمعها أحد ،
أما مشاركات الطلبة في هذا النوع من التعليم
فتكون على أقلها في العادة .

لقد أثبتت تساؤلات كثيرة حول جدوى
تعليم يكون فيه دور الطلبة سلبياً . وقد

المناقشة ، أو حتى المباراة التي تجري بين الطلبة اللاعبين ، بناء على شروط وقوانين ، من أجل الوصول إلى هدف معين ، وتتقرر نتائجها بمهارات عقلية أو جسمية أو حتى الحظ أحيانا .

يتبين من التعريف السابق عدد من العناصر التي لا بد من توافرها في اللعب ، لكي يكون لعبا تربويا . فهو يتضمن المنافسة . وعلى الرغم من أن المنافسة يمكن أن تجري بين الفرد ونفسه ، فإنها تتضمن في العادة عددا من الطلبة الذين ربما ينقسمون إلى فرق . يسير اللعب حسب شروط محددة أو قوانين تم الاتفاق عليها ، والخروج عن هذه الشروط والقوانين يعد إخلالا باللعب ، وربما يؤدي إلى الخسارة .

إن فكرة التعلم من خلال اللعب في المدرسة الابتدائية قديمة قدم التربية نفسها ، على أن التشبيهاً والألعاب التربوية قد بدأت تستخدم حديثا ، في كل من المرحلتين الثانوية والجامعية . هذه بعض الألعاب التربوية التي تستخدم في المراحل الدراسية المختلفة في البلدان المتقدمة ، نستعرضها كنماذج من أجل تحويلها أو كتابة ما يماثلها من حيث المبدأ ، أو استحداث غيرها . إن لعبة (مزرعة هيرد فوردشاير) لعبة بسيطة منظمة ، توفر أفكارا

المشكلات التي تنبع من التطبيق . وهي بمحاولاتها هذه تحسن عملية التدريس ، وتبني الابتكار ، وتخلص الطلبة من الوتيرة المتكررة التي تسير عليها طريقة الإلقاء . إن التشبيهاً والألعاب التربوية ميدان من ميادين التقنيات التربوية التي تعد بحد ذاتها تجديدا في ميدان التربية .

لقد لقيت التشبيهاً والألعاب التربوية اهتماما كبيرا في الستينيات والسبعينيات من هذا القرن في البلدان المتقدمة . فماذا يقصد بالتشبيهاً والألعاب التربوية ؟ وما أوجه الخلاف والتشابه بينهما ؟ وماذا يمكن أن يحقق بواسطتهما ؟ ولماذا كل هذا التأكيد عليهما ؟ ليس من السهولة أن نرسم حدودا فاصلة ، ونضع قوانين ومبادئ للفصل بين التشبيهاً والألعاب التربوية ، طالما أن أنواعا كثيرة منها تشترك في عناصر مهمة وعديدة . تصمم التشبيهاً والألعاب التربوية عادة لتدريس مادة يمكن تدريسها بطريقة أخرى ، على أن دوافعها أقل .

الألعاب التربوية :

يعرف « ابت » الألعاب التربوية بالطريقة العامة التالية : « أي نوع من المنافسة ، أو



أخرى ، أو أن هذه الطرائق ليست ملائمة للتزويد بهذه الخبرات .

يتضمن التشبيه دائما نموذجا يكون صورة مبسطة من الواقع ، إذ أن النموذج يقلل من التعقد الموجود في مواقف الحياة الواقعية . وتؤخذ عادة من الواقع تلك الأجزاء الأساسية فقط لأهداف التعلم .

تمثيل الدور :

يتضمن هذا النوع من التشبيه عنصر التمثيل ، وربما يكون السبب في تسمية التشبيهات التمثيليات ، غير أن لتمثيل الدور أهدافا تربوية مهمة أخرى . والغاية عادة من تصميم هذا النوع من التشبيه ، تزويد المشتركين بالخبرات الشخصية التي يستحيل تزويدهم بها بطريقة أخرى . قد يكون تمثيل الدور ضروريا لتزويد المشارك بالخبرة ، كما يحدث عادة في تمثيل دور أعضاء البرلمان ، أو تكون الأدوار الفردية ثانوية ، ولكن جمعها يخلق خبرة عامة للمشاركين ، كما يحدث في حالة تمثيل دور إقرار الأولويات .

هناك نوع خاص من تمثيل الدور الذي يطلق عليه أوراق في السلة أو الملف . وقد صممت هذه التشبيهات من أجل تطوير مهارات اتخاذ القرارات لدى طلبة كلية الإدارة . وهنا يواجه المتدرب بملف يتضمن الرسائل والمذكرات ، والقرارات المالية وغير المالية التي اتخذتها هيئة المؤسسة المذكورة ، والتي يمكن أن تقدم إلى مدير المؤسسة في يوم اعتيادي . يتوقع من الطالب الذي يلعب دور المدير أن يدرس جميع هذه الأوراق ، ويصدر أوامره ، ويرسل الرسائل ، ويجري الاتصالات الهاتفية ، ويخطط للاجتماعات القادمة ، كأنه في موقف وظيفة حقيقية .

أساسية عن عملية الزراعة ، واتخاذ القرارات التي تتضمنها . يستخدم هذا اللعب على مستوى طلبة المرحلتين الابتدائية والثانوية . (الصفحة الأولى) لجريدة مثال بسيط آخر تستعرض المحددات الإضافية والعمل ضد الوقت . وتستخدم هذه اللعبة في المدارس الثانوية الانكليزية في مواقف متعددة ، لطلبة تتراوح أعمارهم بين ١٤ - ١٨ سنة و(أزمة أزييم) هي مثال آخر عن حرب بين قطرين ، وتركز حول العلاقات الدولية . وتصلح هذه اللعبة لطلبة العلوم السياسية في الجامعة .

التشبيهات التربوية :

يستخدم الكتاب العرب في ميدان التربية عددا من التعابير ، للدلالة على كلمة Simulation الأجنبية . لقد استخدمت كلمة التمثيليات أو المسرحيات لهذا الغرض . وواقع الحال أن التشبيهات تختلف عن التمثيليات والمسرحيات ، لأن كل صغيرة وكبيرة محددة في التمثيليات والمسرحيات ، ولا يحق للممثل أن يغير فيها أي تغيير ، فدوره مرسوم مسبقا ، وما سيحدث يكون إعادة ما في التمثيلية أو المسرحية . أما التشبيهات فإن الخطوط الأساسية فيها هي التي تكون عادة مرسومة ، ويواجه الطلبة بمواقف جديدة ، وعليهم أن يسلكوا طريقا محددًا ويتخذوا القرارات المناسبة التي تستند على معلوماتهم السابقة . إذ ليس هناك تكرار لأشياء سابقة ، بل ابتكار لقرارات جديدة .

يعرف « برتون » التشبيهات التربوية بأنها « محاولة إعطاء مظهر شيء ، أو إعطاء تأثير شيء آخر » . إن التشبيهات التربوية لا تتضمن بالضرورة المنافسة ، وقد صممت لتزويد الطلبة بخبرات ، لا يمكن تزويدهم بها بأي طريقة

إن دراسة الحالات عبارة عن تدريبات معقدة من اتخاذ القرارات ، تتضمن عادة درجة عالية من العمل التحليلي والتقييمي . تستخدم هذه الطريقة أكثر من غيرها من طرائق التشبيهات . توصف المواقف في هذه الحالة وصفا حقيقيا أو خياليا . يطلب من المشتركين أن يقرروا ما يجب عليهم أن يقوموا به ، أو يطلب منهم أن يسوقوا الاحتمالات ، من أجل حل الإشكال . إن دراسة الحالة طريقة فعالة في إثارة المناقشة التي تدور حول مشكلة مشتركة ، تركز على الخبرات . وهي تتصف بالسماح للطلبة أن يبقوا بعيدين عن نتائج القيام بعمل . ولهذا السبب فإن بعض المؤلفين يعدونها شيئا يقع خارج التشبيهات التربوية . على أن دراسة الحالة عنصر أساسي من عناصر تمثيل الدور ، ولهذا السبب تعد جزءا من التشبيهات التربوية .

يمكن دراسة حالة جامعة معينة أو قسم معين ، وطرح المشكلات التي تعانيها تلك الجامعة أو القسم ، ويقوم الطلبة بعد الاطلاع على المشاكل والإمكانات برسم الخطة الكفيلة للتغلب على تلك المشكلات .

أهداف التشبيهات والألعاب التربوية :

إن الأهداف التربوية هي نقطة البداية في كل تقنية تربوية ، ولولاها لأصبحت عمليتا التربية والتعليم مبتورتين ، ندرج أدناه بعض الأهداف التربوية التي يمكن أن تحقق بواسطة التشبيهات والألعاب التربوية . وما هو جدير بالذكر أنه قد لا يمكن تحقيق جميع هذه الأهداف التربوية بواسطة تشبيه أو لعب تربوي واحد ، على أن بعض التشبيهات التي صممت بطريقة جديدة تستطيع أن تحققها جميعا :

١ - إثارة الدوافع لدى الطلبة .

٢ - خلق موقف تعلم ممتع للطلبة .

٣ - ضمان مشاركة الطلبة في نشاط التعلم .
٤ - خلق موقف يؤدي إلى تعلم أكثر فاعلية .

٥ - ربط التعلم الذهني بالتعلم الانفعالي .

٦ - تعليم « ديناميكية » الجماعة .

٧ - توفير التعلم بالخبرة .

٨ - تعليم الوجوه المختلفة لاتخاذ القرارات .
أرجو ألا يفهم من العرض الذي قدمته أن التشبيهات والألعاب التربوية هي الدواء العام الشافي لمشاكل الصف في المدرسة ، ولا يمكن الادعاء بأنها أفضل طريقة تدريس ، يمكن للمدرس أن يستخدمها بأي حال من الأحوال . إن التشبيهات والألعاب التربوية طريقة أخرى ، يمكن للمدرس أن يستخدمها جنبا إلى جنب مع الطرائق الأخرى . ولكنه يجب ألا يخفى عن البال أن هذه الطريقة الجديدة تثير الحافز لدى الطلبة ، وتشجعهم على المشاركات الجماعية ، وتشكل اتجاهاتهم بطريقة يشعرون أنها هي اتجاهاتهم الشخصية وليست مفروضة عليهم . إنها طريقة ذات أهمية كبيرة ، تستحق العناية والتجريب . إن أفق التشبيهات والألعاب التربوية اتسع بشكل كبير بإيجاد الآلات المبرجة (الحاسوب الآلي) المصغرة الحديثة . وبشيوع هذه الآلات أضحينا بحاجة إلى مزيد من التشبيهات والألعاب التربوية .

إن الكتاب العرب مدعوون إلى تطوير التشبيهات والألعاب التربوية الغربية السابقة ، أو غيرها ، أو إعداد حقائب تعليمية كاملة منها ، تتضمن اعتبارا من الأهداف التربوية الخاصة ، مروراً بأسس تطبيقها إلى التقييم والقياس . والأخيرة إذا ما كلفت مع الحاجات الخاصة أصبحت أنسب من غيرها . فهل هناك من يجرؤ على الدخول في هذا الميدان ؟ ولا ننسى أن تطوير التربية العربية بحاجة إلى مزيد من الجراءة . □



طبيب الأسرة قضايا منزلية

مرض البهت البيضاء

الدكتور: حسن فريد أبو غزالة

فيما بين الفخذين ، حيث فتحة الشرج والأعضاء التناسلية ، إذ يتشر طفق متفاوت الحجم ، مختلف الأشكال ، على هيئة حبيبات بيضاء عاجية اللون ، تحيط بها دائرة حمراء . هذه الحبيبات المتناثرة في مبدأ الأمر تلتشم وتتماسك ، ثم يصبب المنطقة ضمور ، ثم يصبح في كل حبيبة انخساف تملؤه سدادة قرنية الملمس .

ثم تتطور الحالة ، فتظهر بعض الحويصلات ، ويتلون الجلد ، ويتجمع . ولا يعرف الطب سببا مباشرا للاصابة ، وإن كان بعض يناهض بوجود خلل هرموني عند الانسان المصاب .

على أي حال فالمرض حميد العاقبة على الرغم من طول مدة الاصابة التي تتخذ صورة مزمنة .

وإن الأطباء لم يستقروا على سبب يجمعون عليه ، فالعلاج ما زال اجتهاديا ، إذ يستعمل بعض عقاقير الكورتيزون ، سواء منه الدهانات الرخيصة أو الأقراص التي تؤخذ بالفم ، كما أن بعضا آخر قد يلجأ إلى الهرمونات الأنثوية وفيتامين (سي) ، ولا أحد يميل إلى الاستئصال الجراحي ، إلا إذا داخله الشك في وجود تغيرات سرطانية خبيثة ، ويخشى منها على حياة المريض .

أصببت ابنتي الصغيرة عندما كانت في السادسة من عمرها بمرض في منطقة العجان (بين الفخذين) بطفح أبيض اللون يثير حكة شديدة .

وعلى الرغم من مراجعة العديد من الأطباء واستعمال الكثير من الأدوية لم أجد تحسناً . وقد مضت على ذلك أربع سنوات ، ولم أتبين اسمه تماما . وقد قيل لي إنه مجهول السبب .

فهل لكم أن تصفوه لي ، وأن تعرفوني بطبيعته وعلاجه ؟

السيدة/ فوزية احمد / ولنجتون - استراليا

قد يسميه بعض مرض الحزاز

الأيض ، كما يسميه بعض آخر باسم الحزاز المتصلب . وهو مرض شيع أكثر ما يشيع بين الاناث ، وبخاصة في مرحلة ما قبل البلوغ ، وفي مرحلة ما بعد انقطاع الطمث التي تعرف باسم سن اليأس ، ومع هذا فهو مرض لا يستثنى أحدا ولا عمرا .

أعراض المرض وعلاقاته : يشكو المريض من حكة في موضع الاصابة ، وبخاصة منطقة العجان





ردود سريعة

الأخرى سليمة فلا داعي للقلق ، أما عن طولك ووزنك بالنسبة لعمرك فيبدو أنك تميل إلى البدانة ويا حبذا لو نقص وزن جسمك بضعة كيلو جرامات ، لأن هذا أفضل لمستقبل صحتك .

■ الأخت / س . ص . - بانياس - سوريا
النحافة ليست مرضا في حد ذاتها ، وإنما هي ظاهرة تصاحب الكثير من الأمراض وليس لها سبب معين محدد ، وإنما أسبابها عديدة وعلاجها يكون بعلاج السبب. ولهذا فلا بد من كشف شامل ، يتولاه طبيب مختص لتقصي الأسباب المسببة للمرض الذي أحد مظاهره النحافة ، ومن ثم علاجه ، فالحميات والأمراض المعدية كالدرن والتيفوئيد على سبيل المثال أو الأمراض النفسية جميعها تسبب الهزال والنحافة ، وهكذا وعلى أية حال فنحن نرجو أن تتاح الفرصة لطرح قضية النحافة موضوعا رئيسيا في باب طبيب الأسرة تعالج فيه شتى جوانب هذه الظاهرة .

■ السيد / ح . غ . ق - مراكش - المغرب
ان وصفك لمشكلة أذنك لا يكفي لتشخيص مرضك ، بل الأمر يحتاج إلى كشف من أخصائي الأذن وإجراء تحليلات وصور أشعة ، ولهذا قد يكون من الأصوب تزويدنا بتقرير طبي من طبيب مختص فرما نستطيع المشورة عليك برأي صادق ، ولكننا ننصحك بالتزام رأي الطبيب المختص المعالج ، كما أن ضعف السمع في مثل حالتك أمر متوقع فلا داعي للقلق أو الدهشة .

■ السيد / ل . ع . م - دمشق - سوريا
ننصحك بمراجعة طبيب مختص لفحصك مع طمأنتك مبدئيا بأنه لا خطر عليك أبدا . □

■ الأخت / ع . فاطمة - المغرب
لماذا لا تستشيرين طبيبا مختصا في أمراض النساء ، ليقوم على فحصك وتقصي سبب معاناتك قبل البحث عن العلاج لعله مجهول الأسباب ؟ ! .

■ الأخ / س . م . ف - عمان - الأردن
يصعب الحكم على سبب نقصف أظافر القدم وبطء نموها ، فرما كان نقصا في الحديد وحاجة الجسم إليه ، أو ربما كان سببا آخر ، لهذا فأنت بحاجة إلى فحص طبيب مختص في الأمراض الجلدية والعمل بنصيحته بعد استشارته .

■ الأخت / ش . ص - حولي - الكويت
ربما كان هناك عامل وراثي أثر في تحدب قرنية العين وهو السبب في شيوع لبس النظارة بين أفراد الأسرة كلها ، لكن النظارة لا تشفي من عيوب البصر ولا تزيدها سواء بل هي تريح النظر وتساعد صاحبها على القراءة ، وقضاء حاجاته اليومية دون متاعب ، غير أن إعادة الكشف وتعديل قوة العدسة بين حين وآخر أمر لازم ، وعيوب النظر لا تعتبر مرضا بالمعنى الدقيق بقدر ما هو عيب خلقي أو مكتسب لتحذب القرنية أو حجم العين .

■ السيد / ج . م . - المغرب
لماذا لا تعرض نفسك على أخصائي الأمراض الجلدية ليتولى فحصك ويتقصي سبب معاناتك ومن ثم يصف لك ما يراه مناسبا لعلاجك ؟ !

■ الحائر / ص . ب . ف - حضر موت - المكلا
إن استئصال الخصية اليسرى لا يؤثر على الكفاءة الجنسية ولا يسبب العنة أو الضعف ، كما أنه لا يسبب العقم وعدم الانجاب ما دامت الخصية

قال المغني

جلس المغني على كرسيه في منتصف المسرح . العود في يده ، ومكبر الصوت « الميكرفون » أمامه ، وخلفه وقف الموسيقيون ، وبدأ الاحتفال . كان صوت المغني عاديا جدا ، لكن كان هناك أكثر من شيء غير عادي في الاحتفال عموما ، فالكلمات التي اختيرت من قصائد لكبار الشعراء العرب لم تكن شيئا عاديا ، والأداء الذي لم يعتمد على الصوت الجميل لم يكن عاديا ، كما لم يكن عاديا تمكن المغني من خلق علاقة مع جمهور الحاضرين ، وتحويلهم من شخصيات سلبية بحكم وجودها في ذلك الجزء من القاعة الذي يفترض فيه التلقي ، إلى جمهور مشارك في أداء الغناء الذي سيطر على جو القاعة من بداية الاحتفال حتى نهايته ، من أول القاعة حتى آخرها .

غنى الجمهور واقفا ، وغنى جالسا ، وضبط بتصفيق الأيدي ودق الأرجل إيقاعا جميلا بلا آلات موسيقية . غنى المغني وصفق الجمهور ، وغنى الجمهور وصفق المغني ، واشترك الجمهور والمغني في غناء استفاد من أصوات أنين المجروحين ، ومن هتافات المتظاهرين ، ومن غناء عمال البحر والصيادين ، ومن ترانيم الأمهات لأطفالهن في الليالي الحزينة . كان كل شيء في الاحتفال جديدا ، من كلمات الأغنيات إلى ملابس المغني العادية المتواضعة ، إلى العلاقة التي نشأت بين المغني والجمهور ، واستمرت طوال مدة الاحتفال . كان ما رأيته غناء « وليس طربا » ، وما قام به الجمهور مشاركة في الاحتفال وليس تلقيا . صورة جديدة للغناء تختلف عما ألفناه منذ سنين ، حين كان يقف « المطرب » على المسرح ببدلته السوداء اللامعة وقميصه الأبيض ذي الأزرار الذهبية ، وبدأ باستعراض إمكانياته الصوتية أمام جمهور أقر ليستمع ويصفق لمهارات « المطرب » ، حتى ينتهي الاحتفال ، فليس مسموحا ضمن تقسيم الأدوار بين المطرب والجمهور بأكثر من هذا .

وما فعله مارسيل خليفة ، بهذه الطريقة الاحتفالية الغامرة ، فعله فنانون آخرون في مصر والعراق وفلسطين والمغرب ، كل بطريقته الخاصة . أما الهدف فهو إعادة الاعتبار للعلاقة بين المغني والجمهور الذي حضر ليحتفل ، لا لمشاهد حفلا ، وليتحول من متفرج ومستمتع سلبي الدور ، إلى مشارك في عرس أو تظاهرة صاخبة ، أو أغنية حب دافئة ، أو أنة حزن دفين ، فمهمة « المغني » أن يغني مع الحاضرين ولهم ، وليس ليظهرهم بإمكاناته الصوتية مهما كانت كبيرة . □

صلاح حزين



رئيس التحرير: د. محمد الرميحي

يشترك في تحريرها مع الفنان والفتيات العرب
نخبة من كبار الفنانين والكتاب المتخصصين

في هذا العدد

■ استطلاع "الفنون الشعبية"

■ لتمام .. قصة بالرسوم

■ دعوة لزيارة سلطنة عمان

■ ذات الهمّة الحلقة السادسة

■ شجرة الدر "سلسلة تاريخية"

■ من أيام الطفولة .. بهجت عمان

إضافة للأبواب الثابتة

- استلاليات
- كمبيوتر
- ٨ صفحات
- لأخيك الصغير وأختك الصغيرة
- دائرة معارف العربي الصغير



جمال العربية

□ صفحــة لغـة
□ هـكـذا غـنى الأتـباء

بقلم : الدكتور حسن عباس

كلمات نتحاشى استعمالها وهي صحيحة

التي استحدثت في أدبنا العربي : الرواية والمسرحية والقصة القصيرة . ثم ساعد ظهور الإذاعتين المسموعة والمرئية على شيوع هذه اللغة ، فعم انتشارها ، حتى غدت تطرق أسماع الجماهير صباح مساء ، ومن الجماهير من لم يُقِم أي شكل من أشكال العلاقة مع الكتاب أو الكلمة المكتوبة حيثما وجدت .

وهكذا قدر لهذه الفصحى الميسرة أن تغدو لغة الأدب الحديث ، ولغة الصحافة على تعدد ألوانها ، بل ولغة الحديث اليومي لدى الأوساط التي أتاحت لها مستويات مرموقة من التعليم والثقافة . ومن هنا ندرك أن انتشار التعليم ، وازدياد حظ الناس منه ، جديران بإحلال الفصحى المعاصرة محل العامية ، أو التخفيف من غلواء الأخيرة وإغراقها في المحلية على أي حال — وليس كل كلام العامة حوشياً ، ينفر منه الذوق الأدبي ، ويأباه الحس الفني ، بل إن فيه كلاماً فصيحاً ، حسب الناس أنه عامي لكثرة دورانه على الألسنة ، وجاوزه الذوق العام لطول الإلف والعادة . ولكنه يظل فصيحاً على الرغم من الحلة الشعبية التي يرتديها .

كنا في العدد الماضي (٣٦٦) قد وقفنا على جانب من تلك الألفاظ العامية الفصيحة ، كما

لا نحسب أن الادعاء القائل بأن الفصحى لغة ، والعامية لغة أخرى يستقيم أمام النظرة الفاحصة المتبصرة ، فنحن إذاً نحينا الدخيل من اللهجات أمكننا إرجاع أكثر المفردات الدارجة على ألسنة العامة إلى أصولها العربية الفصيحة . والتحريف الذي يلحق الكلمة حتى تتحول من كلمة فصيحة إلى أخرى عامية لا يجاوز القلب أو التخفيف أو التضعيف أو نحو ذلك ، ولكن الصحيح الثابت هو أن الفصحى والعامية تمثلان مستويين من مستويات الخطاب ، لا لغتين مختلفتين ، فإن بينهما من الشوائب وصلات القرى ، ما لا يغفل .

ولقد أتاحت للفصحى فرصة للظفر بالعامية ، حين عم استعمال ما يمكن أن نسميه « الفصحى الميسرة » ، أو « الفصحى المعاصرة » ، عن طريق الصحافة العلمية والأدبية والسياسية منذ قرن ونيف ، وقد ساعد ظهور هذا المستوى الميسر من الفصحى على اقتباس أنواع أدبية جديدة ، لعل اقتباسها كان متعذراً في ظل الأساليب التي كان يحلو لأصحابها أن يزينوها بالسجع والبديع والجزل الفخم من الألفاظ ، بل وبالفريب الحوشي منها ، مما لم يعد له وجود إلا في معاجم اللغة . ومن هذه الأنواع

أوردها الدكتور محمد داود التنير ، في كتاب « ألفاظ عامية فصيحة » ، ونقف اليوم على جانب آخر من تلك الألفاظ والصيغ :

• الطَّيِّب : ومن تلك الألفاظ قول الناس : فلان رجل طَيِّب ، ومحسبها بعض الناس عامية ، وهي عربية فصيحة ، فالطيب من الناس من تخلّى عن الرذائل وتخلّى بالفضائل .

• طَيِّب : تستعمل هذه الكلمة كثيراً للتصديق على الكلام ، أو لوصفه ، أو لاستحسان بعضه ، أو للتهكم من بعضه الآخر . والكلمة عربية فصيحة ، ومع ذلك نتجنبها في الكتابة ، ونشيع عنها عند ترجمتنا للكلمة المماثلة في اللغات الأجنبية . فكلمة طيب معناها كلام طَيِّب . وطاب الشيء طيباً وطيبة : جاد وحسن ، ومعناها زكاً وطهراً . والطَّيِّب هو ما خلا من الأذى والخبث ، وكل ما تستلذه الحواس والنفس .

• طهارة المولود : نتحاشى عبارة « طهر المولود » أو يوم طهارته ، ونستعمل بدلاً منها تحتها ختاناً ، خشية الانزلاق إلى العامية ، ولكن العبارة الأولى صحيحة فصيحة ، شأنها شأن الأخرى .

• الطقطقة : يقولون في الكلام : فقرات ظهري تطقطق ، أو أن الأرض الخشبية كانت تطقطق وهو سائر عليها ، وهي فصيحة ، فلفظة طق هي حكاية صوت الحجر أو الحافر ، والطقطقة فعلة مثل الدققة ، معناها صوت ، أو كثر صوته ، أو تفرقع ، وهي تكرار طق .

• العتب على النظر : عبارة يقولها الناس حين يعتذرون عن عدم رؤية شيء ، والأصل صحيح ، فالعتب هو النقص والفساد ، وهو أيضاً الشدة والأمر الكريه ، وكأنهم يقولون : عفواً فالنقص في البصر .

• العَتَمَة : ويقولون جاء في العَتَمَة ، ولم آره في العَتَمَة (وينطقها العامة أحياناً بتسكين التاء) وهي فصيحة ، فعتمة الليل ظلام أوله بعد

زوال نور الشفق .

• عَجَزْنَا وعَجَزَتْ : يقولون : عَجَزْنَا ، أو عَجَزَ فلان ، أو عَجَزَت المرأة ، أي صارت عجوزاً . والعجوز هو الهرم للمذكر والمؤنث . وعَجَزَتْ تستعمل في الكلام ، وتجتنب في الكتابة . أو في الكلام الفصيح ، مع أنها فصيحة . فعَجَزَت المرأة معناها صارت عجوزاً وعجوزة ، وهو الاستعمال الدارج ، وكلها فصيحة .

• خَرَّيج : يقولون : هو خَرَّيج كلية كذا . ونتحاشاها في الفصحى ، ونقول خريج ، مع أن كليهما فصيحتان .

• البَيَّاع : يتحاشى الناس استعمال كلمة البَيَّاع في اللغة الفصيحة ، ويستعملون « البائع » ، مع أن كليهما فصيحتان ، ولا حرج في استعمالهما .

• البير : تسهيل البشر ، وهي فصيحة . فالعرب أبدلوا الهمزة لغير علة للتخفيف (عن شفاء الغليل لابن جني) .

• بَطَّنَ الثوب : بَطَّنَ الثوبَ وأبطنه جعل له بطانة ، وهي فصيحة . والبطانة هي ما يُبَطَّنُ به الثوب ، وهي خلاف ظهارته : (بطائنها من استبرق) « قرآن كريم » .

• الأَنِف : يقولون فلان أنف ، يعنون أنه متكبر أو متعال ، وهي فصيحة . والأصل أنف ، وأنف منه أنفاً وأنفةً معناها استنكف واستكبر . والأنفة هي العرة والحسبة .

• أين ؟ : يقولون : من أين ؟ (بتخفيف الهمزة) ، ولا غبار عليها . وينطقونها وكأنها « منين ؟ » . كما يقولون في أين ؟ بالتخفيف أيضاً فينطقونها وكأنها « فين ؟ » .

• الرُّمَرَمَة : يقولون فلان رمرام ، وأكله رمرة ، يعنون أنه يقبل على الأكل بلا تمييز أو مراعاة لنوعيته ، وهي فصيحة . فرمم الرجل وغيرها معناها أكل ما سقط من الطعام ولم يتوق قدره . وفي حديث الهرة (حبستها فلا أطمعتها ولا أرسلتها ترمم من خشاش الأرض) . □

جمال العربية

□ صفحـة شعـر
□ هكذا غنى الأبناء

لَوْ أَنَّ أَرْضِيَّ حُرَّة !

للشاعر ابن حمديس

تروي كتب الأدب - ويؤكد الشاعر نفسه - أن المعتمد بن عباد لم يأبه بابن حمديس عندما جاء أشبيلية ، فقد أقام فيها زمناً قانطاً قنوطاً ، أوشك معه أن يعود إلى بلاده . وقد نوه ابن حمديس بذلك في مقدمة القصيدة (٣٤٤) من ديوانه الذي حققه الدكتور إحسان عباس فقال : « أقمت في أشبيلية لما قديمتها على المعتمد بن عباد مدة لا يلتفت إلي ولا يعبا بي ، حتى قنطت لحبيتي مع فرط تعبي ، وهممت بالنكوص على عقبي ، فإني لكذلك ليلة من الليالي في منزلي إذا بغلام معه شمعة ومركوب فقال لي : أجب السلطان ، فركبت من فوري ودخلت عليه فأجلسني ، وقال لي : افتح الطاق التي تليك ، ففتحتها ، فإذا بكور زجاج على بعد ، والنار تلوح من بابيه ، وواقده يفتحها تارة ويسدها أخرى ، ثم دام سد أحدهما وفتح الآخر ، فحين تأملتها قال لي أجز : انظرهما في الظلام قد نجما فقلت : كما رنا في الدجنة الأسد فاستحسن ذلك ، وأمر لي بجائزة سنية ، وألزمني خدمته » .

لم تلبث نشوة الأيام الجميلة التي عاشها على مقربة من حاكم أشبيلية أن تتبدد . فبعد سقوط الجزيرة - جزيرة صقلية - وضياع الوطن مات والد ابن حمديس ، وقد ضاعف من حزنه وألمه أن يموت والده وهو غريب عن بلده ، عاجز عن أداء الواجب . ورثاه بقصيدة مؤثرة أعاد فيها إلى الذاكرة مشاعرهما الفياضة يوم الفراق . ثم مات عدد من أهله وأصدقائه وهم يدافعون عن الجزيرة ، وكان أشد ما يؤلمه في فقدته لهم أنهم غابوا دون أن يتمكن من إلقاء النظرة الأخيرة عليهم .

وعلى الرغم مما تركته تلك الأحداث من أثر في نفس ابن حمديس - وفي مقدمتها ضياع صقلية - فقد صمد لها ، وظل ينعم بالعيش - إلى حين - في ظل المعتمد بن عباد ، ويؤكد له في مدائحه أنه متماسك صامد بفضل رعايته له وحذبه عليه . ولم يكن يعلم أن الأيام تتربص بصاحبه وولي نعمته ، فما إن انتهت معركة الزلاقة المشهورة التي أبل فيها حاكم أشبيلية بلاءً حسناً حتى اعتقله المرابطون الذين دخلوا الأندلس بقيادة ابن تاشفين ، وانتهت بذلك أسطورة المعتمد بن عباد رجل الدولة والشاعر الأديب ، واقتيد إلى « أغمات » في المغرب حيث ظل سجيناً هناك حتى وافاه الأجل .

بسقوط دولة ابن عباد أقفر قصره ، وانفض الشعراء والأدباء من حوله ، وتفرق جمعهم ، إلا قلة منهم ظلت على الوفاء ، وفي مقدمة هؤلاء يقف ابن حمديس أميناً مخلصاً ، فقد دأب على زيارته في

سجنه ، وظل يمدحه أسيراً كما كان يمدحه سلطاناً ، بل إنه رأى في نكبة المعتمد نكبة له ، وفي ضياع ملكه ضياعاً للوطن الثاني الذي كاد ابن حمديس يطمش إليه . لذلك أمسك عن مدح المرابطين فلم يقترب منهم أثناء ارتحاله في المغرب وانتقاله من مدينة إلى أخرى جواباً ضائعاً لما يقرب من أربعين عاماً ، وامتدح - لضرورات العيش - من كانوا دونهم ، وأقل منهم شأنًا . ومن مدائحه هذه القصيدة التي يشكو فيها الزمان وسوء الحال أكثر مما يمدح :

فإن لم تُسالم يا زمان فحارب
ورُضت شُموساً لا يذل لراكب
إذا لم أنقب في بلاد المغرب
فأصبح منه ناهلاً كل شارب [
وانفقت كنز العمر في غير واجب
معاوضة من جيد غيداء كاعب
خيانة دهرى أو خيانة صاحبي
ضرائبه إلا خلاف ضرائبي
وقد كان يسقى عذب ماء السحاب
وقد تجهل الأشياء قبل التجارب
عل أمل من همة النفس كاذب
كأن بها مستحضر كل غائب
تجنبتهن ، واخترت وخذة راهب
له في الكرى عن مضجعي صدى عاتب
قضاة جسمي وإبضاض ذوائبي
يعزم يغذ السير غربة لازب
من الأسر في أيدي العلوج الغواصب
يضررم فيها ناره كل حاطب
تروى سيوفاً من نجيع أقارب
رضيت من الأسد عن كل غاضب
صواعق من أيديهم في سحائب
عن الموت إن خامت أسود الكتائب
بطون الخلايا في منون السلاهب
إذا مات أهل الجبن بين الكواعب
نعد لهم في الدفن تحت المناكب
وآبقوا على الدنيا سواد الغياهب
وقرت عليها مغمصات المواصب
وأمرى لها قطر الدمنوع السواكب
مفاني غوانبيه إليه جوافي
تقى له بالجسم أوبة آيب

تذرعت صبري جنة للنوائب
عجمت حصاة لا تلين لعاجم
كأنك لم تقنع لنفسي بغربة
[بلاد جرى فوق البلادة ماؤها
فطمت بها عن كل كاس ولذة
بيت رئاس العصب في ثني ساعدي
أتمسبني أنسى ، وما زلت ذاكرة ،
تغذى بأخلاقي صغيراً ولم تكن
ويا رب نبت تعتريه مرارة
علمت بتجربتي أموراً جهلتها
بصادق عزم في الأمانى يحلني
ولا سكن إلا مناجاة فكرة
ولما رأيت الناس يترهب شرمهم
أحق خيال كنت أحظى بزوريه
فهل حال من شكلي عليه فلم يزر
ولو أن أرضي حرة لآتينتها
ولكن أرضي كيف لي بفكائها
أحين تفاني أهلها طوع فتنة
ولم يرحم الأرحام منهم أقارب
حماة إذا أبصرتهم في كريمة
إذا ضاربوا في مازق الضرب جردوا
أولئك قوم لا يخاف انحرافهم
إذا ما غزوا في الروم كان دخولهم
يموتون موت العز في حومة الوغى
حشوا من عجاجات الجهاد وسائدا
فغاروا أفلو الشهب في حفر البلى
ألا في ضمان الله دار ينوطس
أمثلها في خاطري كل ساعة
أحن حنين النيب للموطن الذي
ومن سار عن أرضي نرى قلبه بها

تستأثر صقلية بالكثير من شعر ابن حمديس ، وفي هذه القصيدة - على وجه التحديد - يتحول حب الشاعر لصقلية وحنينه إليها إلى ما يشبه الثورة على الزمان وعلى الناس ، وهو موقف طبيعي منتظر ، فقد قالها في مدح أمير المهدية في المغرب في أواخر القرن الخامس الهجري (أوائل القرن الثاني عشر الميلادي) وكان قد غادر الأندلس بعد نكبة المعتمد بن عباد، وفي تلك الأثناء سقطت صقلية ودخلها الروم ، فثارت نائرة الشاعر على النحو الذي تبديه أبيات القصيدة .

في غمرة اليأس والغضب يخاطب الشاعر زمانه قائلاً : « كنت من قبل قد لبست ثوب الصبر لأخفي به المصائب والمحن ، أما الآن فليس أمامك إلا أن تسالم - أيها الزمن - لو أن تنازلني القتال . فإن شئت أن تقاتل فقد عجمت حصاة صلبة لا تلين ، وركبت حصاناً عنيداً خروفاً لا يذل لراكب . ألم تقنع بما أصابني من اغتراب بت على أثره أجوب بلاد المغرب ، مبدداً العمر في شقاء بعد أن كنت في وطني أعب من كأس الحياة ولذائدها عباً ؟ هنا بيت السيف في ثني ساعدي ، وهناك كانت يدي تطوق عنق غادة جميلة . »

ويروق للشاعر أن يسترسل في ذكر السيوف ، ويقول : إن له فيها مآرب كمآرب موسى في عصاه ، ولكنه ينحني جانباً فكرة حرب الزمان وما يستتبعها، ولعله قد رجح لديه أن تكون هناك خيانة صاحب فضلاً عن غدر الزمان ، فقد علمته التجربة ما كان يجهله من قبل ، فكثيراً ما يسقي ماء المطر العذب نباتاً ، ولكن ذلك النبات ينمو وفيه مرارة ، وهذا هو شأن بعض الصحاب الذين تمحضهم ولاء وودا ، ولا تحببهم منهم غير الإساءة .

يقول الشاعر : كنت حين قدمت أمني النفس بالأمال ، وقد خابت آمالي بعد أن رأيت الناس يبادرون بشريث الرهبة ، فتجنبتهم واخترت وحدة أشبه بوحدة الراهب ، ليس هذا فحسب ، بل إن طيفاً كان يزورني في المنام صدعني هو الآخر .

على هذا النحو يصور ابن حمديس حياة الوحدة والوحشة والغربة عن الناس والوطن .

ولولم تكن أرضه محتلة لما تريت وانتظر ، بل لسا إلى بها بعزم ولكن أرضي كيف لي بفككاها من الأسر في أيدي العلوج الغواصب وهذه الصرخة التي تمتزج بالألم والحسرة تخفي الكثير من الشكوى ، ولكن الشاعر لا يقف طويلاً عند مأساة ضياع بلاده ، بل يؤثر تعداد فضائل قومه ، وذكر بلائهم في قتال العدو ، فذلك أولى بالانصاف وأدعى إلى الطمأنينة .

إنهم على هذا القدر من البأس والاقدام والتضحية والقوة ، فكيف ضاعت صقلية إذن ؟ إذا نحينا جانباً مسئولية أبناء صقلية أنفسهم في ضياع الوطن لأن ابن حمديس لا يقف عندها طويلاً ، فهو يصفها بالتفاني في الفتنة (أحيان تفاني أهلها طوع فتنة) فإن سبباً لم يعلنه الشاعر ولم يتطرق إليه - أنفة وكبرياء - يكمن في تخلي المسلمين عن وطنه عندما دعت دواعي الجهاد كما يرى الدكتور إحسان عباس (العرب في صقلية) : « . . إنه لا يتفجع على وطنه ليستصرخ الناس ويستجدهم ، ويهيب بهم للعمل من أجل وطنه باسم الدين أو باسم الجهاد . . هو ناظم حقاً ولكن على من ؟ . . كان شعوره الداخلي يحدته أن هنالك مسئولية أكبر تقع على عاتق المسلمين الذين تخلوا عن صقلية حين كانت في حاجة إلى نصير ، ولكن عوامل نفسية من القوة لم تخل بينه وبين الافصاح عن هذا الشعور ، فذهب ليتحدث عن غدر الصاحب وخيائنه . . وهو مندهش مستغرب من السلبية المطلقة التي واجه المسلمون بها ضياع وطنه . . »

وهذا تأويل صائب لا يسع المرء معه وهو يرى أجزاء من الوطن العربي تسلب وتغتصب إلا أن

يقول : ما أشبه الليلة بالبارحة ! □

ديفيد
ثرو



تجربة وفكر مع الطبيعة

بقلم : طارق الحجي

يعد « هنري ديفيد ثرو » امتدادا لمدرسة جان جاك روسو التي كانت تدعو إلى البساطة في الحياة والعلاقات الانسانية ، واستلهاهم غايات الطبيعة وتأثيراتها في مواجهة التعقيد الشديد الذي شمل مناحي الحياة نتيجة للتقدم المدني والمادي . كان ذلك في القرن الثامن عشر ، ترى ماذا يقول لو شاهد ما وصلت إليه البشرية اليوم ؟

عده تراثا إنسانيا يتكامل عبر العصور والأجيال فيضيء الطريق إلى المعرفة والعلوم لتتوصل البشرية بفضلها إلى حياة فاضلة ترفع مكانة الإنسان ، هكذا عرف ثرو الأدب وهكذا أرادته طوال حياته ، فكانت أفكاره ومبادئه التي تمسك بها وطبقها في حياته اليومية ، تعد غريبة على المجتمع الأمريكي الذي كان في طور النمو والتوسع على أسس رأسمالية تستغل طاقات البشر والطبيعة لمصالح طبقة معينة .

هو أحد أقطاب الفكر الأمريكي في القرن الماضي ، وإن حاول البعض تجاهل آثاره الفكرية ، فإن في كل جيل من الأجيال الأمريكية فئة من ذوي العقول النيرة الذين يجدون في أفكاره ومبادئه ضالتهم المنشودة .

دخل هنري ثرو عالم الفكر والأدب منذ صباه ، ولكنه بعد اكتمال رجولته لم ينظر إلى هذا الأدب على أنه مجرد شعر وقصائد وروايات ، كما فعل كثيرون غيره فنالوا الشهرة والمكاسب ، بل

حياته :

ولد هنري ثرو في مدينة « كونكوردي » القريبة من بوسطن بولاية « ماسشوستس » الأمريكية سنة (١٨١٧) في أسرة متوسطة الحال ، وقد نشأ منذ طفولته في تلك البيئة التي تحيط بها الغابات الخضراء ، والأنهار الجارية ، والطبيعة بكل ما فيها من جمال وتناسق ، مما زرع في نفسه ولعه المبكر بكل ما في الطبيعة من سحر وجمال ونظام بديع التناسق ، وكائنات متعددة الأنواع ، فكان أسير هذه الطبيعة ، وما فيها من أسرار والغاز طوال حياته والتي تعامل معها بأسلوب العالم والمفكر المتأمل .

أنهى ثرو المراحل الأولى من تعليمه بكل اجتهد ، وعندما بلغ السادسة عشرة من عمره التحق بجامعة « هارفرد » في بوسطن سنة (١٨٣٣) التي أنهى دراسته فيها بتفوق سنة (١٨٣٧) ، حيث أشبع رغبته وولعه الشديدين بالاطلاع والقراءة في مختلف النواحي الفكرية بكل جد واهتمام ، وقد درس بتعمق موضوعات مختلفة كثيرة منها الأدب الإنجليزي والكلاسيكي والفلسفة الشرقية واليونانية ، وتاريخ البشرية بالإضافة إلى كل من اللغة اللاتينية والإغريقية .

حصل ثرو على أعلى درجات التعليم في زمانه ، فكان من الطبيعي أن يلتحق بعمل أو وظيفة تؤدي به إلى مركز مرموق في مجتمعه ، بعد أن أثبت تفوقه بكل جدارة ، ولكن تأثره العميق بما اطلع عليه من علوم وآداب تحمل بين طياتها أفكارا فلسفية عميقة عن الوجود والطبيعة والإنسان ، هذا بالإضافة إلى تعلقه الشديد فكريا ونفسيا بكل ما في الطبيعة من جمال وجلال جعله يتجه اتجاها فريدا يخرج به عن الإطار المألوف في المجتمع .

لقد وجد أن المجتمع الأمريكي يدفع بأفراده إلى الانغماس في كل ما هو مادي ، ويشقى مظاهر الترف والإسراف ، بينما يعاني الكثير منهم الفقر

والجهل .

كما لاحظ أن الاتجاه المادي للمجتمع الأمريكي يشكل خطرا على البيئة وكل ما في الطبيعة من عناصر وكائنات ، وبهذا فهو من أوائل الذين نادوا بالحفاظ على التوازن في الطبيعة وحماية البيئة المحيطة بالإنسان . لهذه الأسباب وغيرها وجد ثرو نفسه يبتعد تدريجيا عن نمط الحياة الأمريكية ، ويقف منها موقف الناقد والرافض لمظاهرها الخادعة .

كان ثرو كثير الاطلاع والقراءة ، واسع الأفق والثقافة ، وضع مبادئه موضع التنفيذ ، والتزم بها ، فعاش حياة بسيطة متواضعة ، وقضى معظم وقته بالدراسة والكتابة ، وإلقاء المحاضرات داعيا الناس إلى إصلاح مجتمعهم ، وأسلوب حياتهم ، والعناية بالبيئة من حولهم ، والتقرب إلى الطبيعة ، وعدم مساس عناصرها ، ومواردها بأي ضرر لأنها مصدر مقومات الحياة البشرية .

قضى ثرو سنوات حياته يدعو إلى هذه المبادئ بكل وسيلة ، وقد شارك نشاطا في حركة فكرية كانت تدعو إلى الإصلاح الاجتماعي ، كان من بين أفرادها خيرة أدباء عصره ، وكان أحد زعمائها الأديب الأمريكي « رالف والدو إمرسون » الذي كان جارا لثرو وصديقا مقربا منه . وكان إمرسون الذي ذاع صيته ، وله مكانة رفيعة في المجتمع الأمريكي أكبر سنا من ثرو ، فكانت علاقتهما علاقة أخوية صادقة ، وكانت هذه الحركة تدعو لبناء مجتمع أمريكي على أسس إنسانية عادلة تشمل مختلف النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

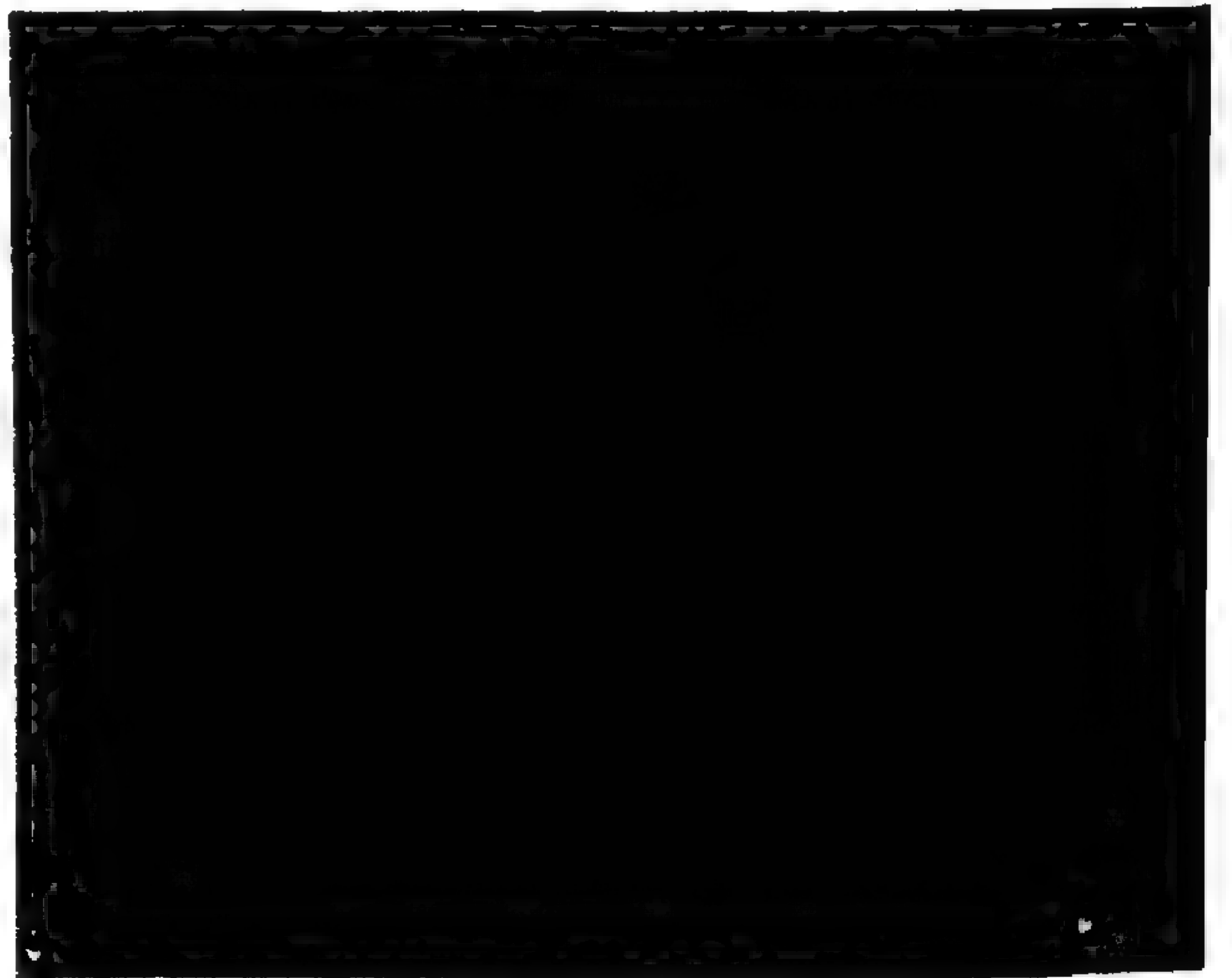
ولقد كان لثرو مواقف مشرقة كثيرة ، خاصة خلال الفترة الأخيرة من حياته القصيرة ، وأهمها موقفه الجريء من مسألة الرق في أمريكا ، إذ كان من أوائل الدعاة المخلصين لتحرير السود من عبوديتهم في المجتمع الأمريكي ، هذا بالإضافة إلى موقفه من حرب الولايات المتحدة مع

المكسيك التي عدها ثرو عدوانا آثما على دولة مستقلة .

تجربته مع الطبيعة :

أراد ثرو أن يقوم بتجربة يضع فيها بعض أفكاره موضع التطبيق ، فعزم عام ١٨٤٥ على الاعتزال بمفرده على ضفاف بحيرة تسمى « والدن » ، تحيط بها الغابات بالقرب من بلدته التي كان يتردد عليها في خلواته ونزهاته منذ صباه ، فقرر بناء كوخ صغير بيديه ، واتخذ بجانبه مساحة صغيرة من الأرض ، ليزرع بعض ما يحتاجه من غذاء ، وهكذا عاش قريبا من الطبيعة التي طالما أعجب بها . وقد سجل ثرو الكثير من أفكاره وآرائه خلال هذه الفترة التي دامت أكثر من عامين ، وقد قضاها بالدراسة والتأمل والكتابة .

وقد ذكر في سجلاته أن تكاليف بناء كوخه بلغت أقل من ثلاثين دولارا ! وهو مبلغ بسيط مع أن قيمة الدولار في زمنه أكبر بكثير مما هي عليه اليوم ، كما ذكر تكاليف حياته اليومية ومصاريفه القليلة ، لكي يبرهن أنه من الممكن نبذ حياة التبذير



كوخ ثرو

والاسراف ، والاكتفاء بحياة البساطة والكفاف . وقد أكد مرارا أن هذه الفترة التي قضاها بعيدا عن المدينة نسيبا ، هي أسعد سنوات حياته ، كما أكد أن المدينة أو المجتمع في كثير من الحالات أكثر وحشية من الغاب . أنهى ثرو عزلته سنة (١٨٤٧) ، بعد أن وضع أفكاره ومبادئه تحت التجربة الفعلية ، واقتنع بنتائجها ، وقد خرج منها بكتابه الشهير الذي سماه « والدن » على اسم تلك البحيرة التي عاش على ضفافها ، وشهد ما في الطبيعة من روائع عبر فصولها المتوالية ، وسجل فيه بأسلوبه الرائع ، مختلف أفكاره وتأملاته لكل ما يتعلق بالإنسان والوجود والطبيعة ، وآراءه بما يتعلق بالنظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تسيطر على المجتمع .

نظم سيئة وفاشلة :

بعد ثرو من أوائل المفكرين الذين رفعوا أصواتهم ضد كل ما في الحياة الأمريكية ، من مظاهر الاسراف والمدينة الزائفة ، وأكد دائما على رفضه لجميع مظاهر الترف والاستغلال التي تؤدي إلى انحلال كل من الفرد والمجتمع ، وقد سجل ثرو أغلب آرائه في كتابه « والدن » الذي يعد مشعلا للرأي الحر الهادف في الولايات المتحدة .

كان يرى أن الولايات المتحدة عبارة عن أرض عذراء ، تفيض بالخيرات والثروات بما يكفي كل فرد فيها ، فلا تعاني الطبقات الدنيا في المجتمع من الفقر والجهل ، ولكن طمع الإنسان وسوء الاستغلال سيؤدي بالبلاد إلى الخراب ، وعد أن الشعار المرفوع منذ القرن الماضي الداعي إلى الحياة المترفة ، ورفع مستوى الحياة مجرد شعار زائف يحمل بين طياته أضرارا بالغة لكل من الفرد والمجتمع .

لقد انتقد ثرو الأوضاع الاجتماعية ، وأسلوب الحياة الأمريكية دون هوادة ، وشمل

نقده التنظيم السياسي والاقتصادية المتبعة ، وهذا نظماً سيئة وفاشلة يتم تطبيقها لصالح فئة معينة من أصحاب النفوذ وليس للمصالح العام . وقد عارض الحكومة في عدة مناسبات مما أدى إلى إدخاله السجن في إحدى المرات .

وله خطبة شهيرة يحض فيها الناس على الاحتجاج ضد السلطة عندما تسيء استعمال قوانين البلاد .

ومن أهم آرائه أن إصلاح المجتمع يبدأ بإصلاح الفرد ، وتنمية وعيه وإدراكه ورفع مستواه الفكري والروحي ، وهذا من مسئولية وواجب كل فرد في المجتمع . وكان يحث الناس دائماً على الرقي فكرياً وروحياً والترفع عن الماديات وكل ما هو مبتذل ، فقد كان يرى حياة الناس من حوله مشبعة بصور الرياء والتكلف ، بينما تخلو من الابداع والتأمل والتأخي ، وتؤكد أن الفرد في المجتمع الأمريكي ، يعيش حياة لا معنى لها ولا هدف ، يتحول فيها الانسان إلى مجرد آلة ، أودمية تتحرك لا وعي لها ولا إدراك . وقد وصف ثرو الحكومة الأمريكية بأنها آلة كذلك ، وبأنها منظمة سياسية لا ضمير لها ، وذلك عند مطالبته بتحرير السود من العبودية ومناداته بإيقاف الحرب مع المكسيك .

العصيان المدني واجب :

نفس ثرو من مجتمعه وما فيه من رياء وتناقضات ، فآثر الاطلاع والكتابة والتقرب إلى الطبيعة ، والقيام برحلات إلى مناطق نائية ، وقد حالت أفكاره ومبادئه التي تمسك بها طوال حياته من الالتزام بعمل أو وظيفة ما ، فكرس وقته للكتابة التي عدها عمله الخاص ، وإن لم يكن منها ما يكفي لسد حاجته ، إذ لم تشتهر كتبه ، وبرز اسمه إلا بعد وفاته وهو في الخامسة والأربعين .

وقد بلغت كتاباته ستة آلاف صفحة بعد طباعتها ، وتم نشرها بعد وفاته في أربعة عشر مجلداً تضم كل ما كتبه ، بالإضافة إلى محاضراته

وخطبه التي ألقاها في الأندية الثقافية والمناسبات المختلفة .

ويعد كتابه « والدين » الذي ترجم إلى عدة لغات خلاصة لأفكاره ومبادئه ، كما يعكس شخصيته النادرة بكل وضوح ، وهو كتاب تمتع بحض القارئ على التفكير والتأمل ، صاغه ثرو صياغة بديعة بأسلوب سلس مميز ، واختار فصوله من مجمل ما كتب أثناء عزله على ضفاف بحيرة « والدين » ، واستعرض على صفحاته آراءه الخاصة المتعلقة بمختلف نواحي الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، وعلاقة الانسان بالبيئة والطبيعة ، وأوضح فيه أن حياة الانسان مطمورة تحت أثقال التقاليد والمجتمع والحكومة والكنيسة ، بكل ما فيها من تناقضات ومساوئ . وأن الانسان لا يجرؤ على الإفلات من هذه القيود ، ولا يمكنه الخلاص والارتقاء إلى عالم أو مجتمع أفضل .

ولشرو خطبة شهيرة بعنوان « العصيان المدني » وقد تم نشرها ضمن مؤلفاته بعد وفاته ، وفيها يدعو إلى الاحتجاج بدون عنف ضد السلطة ، عند ارتكابها أي خطأ ، ومقاومة أي اضطهاد أو سلطة غير عادلة ، وإحدى وسائل هذه المقاومة التي دعا إليها وطبقها ، هي رفض دفع الضرائب الحكومية التي من أجلها أدخل السجن ، لكن أطلق سراحه بعد أن دفع أحد أقربائه ما عليه من ضرائب في اليوم التالي دون علمه ، ويقال : إن كلاً من المفكر الروسي الكبير تولستوي والمهاجم غاندي تأثرا بأفكار ثرو التحررية ، وعملوا بها .

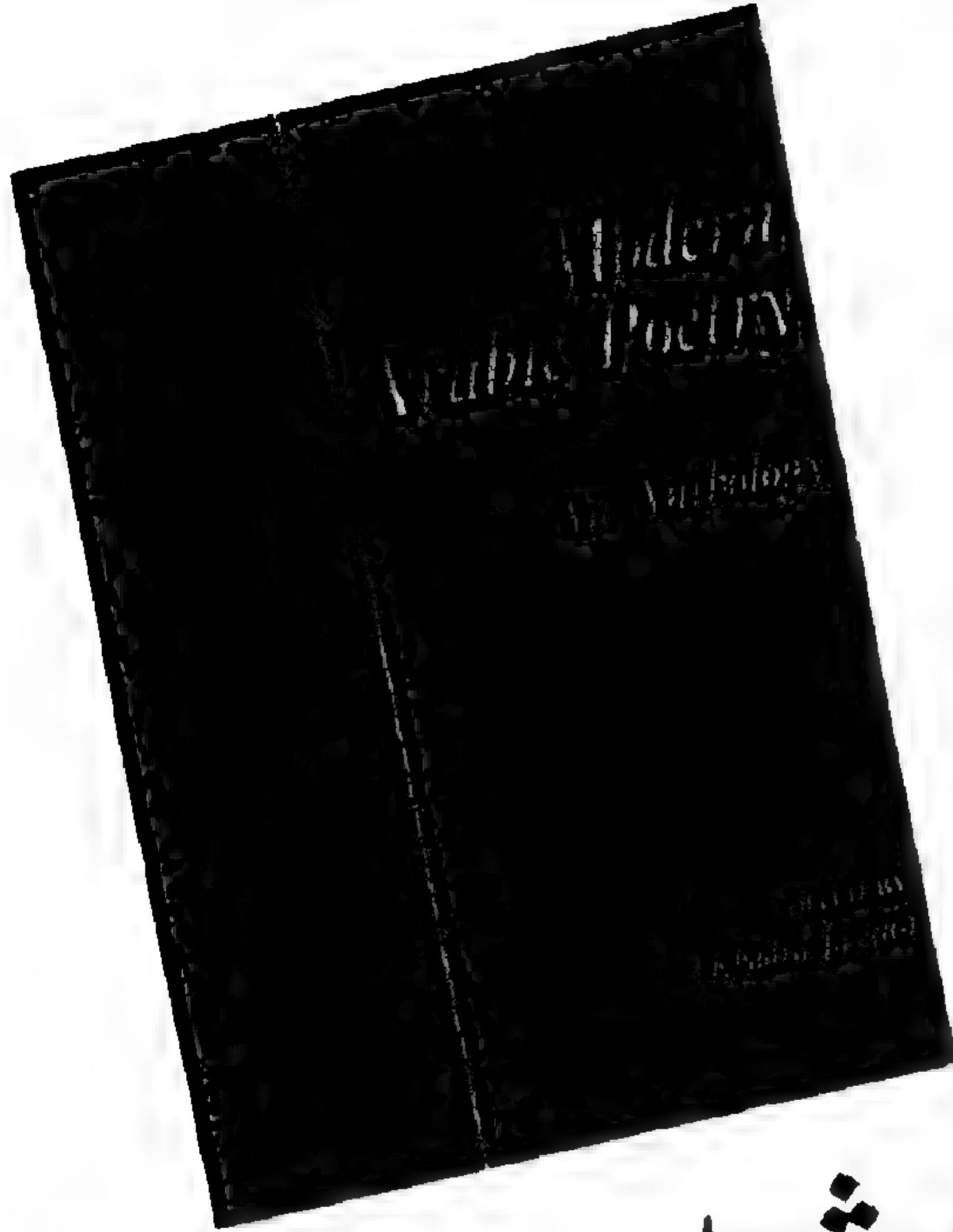
وفاته :

توفي ثرو سنة ١٨٦٢ عن عمر يناهز الخامسة والأربعين ، بعد أن قضى حوالي ستين على فراش المرض ، وفي جنازته ألقى إمرسون خطبة لتكريمه أثنى فيها على مبادئه الإنسانية ، وأفكاره المتحررة ومواقفه الشجاعة ودعوته المستمرة إلى حياة فاضلة كريمة . □

كتاب الشعر



مكتبة العربي



مختارات من الشعر العربي الحديث

تأليف : الدكتورة سلمى الخضراء الجيوسي
عرض وتعليق : جمال ورده

قد يعرف القارئ الغربي بعض شعرائنا المشهورين ، وربما يعرف بعض المختصين تطور شعرنا الحديث منذ قرن من الزمان . لكن القارئ الغربي لم يعرف هذا التطور من خلال نصوص شعرية ، تمثل أهم التيارات وأبرز الأساء قبل صدور هذا الكتاب .





فترة البذور ، فلا شك أن النصف الثاني هو فترة الحصاد والنضج . لقد كان الهدف من هذا الكتاب أيضا رصد الجديد الواعد الذي ترى فيه نجوما جديدة سوف تشع في سماء الشعر العربي الجديد مستقبلا ، ولعل هذه المهمة المزدوجة قد لاقت كثيرا من الصعوبات في عملية الانتقاء والاختيار والرصد . فليست هي مجرد تسجيل لأسماء مشهورة عرفها تاريخ الأدب ، بقدر ما كانت إعادة تقييم فني ونقدي لهؤلاء الرواد الطلائع في الشعر العربي المعاصر . أما بالنسبة للشعراء الشبان فقد كانت العملية أكثر تعقيدا . إن العدد الكبير من الشعراء في الساحة العربية قد جعل عملية الانتقاء مريرة وصعبة ، لأن الدكتور الجيوسي أرادت أن يكون الاختيار شاملا ، يغطي كل الاتجاهات والمشارب والأساليب شكلا ومضمونا وايدولوجيا . ولكننا نلاحظ أن رقعة الاختيار قد امتدت من الخليج حتى وسط الشمال الافريقي فقط ، من خليفة الوقيان ، والعدواني ، وسعاد الصباح ، وعلي الشرقاوي ، وقاسم حداد ، إلى شاعرين أو ثلاثة من تونس ، وكأن الشعر العربي قد توقف على أسوار تونس لا يقوى على صعود ذرا الأطلس وشواطئه . فليس هناك سوى شاعر واحد من المغرب ، أما الجزائر أو ليبيا فلم يترجم لأي من شعرائها . قد يكون العذر هو ندرة النصوص العربية أصلا ، ولكن المجلد نفسه كان سبقا أدبيا للنصوص العربية نفسها ، فليس هناك كتاب عربي واحد ضم هذه النخبة الكبيرة من الشعراء العرب من قبل .

لقد اجتهدت الدكتورة الجيوسي بالنسبة

وكانت السيدة الجيوسي قد سبقت هذا المشروع بسنوات ، حيث ترجمت عديداً من القصائد العربية الى الانجليزية ، وترجمت بعض القصائد الانجليزية الى العربية . أما المؤسسة نفسها فقد أصدرت من خلال منشوراتها الدورية عديداً من الأعمال الثقافية العربية المترجمة ، كان من ضمنها رواية إميل حبيبي « الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل » ، ورواية « الصبار » لسحر خليفة ، ورواية « الحرب في بر مصر » ليوسف القعيد .

أما هذا المجلد الشعري الذي تقدمه لنا اليوم ، فقد اشتمل على عشرات الأسماء من شعرائنا المعاصرين ، وقد تم إعداده والتحضير له مع دار المأمون العراقية للطباعة والنشر . وقد أرادت من خلاله أن يكون سجلا حافلا لشعراء العربية في القرن العشرين ، مع التركيز على شعراء الخمسينيات حتى السبعينيات . وهي الحقبة الزمنية التي رصدتها الدكتورة الجبوسي . فإذا كان النصف الأول من القرن العشرين هو

● مخاطر من الشعر العربي الحديث

مع بداية القرن العشرين كان الشعر العربي متخلفا عن مواكبة الشعر العالمي ، ويعيدا عن أمجاد العصور الذهبية القديمة ، لا شك أن أربعة قرون من السبات والركود قد أثرت على انطلاقه ، ولقد بدأت معركة التحديث منذ أواخر القرن التاسع عشر . ولا شك أن الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية كانت تتطلب جهدا أكبر للتغيير والتحديث .

لقد بدأت بواكير النهضة الأدبية العربية في لبنان نشرا ثم في مصر شعرا . بعد حملة « نابليون » وادخال الطباعة ثم البعثات التي كانت تذهب إلى أوروبا أيام محمد علي باشا ، لقد نشطت الصحافة والطباعة ، وبدأ القاريء العربي يتعرف على تراثه الأدبي القديم ، فنشأت الكلاسيكية الجديدة مع ماصاحبها من جزالة اللفظ وقوة التعبير والمحسنات اللفظية التي أصبحت فيما بعد قيذا على حرية التعبير للجيل اللاحق .

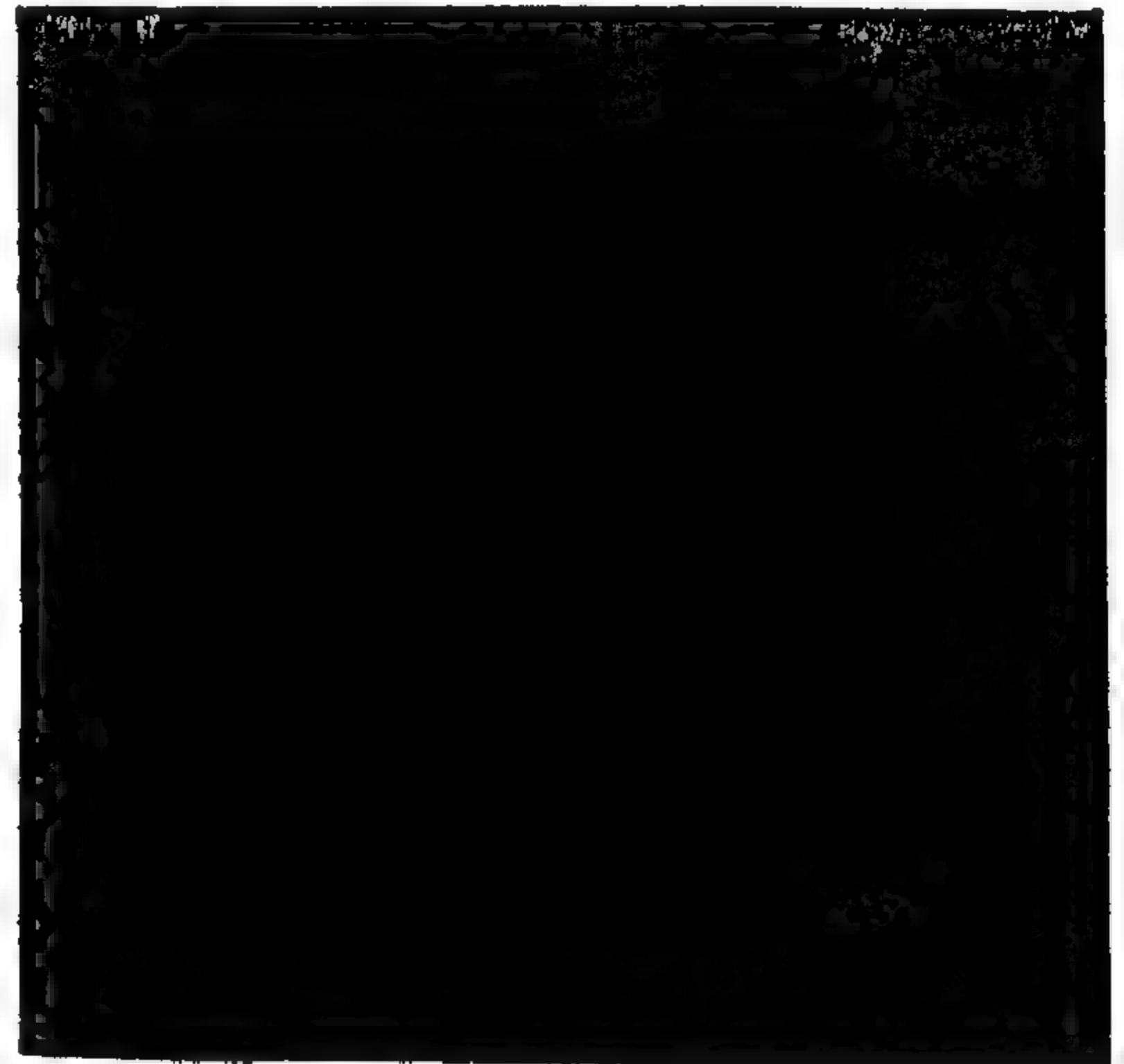
فجاء الرد عن طريق أدباء المهجر بزعامة جبران ، وإيليا أبي ماضي ، وميخائيل نعيمة، لقد ثاروا ضد صرامة وتقليدية المدرسة الكلاسيكية فاتحين الطريق أمام المدرسة الرومانسية التي انضم إليها إبراهيم ناجي وعلي محمود طه في مصر ، والبشير التيجاني في السودان ، وأبو القاسم الشابي في تونس ، والياس أبو شبكة في لبنان .

لقد أثرت هذه المدرسة في الشعر العربي بالصور المبتكرة ، والمفردات الجديدة مع قضايا شعرية جديدة كالحلم والحرية ورفض القيود . لقد كانت المدرسة الرومانسية ثورة على القيم القديمة البالية ، وعلى التخلف بكافة أشكاله وصوره . وعلى الرغم من عمرها القصير في الأدب العربي المعاصر إلا أنها استطاعت أن تهز المفاهيم الاجتماعية والسياسية من الأعماق ، وأن تخوض معركة التحديث بنجاح أكيد . وعلى الرغم من أن كثيرا من النقاد يربطون الحركة

لشعراء ما قبل الخمسينيات ، لتكون التغطية شاملة لكل المدارس الشعرية المعروفة آنذاك من الكلاسيكية الجديدة إلى الرومانسية إلى المدرسة الرمزية .

ثم تأتي الصعوبات الفنية التي تلاقيها الترجمة لمثل هذه الأعمال الفذة ، فشاعر مثل شوقي تعتمد قصائده على قواعد البلاغة والبيان وجزالة اللفظ ، فكيف ستكون قصائده إذا جردت من هذا ؟ كذلك القصائد الجديدة التي تعتمد البساطة اللغوية المتناهية ، كيف سيتم نقلها بنفس الشحنة العاطفية أو التوتر الشعري المصاحب ؟ لا شك أن الترجمة الشعرية معقدة وحساسة جدا ، وقد اتبعت الدكتورة الجيوسي أسلوبا جديدا يعتمد على مرحلتين - حيث يقوم في المرحلة الأولى شاعر عربي بترجمة القصيدة العربية إلى الانجليزية ، ثم يقوم شاعر انجليزي بصياغة النص المنقول مرة أخرى - لقد توصلت الكاتبة إلى الحقيقة القائلة : بأنه لا يجوز أن يترجم الشعر إلا الشعراء أنفسهم .

فالشعر كالموسيقا له لغة واحدة مهما تعددت اللهجات . ولعل الدكتورة الجيوسي قد استفادت من التجربة السويدية في نقل شعرها وأدبها إلى اللغة الانجليزية بنفس الطريقة !! .



الدكتورة سلمى الجيوسي

كتاب الشعر



بعد النكبة

لقد تجاوزت عملية التحديث الشكل الشعري التقليدي - فلم يعد البيت الواحد حكرا على الصدر والعجز ، كذلك الوزن والقافية - لقد بدأت بالفعل ثورة في شكل القصيدة العربية فظهر الشعر الحر ، والقصيدة النثرية ، وقصيدة التفعيلة الواحدة ، وأصبح الشعر أكثر سلاسة وبساطة معتمدا بالدرجة الأولى على الصورة الشعرية والموسيقا الداخلية للقصيدة نفسها .

لقد بدأ الشعر الحر تاريخيا عام ١٩٤٩ حين نشرت « نازك الملائكة » ديوانها « شظايا ورماد » ثم بدأ الشعر المنشور بالظهور ، ومع أن هذا الأسلوب كان قد بدأ سابقا أيام جبران وأمين الريحاني ، إلا أنه لم يسلك طريقه بشكل رسمي إلا في الخمسينيات والستينيات ، ومن رواد هذه المدرسة كان الشعراء توفيق صايغ ، أنسي الحاج ، محمد الماغوط ، وشوقي أبو شقرة . ثم أصبح هذا الأسلوب أكثر تطورا وتعقيدا حين دخل الحلبة الشاعران ادونيس ويوسف الخال .

لقد قلنا إن النكبة الفلسطينية باعتبارها القضية المركزية الأولى للشعب العربي ، قد لعبت الدور الأكبر في تثوير وتغيير المنهج الشعري العربي .

لقد بدأ الشعراء ينظرون للحياة واللغة نظرة جديدة مغايرة ، لقد اتخذ الشعر العربي بعد النكبة بعدا جديدا أكثر حدة وعنفا وهجوما على الماضي بكل أعمدته التقليدية البارزة ، لقد تركوا التراث جانبا وأخذوا يستلهمون الشعر

الرومانسية أصلا بالفشل السياسي لثورة ١٩١٩ الوطنية المصرية ، إلا أن الشعر السياسي في العشرينيات والثلاثينيات كان كلاسيكيا ، في حين كان الرومانسيون يتناولون في أسفارهم الحموم والأشجان الفردية البحتة . وحين أفلست الرومانسية عن التعبير عن المتغيرات الطارئة ، وتاهت في أروقة الخيال والحلم والطبيعة بعيدا عن هموم الواقع واشكالاته ، استدعت الظروف استنباط أساليب جديدة للتعبير الشعري ، خصوصا بعد أن عرفت الثقافة الغربية طريقها الى القاريء العربي عن طريق الترجمة والصحافة ، وبهذا فتحت الطريق أمام المدرسة الرمزية في الثلاثينيات التي سعت الى تطهير الشعر من النزعة الخطابية المباشرة ، والعقلانية الباردة ، والتراثية الكلاسيكية التي تجاوزتها الأيام ، وكذلك من هشاشة وخيالية المدرسة الرومانسية .

لقد كان « سعيد عقل » استاذا للمدرسة الرمزية الجديدة حيث قدم قصيدته « المجدلية » عام ١٩٣٧ يصور خلالها لقاء بين السيد المسيح ومريم المجدلية ، وقد بدا تأثيره واضحا بالشاعر الفرنسي « بول فاليري » ، ثم جاءت النكبة الفلسطينية لتفجر كل شيء . إن الجمالية الرمزية لم تعد كافية ، فكان لابد من البحث عن صور شعرية أكثر التصاقا بالواقع المأساوي ، فكان الالتزام والواقعية من عناصر القصيدة العربية الجديدة .

لقد استطاع الشعر العربي خلال النصف الأول من القرن العشرين ، أن يواكب العصر ويتطور معه ويحقق الكثير من الانجازات الفنية .

● مختارات من الشعر العربي الحديث

الشاعر آنذاك ، وخلت الترجمة من بعض مقاطع « مجدية » سعيد عقل و« جسر » خليل حاوي . كما خلا المجلد تماما من أسماء مرموقة في عالم الشعر في فلسطين ولبنان ومصر والعراق ، فقد أهمل واحد من أبرز الشعراء الفلسطينيين ، هو « معين بسيسو » ، بينما ترجمت قصائد لشعراء لا أهمية لهم ، وترجمت قصائد أجيال الخمسينيات والستينيات في العراق ، واستثنى شاعر مهم ينتمي لجيل السبعينيات مثل « هاشم شفيق » . لكن الدكتور الجيوسي وعدت بجزء ثانٍ من هذا المجلد ، يضم البقية الباقية من فرسان الشعر العربي المعاصر .

وأخيرا أعترف بأنني لم أستطع التعرف على هوية بعض القصائد الشهيرة حين طالعناها بثوبها الانجليزي المزركش ، وبنكهتها الأمريكية العصرية . لعل عملية التحلية المكررة للمياه تفقدنا بعض عناصرها ، وبعض ملوحاتها مثلا ! فتخرج إلينا زجاجات المياه عذبة نقية ، لكنها ليست معدنية من باطن الأرض ، ولكن العزاء أن هذه القصائد ليست لنا ، بل لقاريء أجنبي ، يتلفه لمعرفة أي شيء عن ثقافتنا وشعرنا ، ولعل هذه النافذة من خلال مشروع الترجمة هي خير موصل لهؤلاء القراء العطاش . فهنيئا مريثا لهم شرابنا الزلال غير المملح . □

الثوري العالمي من أمثال : لوركا - نيرودا - اراجوان - ناظم حكمت - ايلوار ، وكذلك فرسان التجديد في الشعر الانجليزي من أمثال « إليوت » ، و « ادث سيتويل » . إن روح التغيير قد سادت الفترة المذكورة كلها . إن هذه التجربة قد أثرت الشعر العربي وجعلته أكثر نضجا ، إن شعراء الخمسينيات قد اجتازوا بنجاح معركة التحديث بكل ما فيها من تحديات وجراحات وانتصارات .

ودخلت الاسطورة شعرنا العربي الجديد تأثرا « باليوت » و « سيتويل » في تموزيات السياب ، وبعليات خليل حاوي ، وطائر الفينيق عند أدونيس وبرومثيوس عند البياتي .

أساطير ترمز جميعا إلى تجدد الحياة بعد اقتحام الموت .

لقد لاحظنا أن الكتاب قد خلا من ترجمة بعض القصائد التي لعبت دورا مهما في حياة صاحبها ، واكتفى بترجمة قصائد أخرى قد تكون أقل أهمية ، فقد اكتفى ببعض مقاطع من قصيدة « مهيار الدمشقي » لأدونيس ، ولم تترجم قصيدته « صقر قريش » التي تصور انسلاخا وجدانيا وايدولوجيا للشاعر نفسه ، في المكان والجغرافيا من الشام إلى الأندلس ، كما في القصيدة ، أو من الشام إلى بيروت ، كما هو حال

الطريقة الوحيدة



نشأ خلاف بين ثلاث نساء ، انتهى برفع الأمر إلى القاضي جحا ، ووقفن أمامه متظلمات يتكلمن في وقت واحد . ولما لم تفلح نصائح جحا لهن بالتريث لسمع شكوى كل منهن على حدة قال لهن :
فلتكن أولاً أكبركن منا .
فسكن كلهن على الفور !



من المكتبة العربية

العالم والعرب للسنة ٢٠٠٠

تأليف : الدكتور محمد جابر الأنصاري

عرض : رافع عبد الرحمن

هل ستكون صورة العالم في القرن المقبل هي نفس صورته الحالية ؟ !

يجيب المؤلف بالنفي ، ويمضي خطوة أبعد في محاولة لرسم ملامح هذه الصورة

على المستويين العربي والعالمي .

من شعوب العالم الثالث ، وأكثر تفهما لها ،
وتفاهما معها .

غير أن القوة الدولية المهمة - قوة المستقبل -
ستكون القوة الصفراء (اليابان ، الصين ،
كوريا ، فيتنام) التي ستولى قيادة الحضارة في
وقت غير بعيد .

أما المنطقة العربية الإسلامية ، فتوشك أن
تحسم أمرها في صيغة حضارية ، واستراتيجية
جديدة ، تؤكد خصوصيتها واستقلالها بين
القوى ، وبإمكانها التحالف مع قوة الشرق
الجديدة لضرب النفوذ الغربي الجاثم عليها .

يلقي المؤلف في الفصل الأول من الكتاب
نظرة شاملة عامة على المشهد العالمي

المستقبلي ، من موقع الطائر المحلق في الجو ،
وتخبرنا « نظرة الطائر في آفاق القرن الحادي
والعشرين » أن القوتين العظميين - أمريكا
وروسيا - بحكم أزماتها الاقتصادية والاجتماعية
الداخلية تضطران إلى التقليل من تدخلها في
الشؤون العالمية ، وهذا يخفف ضغطها على
شعوب العالم الأخرى ، ويترك لهذه الشعوب
شيئا من الحرية في التحرك والتحكم في المصير .
وتبرز أوروبا كقوة محايدة ، وتصبح أكثر قربا

وتحت عنوان « آلام نهاية القرن العشرين ، ميلاد جديد ؟ » ، يشير الدكتور محمد جابر الأنصاري إلى شريط المجاعة الأفريقية ، والتسمم الآسيوي الهندي ، والمذبحة اللاتينية في السلفادور وأمريكا الوسطى ، ومشاهد خطف الطائرات وغير ذلك متسائلا : « من الغاب البدائي إلى الغاب الإلكتروني ؟ » ماذا حدث ويحدث في هذا العالم ؟ ويقول : إن الأزمة اليوم في الغايات ، أو في القيم النهائية العليا السائدة التي تحدد لعالمنا غاياته ، وإن النظام العالمي السائد بقيمه ومنطلقاته وركائزه الأساسية وروحيته وذهنيته الحاضرة ، إن لم يكن قد أفلس ، فهو في طريقه إلى الإفلاس .

ويرى المؤلف أن الخروج الصيني على الماركسية سيؤدي في النهاية إلى قيام نوع من التحالف الأصفر بين القوة التقنية اليابانية ، والقوة البشرية الصينية الكثيفة ، بشكل سيقبّل الموازين في عالم اليوم المضطرب ، وسيقف هذا التحالف على قدم المساواة مع السوق الأوروبية المشتركة ، والحلف الأطلسي وحلف وارسو ، وينقل العصب الاستراتيجي للعالم إلى المحيط الباسيفيكي ، ثم يرث تدريجيا قسطا مهما ، مما لتلك الأحلاف الغربية البيضاء من نفوذ في العالم .

ويشير إلى أن انتقال مركز الجذب العالمي من قوة بيضاء إلى قوة صفراء ، لن يغير في حد ذاته مما تعاني البشرية من ويلات ، ولن يحقق بالضرورة ما تتطلع إليه من خلاص .

قرن التفوق الأصفر

في القسم الأول من الفصل الثالث رسالة وجهها المؤلف لمثقفي اليابان ، يشير فيها إلى أن المعاناة متشابهة بين اليابانيين والعرب من حيث إغفال دورهم الحضاري والفني والإنساني ، ومحاولة تحويل صورتهم في مرآة الغرب - المهتم أساسا بالنزعة المادية الاستهلاكية - إلى مجرد

ظاهرة من ظواهر الاقتصاد والمال ، وأن هذه المعاناة المتشابهة بيننا هي مدعاة لتوجهنا معا إلى إحياء صلاتنا الثقافية والإنسانية ، وبعثها لأنها الأساس الجوهري في التعاون بين الأمم قبل تبادل البضائع والمنافع المادية .

وهو يدعو اليابانيين إلى أن يصل صوتهم الياباني الصميم والأصيل - في الابتداعات الفنية والثقافية الخاصة بهم - إلى بلادنا مع أجهزة الكمبيوتر والحاسبات والفيديو .

وبالمقابل يدعوهم إلى طرب الغوص الخليجي وحذاء الصحراء ، ومشاهدة فولكلور البحر والبادية والتعرف على مالدينا من أدب جديد وثقافة جديدة .

وفي القسم الثاني يتناول المؤلف ما يجري في اليابان والصين وكوريا والهند مشيرا إلى أن الاعتبارات التي تدعو السوعي العربي الاستراتيجي والحضاري إلى تفهم القوة البشرية الصاعدة وتدارسها ، هي أن هذه القوة تقدم بديلا آخر للعرب في التعامل الدولي ، بديلا متخففا من الانحيازات الدينية والتاريخية والأيدولوجية التي يعاني منها العرب في تعاملهم مع قوى الحضارة الغربية ، كما أن التجارب اليابانية والصينية والكورية والهندية على اختلافها وتباينها ، تمثل في نهاية الأمر محاولات ناجحة للأمم شرقية ، للحفاظ على خصوصيتها وشخصيتها الحضارية الذاتية مع استيعاب مقومات القوة الحقيقية في الحضارة الحديثة . ويشير الدكتور الأنصاري إلى أن عرب الخليج والجزيرة العربية هم المعنيون بالدرجة الأولى بدراسة هذه الظواهر بحكم ما لهم من علاقات تاريخية وتجارية مع الشرق الآسيوي .

ويدعو إلى إقامة مركز علمي للدراسات الآسيوية محمدا الملامح العامة للتجارب الآسيوية التي لا بد أن يتعمقها المركز المأمول وهي : أن تلك الأمم الشرقية قد انطلقت من مبدأ وحدتها القومية ، وأنها متمسكة بأصالتها وتقاليدها

وشخصياتها التاريخية المتميزة ، وقد تمكنت تلك الأمم من استيعاب القدر الجوهري من التحديث وامتلاك زمام القوة التقنية والعلمية والاقتصادية منذ أن باشرت عملية التوحيد ، كما أن كل أمة حققت النهضة والتحديث حسب طريقته الخاصة ، وباكتشاف قوانين خصوصيتها التاريخية والحضارية .

ثم يتقل المؤلف إلى « العرب أمام التجربة اليابانية والقوة الصفراء » ، فيلخص أسباب صعود النهضة في اليابان ، وتعثّر النهضة عند العرب . فالأمة اليابانية أقبلت على التحديث بوحدة قومية متماسكة ، بينما واجهت الأمة العربية التحدي منفصلة متصارعة ، والأمة اليابانية دخلت مسيرة النهضة بأقل قدر من الصراع بين المجددين والمحافظين ، بل اندمج مجدّوها ومحافظوها في نفس شخصيات الرجال الذين قادوا النهضة ، بينما انقسم المجددون والمحافظون إلى معسكرين متصارعين في مراحل النهضة العربية ، ثم انقسم كل معسكر إلى معسكرات متنازعة . واليابان وقفت من الغرب موقف التلميذ ، بينما وقف العرب منه موقف الزبون . كما أن التقاليد اليابانية تقدّس العمل ، بينما ورثت المجتمعات العربية نظرة غير إيجابية وخاصة إلى العمل المهني والصناعي الذي هو أساس النهضة الحديثة .

ويرى المؤلف أن القول : بأن تعرض العرب لمؤامرات الاستعمار « واسرائيل » قد يفسر تخلفهم ، قول غير مقنع مشيراً إلى أن اليابان تعرضت لضربة نووية نهضت بعدها أقوى مما كانت .

ثم يقدم المؤلف في الفصل التالي دراسة تلقي الضوء على جذور التربية اليابانية وخصائصها المميزة ، ويخلص إلى أن أبرز خصائص النظام التربوي الياباني هي : أن ذلك النظام يستمد أهم مقوماته من طبيعة مجتمعه وروح أمته واحتياجات وطنه ، وأنه استمد انطلاقه من

جذوره ومؤسساته وتقاليده المتأصلة والقائمة ، وأن التعليم في اليابان يعد خدمة وطنية عامة ، وواجباً قومياً ، يتجاوز أي جهد فردي أو فئوي خاص ، وأنه يمثل عامل التوحيد المهم لعقل الأمة وضميرها ، وأن اليابان لم تأخذ بالنزعات الليبرالية والسيكولوجية الغربية المتساهلة في التوجيه الفكري للأجيال وفي ضبط سلوكها العملي والأخلاقي ، ولم تأخذ ببريق الدراسات النظرية الغربية من فلسفات وحقوق وإنسانيات ، وأنها استطاعت أن تجمع بين شعبية التعليم وأستقراطيته العلمية والفكرية ، ولم تؤخذ باللغات الأجنبية المتقدمة ولم تنهر بها ، وعلى الرغم من مركزية التوجيه في النظام التربوي ، فإنه يقوم على مرونة ، ولا مركزية ملحوظة في تنظيم وزارة التربية والعلوم والثقافة . ومهنة التدريس في اليابان مهنة مربحة اقتصادياً حتى بالقياس إلى القطاع الخاص ، كما أن اليابان لم تندفع وراء نزعة تحويل الثقافة العامة إلى منشط من منشط الإعلام .

آخر المستجدات

في بداية فصل الختام يشير الكاتب إلى ظهور كتابين سيرمزان إلى طبيعة مناخ التفكير الحضاري الاستراتيجي المستقبلي الذي يسود الآن نهاية القرن العشرين ، وسيتمد بآثره وإرهاصاته إلى عقود عديدة من القرن المقبل . هذان الكتابان هما « قيام القوى العظمى وسقوطها بين ١٥٠٠ - ٢٠٠٠ » للبرفيسور بول كنيدي و « إعادة البناء » للرئيس السوفيتي ميخائيل غورباتشوف .

ويقول : إن الكتابين يحاولان معا - كل بطريقته - إنقاذ ما يمكن إنقاذه من القوى العظمى ، التي يتوجه كل منها إلى مخاطبتها أملاً في إعادة الحيوية إليها ، بعد أن أخذت تتضع للعيان بوادر فقدان القوتين معا مكانة الصدارة الفريدة التي تمتعت بها حتى وقت قريب .

مدهشة ، فإنها تحمل البذور لأن تكون تطوراتها ونتائجها جيدة مدهشة .

والمؤشر الثاني هو تحرك « منحى » الأوضاع العربية الى « موضع ما » . فوق قعر الهاوية التي انحدرت إليها الأوضاع العربية في السبعينيات والثمانينيات ، لقد بدأت حركة الواقع العربي في الصعود إلى أعلى في مجالات عديدة ، وعلى المسؤولين والمثقفين والمواطنين العرب التكاتف والعمل لدفع المؤشر إلى فوق .

وضمن « نظرة الطائر » يوجز المؤلف المشكلات الجدية التي تنتظر العرب على طريق المستقبل : انخفاض أسعار النفط وتأثيرات ذلك ، ازدياد الاعتماد على الاستيراد من الخارج في مجال توفير الغذاء ، وأزمة الأمن المائي العربي .

وهناك ثلاث مهام مستقبلية عربية ، أولها : الاتحاد قوميًا ، والوحدة ليست مجرد مطلب سياسي ، بل مطلب حضاري وشرط ضروري لاستيعاب حضارة العصر .

وثانيها تجديد الإسلام مع الحفاظ على جوهره ليستوعب روح العصر ، وكلمة السرمي « الإسلام - العروبة - العصر » في مندمج عضوي واحد . وثالثها تحول التوجه العام إلى مشروع حضاري عربي إسلامي بمعالم واضحة وبرامج محددة ، ومواقف متبلورة تجاه مختلف تحديات العصر وقضايا الحياة .

وفي نهاية الكتاب نجد فصولاً مختارة عن التجربة اليابانية ترجمها المؤلف عن اللغة الفرنسية ، وهي من كتاب « اليابان » العملاق الثالث « لروبير غيلان » ثم ينبه الدكتور الأنصاري القارئ إلى « أن هذا الحديث ينحصر في التحليل الفكري الحضاري المقارن ، وعلينا أن نجربه بوعي كامل ، لكي نتجنب أي نوع من الترويج للمصالح الاقتصادية والسياسية لليابان أو غيرها » . □



وهذه التحولات التي يشهدها الاتحاد السوفيتي في عهد غورباتشوف ستؤثر على أوروبا الشرقية ، كما سيؤثر فيها توجه دول أوروبا الغربية نحو الوحدة . فحركة الوحدة الأوروبية يمكن أن ينجم عنها مزيد من استقلال أوروبا الشرقية عن « الشقيق » الروسي مع البحث عن صيغة أيديولوجية معتدلة . . . وسيبقى في صلب التفاعل بين أوروبا الشرقية وأوروبا الغربية محور انبعاث الوحدة الألمانية . إن مسألة إعادة توحيد ألمانيا ستكون من أدق القضايا وأكثرها حرارة وإثارة في العقد الأخير من هذا القرن ، والعقود التالية من القرن الحادي والعشرين » .

مؤشرات المستقبل العربي :

ما هي أبرز مؤشرات المستقبل العربي كما يراها د . الأنصاري ؟ إنها الانتفاضة الفلسطينية « الإبداع » الاستراتيجي الفلسطيني في الوطن العربي الذي قد لا يقل أهمية في ضوء المستقبل عن الإبداع الياباني والصيني « فالانتفاضة وعد مفتوح للمستقبل العربي . وكما كانت بدايتها

مكتبة العزدي

مختارات

بفصل كامل ، يناقش فيه منهجيا أهمية النماذج المعرفية في تحديد إدراك الإنسان ، وخطورة التبعية الإدراكية ، ثم يطرح فكرة أن الانتفاضة ليست تعبيرا عن اليأس ، وإنما هي تعبير عن تحلل عربي لامتلاء نفسي ، واكتشاف للذات ، ثم يعرض بعد ذلك لأزمة الصهيونية ، وأهمية دراستها لفهم الانتفاضة ، طارحا فكرة أزمة الشرعيتين : الشرعية الصهيونية أمام يهود العالم وأمام الصهاينة أنفسهم ، وشرعية وجود الصهاينة في أرض العرب ، ثم يعرض لبعض جوانب الأزمة الصهيونية ، وكيفية استجابة الفلسطينيين لها .

□□□

اسم الكتاب : الباراسايكولوجي . ظواهر وتفسيرات
المؤلف : سامي أحمد الموصللي
الناشر : شركة دار السلام للنشر والتوزيع - بغداد
عدد الصفحات : ١٧٧ صفحة من القطع المتوسط
سنة النشر : ١٩٨٨

يتعرض الكتاب للدراسة بعض الظواهر الخارقة وتفسيرها من وجهة نظر علماء « الباراسايكولوجي » . و « الباراسايكولوجي » اصطلاح معناه « ما يجاور علم النفس » ، وهو علم يدرس الظواهر المستغلقة على الفهم ، والخارقة للطبيعة والغريبة وغير المألوفة ، ويحاول أن يجد لها التفسير العلمي والفكري المناسب ، ثم يتعرض الكاتب لبعض الظواهر الخارقة ، مثل التخاطر والتنبؤ والتلباثي ، وغيرها من الظواهر غير المألوفة .

اسم الكتاب : كلمة طيبة
المؤلف : د . عبدالعزيز كامل
الناشر : ذات السلاسل - الكويت
عدد الصفحات : ٣١١ صفحة من القطع الكبير
سنة النشر : ١٩٨٧

لوحات قلمية للكاتب ، يضمها بين دفتي كتاب واحد ، ويوجهها إلى الشباب . والكتابة للشباب تختلف عن الكتابة للكهول التي يترك المرء نفسه فيها على سجيتها ، وهو مدرك أن الكهل يتابعه ، ولديه خلفية هريضة من القراءة والتجربة ، كما يقول المؤلف ، أما للشباب فالأمر يحتاج إلى التبسيط والتحديد .

ولقد تنوعت موضوعات الكتاب ، ففيها الكتابة عن القرآن والسنة وعن القدس الشريف ، وعن الكويت ، وعن الناس البسطاء والأتقياء في مصر ، وعن الشباب ، كل هذه الموضوعات يتناولها الكاتب بعلمه الغزير وثقافته الواسعة وقلمه المميز الرقيق .

□□□

اسم الكتاب : الانتفاضة الفلسطينية والأزمة الصهيونية
المؤلف : د . عبدالوهاب المسيري
الناشر : المطبعة الفنية - القاهرة - مصر
عدد الصفحات : ٢٢٦ صفحة من القطع الكبير
سنة النشر : ١٩٨٩
الكتاب لواحد من أهم الكتاب العرب في الدراسات الفلسطينية والصهيونية ، وهو يقدم في كتابه الجديد دراسة علمية في الإدراك ، فييدوها

اسم الكتاب : قيامة عبدالقهار عبدالسميع
المؤلف : حسن يوسف
الناشر : الاهالي للطباعة والنشر - دمشق
عدد الصفحات : ١٤٠ صفحة من القطع الصغير
سنة النشر : ١٩٨٨

اثنتا عشرة قصة للمقاصد الكاتب السوري حسن يوسف ، وهي آخر ما أنتجه ، ويعود فيها إلى عالمه الخصب الخاص جدا ، ليفحص في عمق الواقع الشعبي ، فيلتقط جوهر العلاقات الإنسانية بكل ما فيها . وأبطاله صورة صادقة عن واقع متأزم ، لهم رائحة الأرض ولهجة البيئة . يقدمهم الكاتب بأسلوب رشيق ، مفعم بالبساطة والسخرية والعمق .

□□□

اسم الكتاب : قراءات في حرب الخليج
المؤلف : منذر الموصلي
الناشر : دار العروبة - بغداد
عدد الصفحات : ٤٥٦ صفحة من القطع الكبير
سنة النشر : ١٩٨٧

يقسم الكاتب دراسته على عشرة أبواب ، يناقش فيها أفكاراً وقضايا تتعلق بحرب الخليج ، فيدونها بدراسة عن ايران (الجغرافيا والديموغرافيا) ، ثم ايران في تاريخها الفارسي والاسلامي ، ثم يتقل إلى عرض العلاقات العربية الفارسية في العصر الحديث . وبعد ذلك يناقش الثورة الايرانية ، ويعرض بعد ذلك لمطامع ايران ومصالحها الاقليمية ، ثم يقدم عرضاً تاريخياً للخليج العربي ،

وقصته في الصراع بين العرب وإيران . ويستعرض الكاتب في الباب الثامن الموقف الدولي من حرب الخليج ، وفي الباب الذي يليه يعرض لسياسة التسليح في حرب الخليج وسوق السلاح الدولية ، وأخيراً يعرض الدور « الاسرائيلي » في الصراع العربي الايراني .

□□□

اسم الكتاب : المغرب العربي الكبير . نداء المستقبل
المؤلف : د . مصطفى الفيلالي
الناشر : مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت
عدد الصفحات : ١٨٤ من القطع الكبير
سنة النشر : ١٩٨٩

يواجه المغرب العربي تحدياً كبيراً ، يهدد اقتصادياته ، بعد أن أخلق أمامه سوق أوروبا بعد دخول اسبانيا واليونان والبرتغال للسوق الأوروبية المشتركة وإجراءات توحيد أوروبا . هذا التحدي الذي يواجهه المغرب يستلزم مواجهته بالوحدة كسبيل وحيد ، فيقيم في القسم الأول تجربة التعاون المغربي ، وأجهزته ، والدراسات التي تمت ، وأجهزة التعاون المغربي ، ومستويات القرار ، ويخصص الكاتب القسم الثالث لدراسة التحديات المعاصرة أمام المغرب ، فيناقش التحديات الخارجية والداخلية . وأخيراً يعرض الكاتب للمستقبل البديل ، فيناقش افتراضات التغيير ، والبناء المغربي المقترح ، وجدلية الأهداف والغاية . □



دخل الكاتب آرثر ميللر ذات يوم إلى مطعم ، لم يكن قد دخله من قبل ، فلما أحضر له الخادم قائمة الطعام ، رثما إليه وقال : إنني اعتمد على ذوقك فأحضر لي ما تختاره أنت . وعندما فرغ الأستاذ من تناول الطعام ، أخذ يظهر للخادم إعجابه بحسن اختياره ، فقال الخادم : إنني هنا ياسيدي ، في خدمة الذين لا يعرفون القراءة والكتابة .

مسابقة العربي الثقافية

ارفق الحل مع هذا الكوبون
كوبون مسابقة العربي
العدد ٣٦٧

١

- كتاب « القانون في الطب »
وكتاب « القانون المسعودي » يعدان في
طليعة الكتب التي تركها لنا السلف
الصالح ، فقد كان للأول شأن كبير في
العلوم الطبية ، وكان للثاني شأن كبير
في علم الفلك ، وكان مؤلف الكتاب
الأول ابن سينا ، فمن هو مؤلف
الكتاب الثاني ؟

- * الخوارزمي
- * ابن قتيبة الدينوري
- * البيروني

٢

- بطليموس عالم فلك يوناني
شهير ، في القرن الثاني الميلادي .
ترى أين عاش ؟
* في أثينا
* في الاسكندرية
* في اسبارطة

٣

- يتردد اسم « المجسطي » كثيرا
في كتب التراث ، لا سيما ما اتصل منها
بعلم الفلك . ترى ما المجسطي ؟
* كتاب ألفه العالم اليوناني
المعروف بطليموس ، وقد ترجم إلى
العربية أكثر من مرة .
* جهاز صنعته علماء الفلك
المسلمون لقياس أبعاد النجوم .
* المجسطي اسم أطلقه العلماء
المسلمون على أحد بحار القمر .

٤

- من المعروف أن جاليليو تراجع
عن الأخذ بالنظام « الكوبرنيكي » ،
وقد صرح بذلك علناً . ترى لماذا فعل
ذلك ؟
* لاقتناعه بصحة النظام
البطيوموسي .

* رضوخاً لضغط محاكم التفتيش ، وحفاظاً على حياته .
* جاليليو لم يتراجع عن الأخذ بالنظام « الكوبرنيكي » ، بل ظل متمسكاً به حتى النهاية .

٥ - لم يكن جاليليو مخترع التلسكوب الأول في التاريخ ، فمن الذي ابتكر هذا الجهاز المهم ؟
* نيوتن
* كوبرنيكوس
* هانس ليرشي ، الهولندي .

٦ - التلسكوبات البصرية نوعان : عاكسة ، وكاسرة . ترى من هو مخترع التلسكوب العاكس ، علماً بأن ليرشي وجاليليو هما مخترعا التلسكوب الكاسر ؟
* اسحق نيوتن
* كوبرنيكوس
* جوتنبرغ

٧ - نيكولاس كوبرنيكوس ، عالم فلك شهير ، كان رائداً للانقلاب الذي تعرض له علم الفلك في العصور الحديثة ، والذي حلت الشمس بموجبه محل الكرة الأرضية كمركز ثابت للنظام الشمسي ، وأصبحت الأرض كوكباً سياراً ، يدور حولها . ترى ما العقوبة التي أنزلتها عليه محاكم التفتيش بسبب تعاليمه الفلكية التي خالف بها بطليموس ؟

* كان كوبرنيكوس من رجال الكنيسة ، لذلك أهملت محاكم التفتيش محاكمته .

* حرص على عدم نشر كتابه أثناء حياته ، تجنباً لانتقام الكنيسة منه .
* نشر كتابه باسم مستعار انطلي على الكنيسة ، وعلى محاكم التفتيش ، إلى ما بعد موته .

٨ - من هو الفلكي الذي فقد أنفه الطبيعي في مبارزة ، فاستبدله بأنف صناعي مذهب ؟
* بطليموس .
* كوبرنيكوس .
* نيكوبراهي .

٩ - أي التلسكوبين أقوى : التلسكوب الروسي المقام على جبال القفقاس أم التلسكوب الأمريكي المقام على جبل بالومار في كاليفورنيا ، علماً بأن التلسكوبين من نوع واحد ، وهو التلسكوبات العاكسة ؟

١٠ - يقال : إن « تلسكوب الراديو » مكبر فوق كونه مقرباً ، أي أنه يمكنك من رؤية أجرام السماء بوضوح فائق . فهل هذا صحيح ؟ وما أكبر « تلسكوب راديو » في العالم ؟
* تلسكوب باركر في أستراليا .
* تلسكوب أريكيبو في بورتوريكو .

١١ - ما اسم الجهاز الذي تمكن علماء الفلك المسلمون به من قياس ارتفاع الأجرام السماوية ؟
* الاسطرلاب .
* المنظار المكبر .
* المقراب .



مارس ١٩٨٩ م

يبلغ عدد الجمهوريات في العالم ١٢٤ جمهورية ، ومعنى هذا أن ٤٦ دولة من مجموع الدول المستقلة (١٧٠) ليست جمهورية . والجدير بالذكر أن بين هذه الدول غير الجمهورية ١٨ ملكية ، و ١٦ دولة تنعم باستقلال محدود ضمن الكومنولث البريطاني .

جزيرة هاواي بل جزرها تقع في شمال المحيط الهادي ، على بعد مقداره نحو ٣٧٠٠ كم إلى الغرب من فرانسيكو ، وقد اكتشفها كوك سنة ١٧٧٨ ، وسماها جزر ساندويش ، لكن الجزر التي بقيت مستقلة طوال القرن ١٩ ما لبثت أن طلبت الانضمام إلى الولايات المتحدة ، والتخلي عن استقلالها .

سبب ذلك أن الكونجرس الأمريكي أعطى تكساس الحق في أن تجزئ نفسها ، لتصبح خمس ولايات بدلا من ولاية واحدة ، في أي وقت تشاء ، وذلك عندما انشقت عن المكسيك ، وانضمت إلى الولايات المتحدة سنة ١٨٤٥ .

هناك مجموعتان يطلق على كل منهما اسم جزر «كريسماس» ، وتقع إحدى المجموعتين في المحيط الهندي ، إلى

توفالوا (Tuvalu) : هي الجزر التي يعتمد اقتصادها الوطني على تصدير الطوايح البريدية ، وعاصمتها فونا فوني ، ومساحتها ٢٦ كم^٢ ، نعم ستة وعشرون كيلومترا مربعا فقط وعدد سكانها (٨١٠٠) نسمة ، وتقع هذه الجزر الصغيرة في المحيط الهادي .

يوجد في إسسلندة مالا يقل عن ٧٠٠ نافورة ماء ساخن وتعتمد البلاد على هذه النوافير الطبيعية لتأمين ٧٥٪ من التدفئة المركزية التي لا غنى عنها في تلك البلاد الباردة ، وقد سميت العاصمة (ريكيافيك) نظرا لكثرة البخار المتصاعد من نوافيرها الطبيعية الساخنة .

الجزر المقصودة في السؤال هي مجموعة جزر (تونجا) ، وهي جزر بركانية ومرجانية ، لا يقل عددها عن ١٥٠ جزيرة ، اكتشفها الهولنديون سنة ١٦١٦ ، وزارها الكابتن كوك سنة ١٧٧٣ ، وقد سماها آنذاك الجزر الصديقة ، وتقع جزر (تونجا) ضمن جزر (بولينيزيا) في جنوب المحيط الهندي ، وهي صغيرة ، تبلغ مساحتها ٧٤٧ كم^٢ ، وسكانها (١٠٩,٠٠٠) نسمة ، وعاصمتها (نوكو ألوفا) .

مسابقات ١٩٨٩

الجائزة الأولى : محمد أحمد حجاج /
المحلة الكبرى - جمهورية مصر العربية
الجائزة الثانية : دكتور جودت باسيل
دبسيه / الصفاة - الكويت
الجائزة الثالثة : محمد عمر سالم عبد
الله / كريت / عدن - جمهورية اليمن
الديمقراطية الشعبية .

المسابقات

بالحيات الشعبية

- ١ - عبد الرحمن محمد هائل الصلوي /
صنعاء / الجمهورية العربية اليمنية
- ٢ - حمودة قاسم حمودة / المدينة
المنورة / المملكة العربية السعودية
- ٣ - أروى عبد الغني محمود / عمان /
المملكة الأردنية الهاشمية
- ٤ - عمار العموري / مركز بريد
توزر / الجمهورية التونسية
- ٥ - صفاء رفيق آغا / دير الزور /
الجمهورية العربية السورية
- ٦ - رافت عبد العظيم أبو العز أحمد /
الدوحة / دولة قطر
- ٧ - محمد سليمان الجبوري / بغداد /
الجمهورية العراقية
- ٨ - عبد الغني بوفدة جميع / حمام
الضلعة / الجمهورية الجزائرية

الجنوب الغربي من جزيرة جاوة ، وتقع
الثانية في المحيط الهادي ، والمجموعة
الأولى تحكمها استراليا ، بينما تحكم
بريطانيا مجموعة جزر دكريساس ، الثانية
التي تقع في المحيط الهادي .

بانجول هي عاصمة غامبيا ، الدولة
الافريقية الصغيرة الفقيرة ، المجاورة
للسنغال ، تبلغ مساحتها
١١,٢٩٥ كم^٢ ، وعدد سكانها
(٧٧٧,٠٠٠) نسمة .

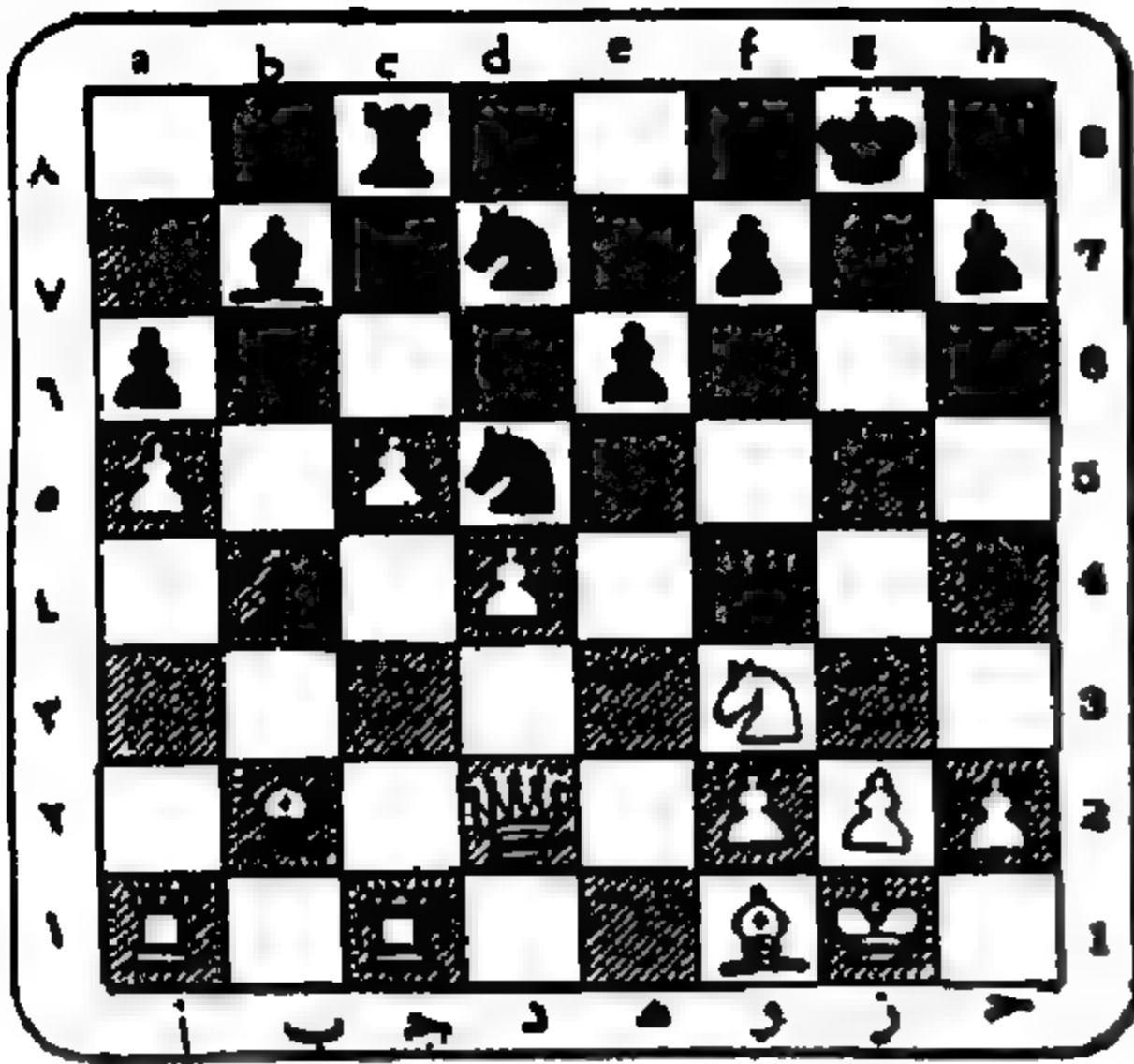
الاسماء القديمة الاسماء الجديدة
جرينلند = كالايث لونات
داهومي = بنين
نولتا العليا = بوركينا فاسو
زامبيا = روديسيا الشمالية
هندوراس = بليز
روديسيا الجنوبية = زيمبابوي

عدد الأقطار غير المستقلة في العالم
٥٩ قطرا ، وهكذا يصبح مجموع الدول
المستقلة وغير المستقلة في العالم ٢٢٩ .

بلومان هي عاصمة بليز (هندوراس
سابقا) .

تاساو - البهاما
ثيمفو - بوتان
فادوز - ليختنشتاين
أولان باتور - منغوليا

مقاطعة كولومبيا District of Columbia ، هي التي تتعادل ،
وعاصمتها واشنطن دي سي من حيث
المساحة التي تبلغ ٦٩ ميلا مربعا ، ومن
حيث عدد السكان البالغ عددهم ٣
مليون نسمة أو أكثر قليلا .



محنة بلاسراع

الآن ، إلا أنها يلعبان كل مباراة جديدة بينهما كما لو كانا يلعبان معاً لأول مرة ، وبالحماسة والإبداع المبهودين فيهما ، وهو أمر يدعو لكل إكبار ، .
وفي ختام اللقاء التقى الخصمان اللدودان حول الرقعة ، وأخذوا يدرسان الدور ، ويحللانه ، كما لو كانا صديقين حميمين ، وقد نسيا كل ما كان بينهما من خصومة . وإليك الدور الذي نحن بصدده .

كاسباروف

كاربوف

ح - و ٦

١ . د - ٤

هـ ٦

٢ . ج - ٤

ف - ب ٤

٣ . ح - ج ٣

ت (نقلة مبتكرة)

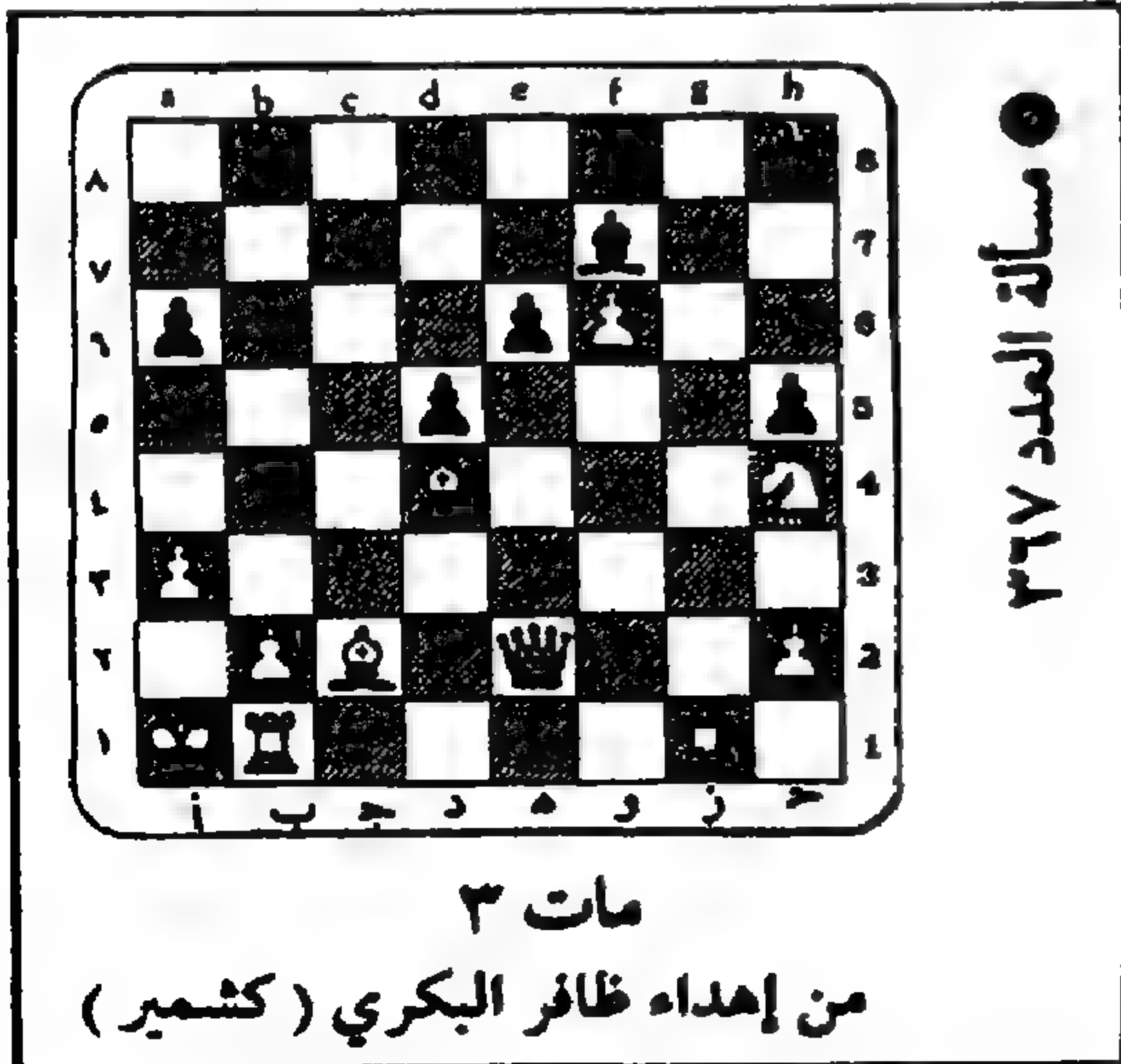
٤ . و - ج ٢

د هـ أو ج هـ هي الموهودة للحد من سيطرة الأبيض على الوسط

اتسم اللقاء الأخير بين العملاقين السوفيتيين : جاري كاسباروف بطل العالم الحالي ، وأنتوني كاربوف بطل العالم الأسبق ، في نطاق بطولة الاتحاد السوفيتي الخامسة والخمسين ، بكثير من الأثارة والتشويق ، فقد كان عبو اللعبة وهوائها يتنظرونه بلهفة بالغة . لعب كاربوف برصائته وهذونه المبهودين ، في حين انتهج كاسباروف خط المخاطرة والمغامرة المأثور عنه . وانتهت المباراة بينهما بالتعادل الذي عرضه كاربوف في النقلة الثلاثين وتلقفه كاسباروف بالترحاب لافتتاحه بصعوبة الفوز .

وكانت نقلة كاسباروف الرابعة مخيبة لتوقعات جميع المراقبين ، وقد أثارت كثيراً من الجدل والتعليق بين كبار الأساتذة ومنهم نيكيتين مدرب كاسباروف الذي قال : « لم يخطط أي منا لهذه النقلة أثناء التحضير ، بل فاجأنا بها كاسباروف أثناء اللعب ، وهي نقلة مؤثرة ، وإن كانت تخالف قانون المنطق الذي يرجع إلى أن كاسباروف يحاول الابتعاد عن اللعب النظامي ، لإبعاد كاربوف عن الطريق المهد » . أما الأستاذ الدولي يوري ألفرباخ فقال : « إن كاسباروف يخرج من قواعد الافتتاح المعروفة ، وهو مالا أقصره ، ضائفاً من أنصاف الأسلوب الكلاسيكي . ويبدو أن كاسباروف ينظره الناقد يرى مالا نراه ، فيبيح ذلك لنفسه » .

ومن أجل التعليقات ما قاله آرتور بوسوبوف : « إن مهارة كاسباروف وكاربوف تذهلني ، فعلى الرغم من أنها قد التقيا أربع مرات متتالية حتى



مسألة العدد ٣٦٧

مات ٣

من إهداء ظافر البكري (كشمير)

و-جـ ٧	١٨ . أ ٥	فـ×جـ ٣	٣١ . ٥
و-و ٤	١٩ . ر(و)-جـ ١	ب ٦	٦ . و×جـ ٣
ر(و)-٨د	٢٠ . ف-و ١	فـب ٧	٧ . هـ ٣
(الشكل)		د ٥	٨ . ب ٣
ح×و ٤	٢١ . و×و ٤	حـب-٧د	٩ . ح-و ٣
ح-د ٥	٢٢ . ر-أ ٤		
٢٣ . ح-د ٢ الدور مايزال في صالح الأبيض			
٢٣ . ر-جـ ١٧	٢٣		
(رائعة)		د×جـ ٤	١٠ . ف-هـ ٢
ح-ب ١٨	٢٤ . ر(أ)-١١	جـ ٥	١١ . ب×جـ ٤
ف-جـ ٦	٢٥ . ح-جـ ٤	ر-جـ ٨	١٢ . ت
ر-٧أ	٢٦ . ح-د ٦	جـ×د ٤	١٣ . ف-ب ٢
ح-هـ ٧	٢٧ . و ٣	ب ٥	١٤ . هـ×د ٤
ح-د ٥	٢٨ . ر-جـ ٤	أ ٦	١٥ . جـ ٥
ح-هـ ٧	٢٩ . ر(ج)-جـ ١	ح-د ٥	١٦ . أ ٤
٣٠ . ر-جـ ٤ تعادل بتكرار النقل بالاتفاق		ب ٤	١٧ . و-د ٢

الموقف نظرياً في صالح الأبيض

نقلة غير متوقعة ف-جـ ٦ أفضل نظرياً

□□□

الفائزون في حل مسألة الشطرنج العدد ٣٦٤ مارس ١٩٨٩

الفائزون باشتراك ستة أشهر :	الفائزون باشتراك سنة كاملة :
١ - حسام عبدالحادي محمد - بغداد / العراق	١ - صفاء محمد عثمان - الجيزة / ج م ع
٢ - نور الدين الهاشمي - طرابلس / ليبيا	٢ - علي السعدي - دمشق / سوريا
٣ - المنجي القصير - المطرية / تونس	٣ - توفيق علي العمر - شبوة / اليمن الجنوبي
٤ - فرسان طه الشايلة - عمان / المملكة الاردنية الهاشمية	٤ - نورس حسام حسين - النخيل / رأس الخيمة / الإمارات
٥ - وليد سعد الله - هوليوود / أمريكا	٥ - أسامة علي قاسم - جدة / السعودية

حل مسألة العدد ٣٦٥ - أبريل ١٩٨٩ م

١ . و-د ٤	٢ . ر-ب ٢	٣ . م-هـ ٣	٤ . م-ب ١
٢ . م-د ٣	٣ أ	٤ . و-د ١ (مات)	

جَولَ القَبِيلَة

العربي - ص.ب : ٧٤٨ الصَّفَاة - الرمز البريدي : 13008 الكويت

تَحْيَا

لأَطْمِنَال

الحَجَارَة

● إخوتي العرب ، بكل ما يعنيه الود من معان سامية أكتب عن وطني الضائع ، عن فردوسنا المسلوب ، عن فلسطين وقضيتنا المصيرية ، عن الانتفاضة وأحداثها المشرفة ، وثورة أهلنا في فلسطين المحتلة ، وهي تقرب من نهاية عامها الثاني ، ولا زالت على شدتها ونضالها البطولي . تثير العالم بما فيها من مواجهة وصمود . إن من حق شعبنا الفلسطيني البطل أن يكتب عنه الكثير ، من حق أطفالنا الذين يرمون الحجارة بكل جسارة وصمود أن يظهروا للعالم أبطالاً ، من حق أمهاتنا الفلسطينيات وشيوخنا وشبابنا الذين يقفون في وجه الرصاص الغادر الذي يمزق الأحشاء ويقتحم القلوب ، ويصمدون أمام الغاز السام الذي يخترق صدورهم ، من حقهم أن يطلع العالم على حقوقهم الشرعية وقضيتهم ونضالهم . إن الشعب العربي الفلسطيني البطل في الداخل يحتاج إلى مساندة وتوعية من أصحاب الفكر والقلم ، وتسليط الضوء عليهم يعطيهم نوعاً من المساندة والدعم المعنوي الذي هم في أمس الحاجة إليه .

إخوتي العرب ، إن شعبنا الفلسطيني يفرض وجوده على العالم بما يقوم به من بطولات رائمة ، وملاحم خالدة ، فليس من الممكن أن ننسى أماً تجهض بسبب الغازات السامة ، أو الضرب المبرح الذي تتعرض له ، أو طفلاً يموت برصاص المحتل ، أو شيخاً يهان لدفاعه عن أرضه أو منزله ، فأصحاب الأرض يأبون الذل والإهانة .

القارئة : نسرين طه

حمص / سوريا

□ □ □

الاستاذ الدكتور رئيس التحرير

● نحية طيبة وبعد ،

لدى اطلاعي على العدد (٣٦٢) يناير ١٩٨٩ من « العربي » ، لفت انتباهي مقال (حشرات تأكل حشرات) ، للدكتور خالد رويشد .

لقد تمكن الدكتور - كاتب المقال - من إيجاز بعض المعلومات ، ورأيت من واجبي أن أضيف على ما ذكره بعض المعلومات ، كي يعم الفائدة والنفع .

يبدأ الحديث عن حشرة أسد المن ، وهي حشرة شرهة ذات جسم هزيل ، ضعيفة القوام ، بطيئة الحركة ، رقيقة الجلد . والطور اليافع منها يطلق عليه اسم

حشرة

مشمش

الإف

على هذه الصفحات ... ترحب "العربي" بنشر ملاحظات
وتعليقات قرائها الأعزاء على ما يُنشر فيها من آراء وتحقيقات

(الذباب ذو العيون المذهبة) . نرى في أغلب الأحيان أن الأنثى تضع البيض الأبيض اللون متعلقاً بالسيقان النباتية الطويلة ، أو ملتصقاً بأوراق الأشجار والأعشاب ونباتات المحاصيل الحقلية المتنوعة . ويأتي دور هذه الحشرة الكبير المهم للإنسان لتمكنها من تخليصه من أعداد كثيرة من الآفات الزراعية الخطيرة .

(ثانياً) فرس النبي : وهي حشرة ضخمة الحجم ، من فصيلة الحشرات ، مشبكة الأجنحة ، وتضم حوالي ١٨٠٠ نوع .

والملفت للنظر أنها جميعها آكلة لحوم . أما أماكن وجودها ففي جميع الأقاليم الدافئة في العالم . أضف إلى ذلك أن فريستها ليست نوعاً واحداً ، بل أنواع كثيرة .

ثالثاً : الرعاشات ، وهي مخلوقات حشرية بنية اللون أو خضراء ، ذات أجسام رقيقة ، وطيران بطيء . لها رأس كبير ، فيه عيون . ولرأسها زوج من قرون الاستشعار القصيرة ، وثلاثة أزواج فمية . وهي من أخطر الكائنات الطاغية في عالم « ما تحت الماء » ، كما أن هناك أنواعاً أخرى من الحشرات مثل : الذباب السارق ، والذباب الحائم ، والخنفس .

القارئ : ماجد مصطفى أحمد
ادلب - سوريا

□ □ □

الاستاذ الدكتور رئيس التحرير

● تحية صادقة من تونس الخضراء إلى الكويت بلد العروبة والمجد ، إني من المنكين على قراءة مجلتكم بانتظام ، لما ألمسه فيها من العمل الجاد لإثراء الثقافة والمعرفة في الوطن العربي ، وإني معجب جداً بالمستوى الرفيع لمجلتكم ، وهي من المجلات التي لها صدى كبير لدى المثقفين في تونس وكل أقطار المغرب العربي الكبير . وحرصاً مني على شمولية « العربي » وإلمامها بكل المعارف الإنسانية ، فإنني أقترح توسيع الباب الخاص بالعلوم ، ليشمل بعض المواضيع المهمة التي لم تنل حظها من الإعلام ، وعلى الأخص موضوع الاتصالات الفضائية عبر الأقمار الصناعية .

القارئ : محمد بن أحمد الهمامي

كلية العلوم - تونس



الأقمار

الصناعية

حوار القس

● قرأت في عدد « العربي » ٣٦٢ يناير ١٩٨٩ مقالا للدكتور عبدالمعظم أنيس ، عن التعليم الفني والتقني . وقضية التقنية التي أثارها الكاتب تصطدم بمعضلة كبيرة ، وهي أن التعليم العلمي والتقني في الجامعات العربية غير معرب ، على الرغم من أننا نملك أرقى لغة وأسمى معاني ، تجمل الطالب العربي أقدر على المناقشة بها ، وأسرع إلى استيعاب هذه العلوم المتقدمة ، غير أن اللغة الأجنبية من هذا المنطلق ، تعيق الطالب عن معرفة الكثير من المعلومات أثناء قيامه بترجمتها واستيعابها ذهنيا ، ثم ترجمتها مرة أخرى إلى الأجنبية ذهنيا ، مما يوقع الطالب في كثير من المشاكل ، وخاصة إذا كان غير متمكن من اللغة الأجنبية ، فيضيع معنى الكلمة المطلوبة ، وتقل درجة سرعة استيعابه للمصطلحات العلمية الأجنبية . فالمطلوب أن تقوم حركة ترجمة واسعة للمؤلفات العلمية الأجنبية إلى لغتنا العربية ، فالأجانب قبل ذلك ترجموا الكتب والمؤلفات العربية إلى لغاتهم . ثم إن لغتنا العربية تقوي الروابط بين الجامعات العربية وأبنائها ، وتوصل انتهاءهم القومي . وهذه أمنية يتوق كل العرب إلى تحقيقها .

نأمل من مجلة « العربي » أن تتبنى الموضوع وتطرحه على صعيد أوسع للبحث .

القاري : طارق زاكي الصطوف

حماة / سوريا

□ ■ □

● المقال المنشور في عدد ٣٦٢ يناير ١٩٨٩ عن الشاعر « ابن زيدون » شاعر الحب والحنين ، للدكتورة سلمى الحفار الكزبري ، وردت حوله عدة رسائل نختار منها رسالتين :

الاستاذ الدكتور رئيس التحرير

تحية حب وتقدير لكم ولأسرة المجلة ، لما تبذلونه من جهد ، فهي إنجاز عظيم ، بما تقدمه لأبناء العروبة من معين الثقافة والفكر في كل ما ينفع الإنسان العربي ، ويشده إلى أمته العربية .

لقد قرأت مقال « ابن زيدون » ، وأود أن أتوجه بالشكر لكاتبته د . سلمى الكزبري ، على عرضها له بشكل مشوق مؤثر ، ونظرا للمكانة التي يحتلها الشاعر في تاريخ الأدب العربي فإنني أقترح أن يتم نشر المزيد من المعلومات عن حياة هذا الشاعر ، إضافة إلى بعض أشعاره .

القاري : محمد احمد حبركين

دمشق - سوريا

العدد
العدد

العدد
العدد

أما الرسالة الثانية فنقول :

لقد شدني حديث د . سلمى الكزبري عن الشاعر ابن زيدون ، وخاصة أنه يتحدث عن الحب ، والحديث عنه موضوع مشوق ومثير للاهتمام ، لأنه يطرح مسألة وجود ، والحب يعني هذا الوجود ، طالما أن العلاقة بين الجنسين مستمرة ، تحدد كل يوم مصير كل من الطرفين ، لكننا نجد أن علاقة الترابط في عصرنا الحالي أصبحت مسألة تافهة في بعض الأحيان ، وهنا نخطر في بالنا سؤال : لماذا أصبح الحب ذا أسس ضعيفة ، وسريع التفكك ، على عكس ما كان في عصر الأسلاف الذين شاعت قصص حبهم وخلدت في التاريخ ، وأصبحت تردد عنهم الأمثال في العشق ، ومنهم شاعرنا ابن زيدون ؟ ويفضل متانة الأسس أصبحت قصة الحب في ذلك العصر أسطورة عبر الأجيال ، وهي التي خلدها الشاعر ابن زيدون فملأت قلبه ، واعتبرها عاطفة نبيلة ، وتركت الأثر في الشعر العربي الخالد .

القارئ : وضاح يياهو
حلب - سوريا



● القارئ : عمار هواش - دمشق ، سوريا - يقترح صفحات خاصة بأمور الشباب ، تعالج قضاياهم النفسية والرياضية ، والأمور الخاصة بتعلم الحاسوب «الكمبيوتر» والتقنية ، وكيفية تنشيط القدرات الأدبية الشابة الخلاقة ، ومناقشة بعضها ونقدها ، وبهذا تخلق جيلا عربيا واعيا من الكتاب المبدعين .

● القارئة : هبة الفاصد - من عمان ، الأردن - تطالب بإجراء استطلاعين علميين ، أولهما يتعلق بثقب الأوزون الموجود في طبقات الجو العليا ، والثاني يتعلق بحقيقة وجود مثلث برمودا ، من أجل التعرف على طبيعتهما ، وبيان دور الأقمار الصناعية في الكشف عنها .

● القارئ : هيد المطلب ادريس - من اكرا ، غانا - يقترح أن تقوم المجلة بزيارة منطقته ، وتسليط الضوء على أحوال المسلمين هناك .

● القارئ : محمد عوض بحاج - من محافظة حضرموت ، بجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية - يستفسر عن شروط الاشتراك بمسابقة العربي الثقافية ، وكيفية ذلك . ونقول له : إن المسابقة لها شروط يمكن الاطلاع عليها ضمن العدد ، وكل إجابة لا ترفق بكميون مسابقة العربي لا يلتفت إليها .

جواب القارئ

- القارئ : سليم هاني منصور - زحلة ، لبنان - يندى إعجابه الشديد بصفحة «مساحة ود». ويقترح أن تعطى الفرصة للقراء لكتابة هذه الصفحة .
- القارئ : غياث جباخنجي - من دمشق ، سوريا - لديه مشاريع علمية وقصص عن الخيال العلمي ، يرغب في تطويرها .
نقول له : إن هناك جهات علمية كثيرة في الوطن العربي يمكن أن تراسلها ، وتعرض عليها هذه الأفكار ، كما يمكنك مراسلة مؤسسة الكويت للتقدم العلمي أو معهد الأبحاث العلمية في الكويت . وستجد كل الاهتمام .
- القارئ : الشيخ محمد الأمين حاجب - إمام مسجد ماوسل ، في مدينة ساناويس ، جمهورية السنغال - يقترح على المحلة ريادة منطقته ، والقيام باستطلاع مصور ، كي يلتفت المسلمون إلى ظروفهم الصعبة التي يمرون بها

حوليات كلية الآداب

تصدر عن كلية الآداب - جامعة الكويت

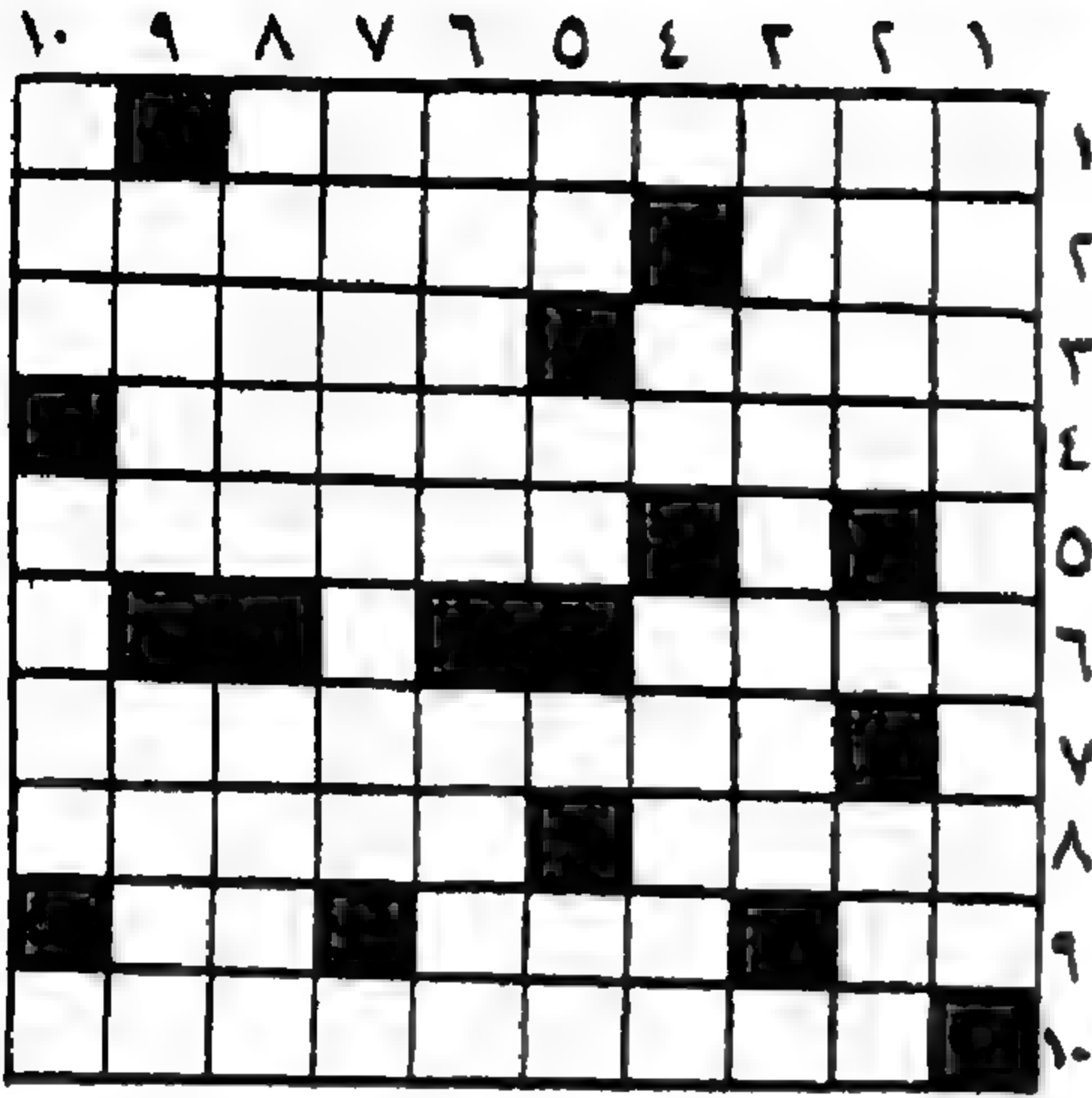
رئيس هيئة التحرير : د. عبد المحسن مدع المديح

مؤلفة عامية محكمة : مجموعة من الرسائل التي تعالج بأصالة موضوعات وقضايا مهمة تهم تخصصات كلية الآداب

• هذا العدد من حوليات كلية الآداب هو الأول من سلسلة حوليات كلية الآداب التي تصدر عن جامعة الكويت

توزيعات في جميع المكتبات العامة والخاصة - الكويت ١٧٣٧٠ - الكويت

الكلمات المنقطة



كلمات عمودية :

- ١ - جبل في شرق تركيا يرتبط اسمه بسفينة نوح .
- ٢ - شجاع ، أصيب بالشلل .
- ٣ - جبال تمتد من شمال أمريكا الى جنوب كندا .
- ٤ - غير مطبوخ ، سليط منونة بالنصب .
- ٥ - تمجدها في رأس ، من الجيوب ، لو معكوسة .
- ٦ - بأوي معطوفة ومبعثرة ، أخذ .
- ٧ - جبل بركاني في القارة الافريقية كان مسرحاً لرواية أدبية معروفة .
- ٨ - حرفان متشابهان وكلمة (أرى) مبعثرة ، يصيب بالرزايا .
- ٩ - مطبوخ ، كيميائي وفيزيائي بريطاني اكتشف قانون ضغط الغازات .
- ١٠ - أرض مرتفعة كثيراً ، قناة مائية عربية مهمة .

● حل مسابقة العدد الماضي - مايو ١٩٨٩ م

يهدف هذا اللغز إلى تسليتك وإمتاعك بالإضافة إلى إثراء معلوماتك وربطك بتراثك الفكري والحضاري عن طريق البحث الجاد المستمر في المعاجم والموسوعات وغيرها من المراجع الهامة .

والمطلوب منك الاجابة عن أسئلة هذا اللغز ومقارنتها بالحل الصحيح الذي سينشر في العدد القادم .

كلمات أفقية :

- ١ - سلسلة جبلية كبرى تمتد من نيومكسيكو الى الاسكا
- ٢ - قديم أو عتيق ، جبل في اليونان كان يعتبر مقراً للآلهة في القديم .
- ٣ - لغة ، يُسَوَّف .
- ٤ - سلسلة جبلية واقعة بين فرنسا واسبانيا .
- ٥ - سلسلة من الجبال تقع في ايران .
- ٦ - سلسلة جبلية تمر في مراكش والجزائر .
- ٧ - بحر واسع يتفرع من المحيط الأطلسي .
- ٨ - أباح السر ، سلسلة جبلية في جنوب تركيا .
- ٩ - جبل قليل الارتفاع ، قارب من جذوع الأشجار ، هيئة الملابس .
- ١٠ - سلسلة جبلية تخرق معظم بلاد أوروبا .



أولاد العرب

تأليف
الدكتور حسين فهميم

رئيس التحرير
د. بدر جاسم البعوت



مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر من جامعة الكويت

- عقد الندوات التي تهم المنطقة أو المساهمة فيها وإصدارها في كتب
- يغطي توزيعها ما يزيد على ٣٠ دولة في جميع أنحاء العالم

• الاشتراك السنوي بالمجلة

- (أ) داخل الكويت: ٢ د. - للفراد ١٢ د.
- (ب) الدول العربية: ٢,٥٠٠ د. - للفراد ١٢,٠٠٠ د.
- (ج) الدول الأجنبية: ١٥ دولاراً للفراد ٤٠ دولاراً للفراسات

- مجلة علمية فصلية محكمة تصدر ٤ مرات في السنة.
- تعنى بشئون منطقة الخليج والجزيرة العربية السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية، والعلمية.
- صدر العدد الأول في يناير ١٩٧٥.

- تقوم المجلة بإصدار ما يأتي:
 - (أ) مجموعة من المنشورات المتخصصة عن منطقة الخليج والجزيرة العربية.
 - (ب) مجموعة من الإصدارات الخاصة والمتعلقة بمنطقة الخليج والجزيرة العربية.
 - (ج) سلسلة كتب وثائق الخليج والجزيرة العربية.

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير على العنوان الآتي:

ص. ب. ١٧٠٢٢ - الحالة دية - الكويت - الرمز البريدي 72451

البريد الإلكتروني: lib@ku.edu.kw

هاتف: ٤٨١٢٨٧
٤٨١٢٧٩
٤٨١٢٨٤
٤٨١٢٨٣

الثقافة العالمية

مجلة تترجم الجديد في الثقافة والعلوم المعاصرة

- تعتمد فيما تنشره على الترجمة من مختلف الدوريات العالمية.
- هدفها إقامة الصلة بين الفكر العربي وبين الأجواء المتطورة للثقافة العالمية المعاصرة.
- ميزانها الأساسي في اختيار المترجمات هو الجديد والهام.

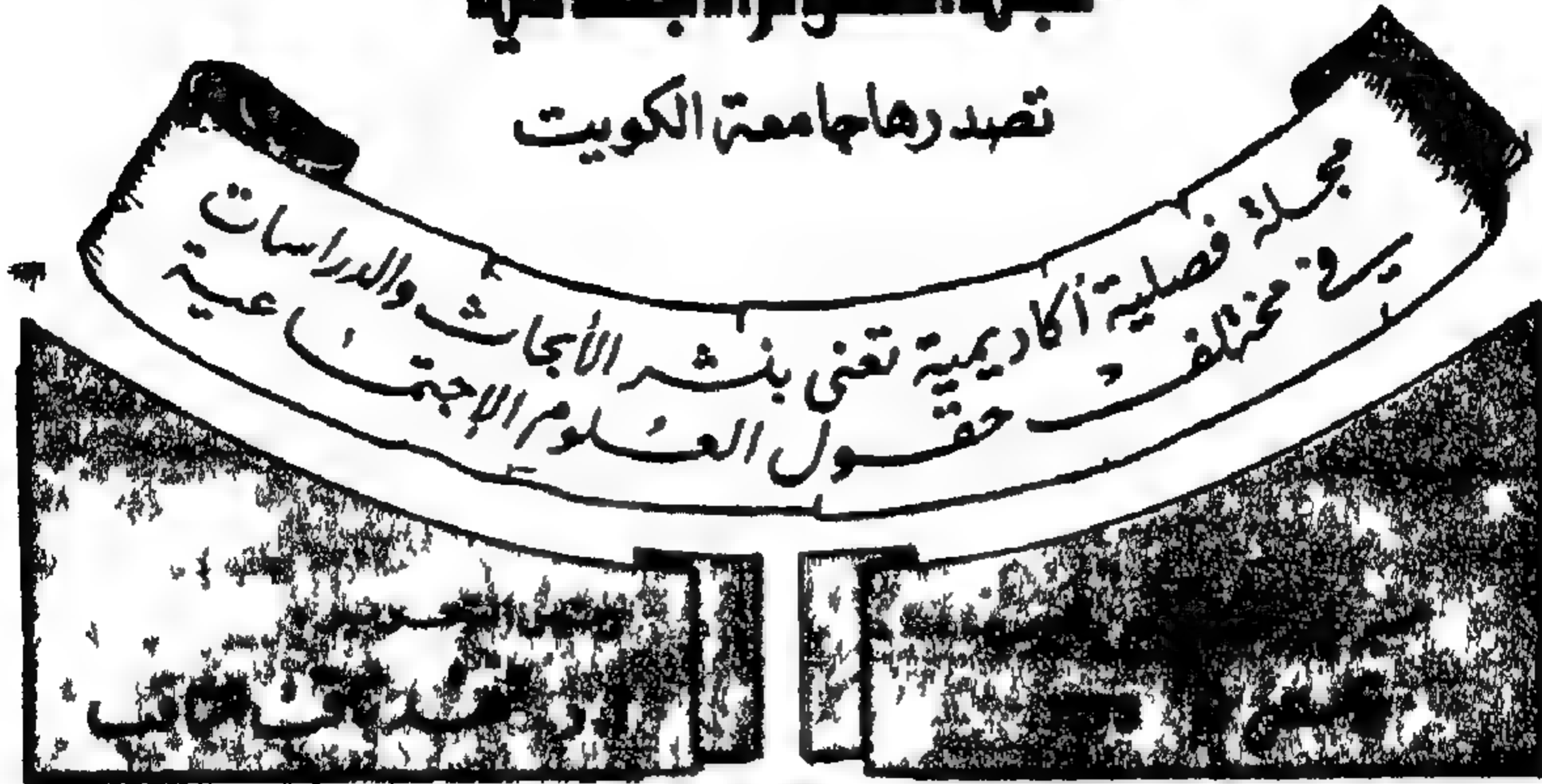
• تصدر دورية كل شهرين عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

رئيس التحرير
د. سليمان الزامل

رئيس التحرير
د. عبد الله العبد

مجلة العلوم الاجتماعية

تصدرها جامعة الكويت



توجه جميع المراسلات إلى: رئيس التحرير

مجلة العلوم الاجتماعية - جامعة الكويت ص ب: 5486 صفاة

الكويت. هاتف: 2549421 / 2549387 - تليكس: 22616 الكويت

فصلية محكمة

تصدر من جامعة الكويت

رئيسة التحرير

أ. د. حياة ناصر الحجاجي

المقر: كلية الآداب - قسم اللغة الإنجليزية
الشويخ - هاتف: 817689 - 810403

المراسلات توجه إلى رئيس التحرير

ص ب 26080 الصفاة
رمز بريدي 13126 الكويت

هن الأسرة العالمية

سلسلة ثقافية

تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام - الكويت

يونيو ١٩٨٩

العدد ٢٣٧

افساحيات الهاري

تأليف : جون ويندمان

تقديم : د. عبدالوهاب المسيري

ترجمة : د. عبدالوهاب المسيري ومحمد حامي

مراجعة : د. عبدالواحد لؤلؤة



سوق قديم - للفنان الكويتي فاضل العبار

